السلسلة البوليسية الأكثر مبيعًا عالميا

بنجامين ستيفنسن

EVERYONE THIS **CHRISTMAS** HAS **A SECRET**

كل شخص هذا الكريسماس لديه سرٌّ ما

الجزء 3

ترجمة: شمس أحمد عبد الله



رواية

كل شخص هذا الكريسماس لديه سرٌّ ما





اسمي إرنست كانينجهام. كنت من محبي قراءة روايات الغموض في العصر الذهبي، إلى أن وجدت نفسي عالقًا في مهنة عشوائية في وسط جرائم حقيقية. كنت آمل -في عيد الميلاد هذا- أن أي قاتل محترم سيأخذ قسطًا من الراحة ويسترخي خلال العطلات. لكنني كنت مخطئًا.

هأنذا هنا، خلف الكواليس في عرض الساحر الشهير عالميًا رايلان بليز، الذي قُتل راعيه للتو. جميع المشتبه فيهم محترفون في فن الخداع، أساتذة في فن التمويه، وهم:

الساحر، المساعد، المدير التنفيذي، المنوم المغناطيسي، التوأم المتطابق، المستشار، التقني.

أدلتي أكثر غموضًا: مشتبه فيه مُغطّى بالدماء، دون أن يتذكر كيف وصل الدم إليه. جريمة قتل ارتُكِبَت دون دخول الغرفة التي حدثت فيها. والتوقيت، لأنه كما تعلمون، عيد الميلاد. إذا استطعت رؤية الحقيقة خلف الوهم، فأنا واثق بأنني سأحلُّ القضية.



في النهاية، جريمة القتل الجيدة تشبه الحيلة السحرية، أليس كذلك؟

تصميم الغلاف كريم آدم



www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb

كل شخص هذا الكريسماس لديه سرٌّ ما





- العنوان الأصلي:
Everyone This Christmas Has A secret
- العنوان العربي: كل شخص هذا الكريسماس

- الطبعة الأولى: يناير/ 2025م

- تأليف: بنجامين ستيفنسن
- ترجمة: شمس أحمد عبد الله
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: إسراء جمال
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 2024/25538م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-433-5



السلسلة البوليسية الأكثر مبيعًا عالميًّا

بنجامين ستيفنسن

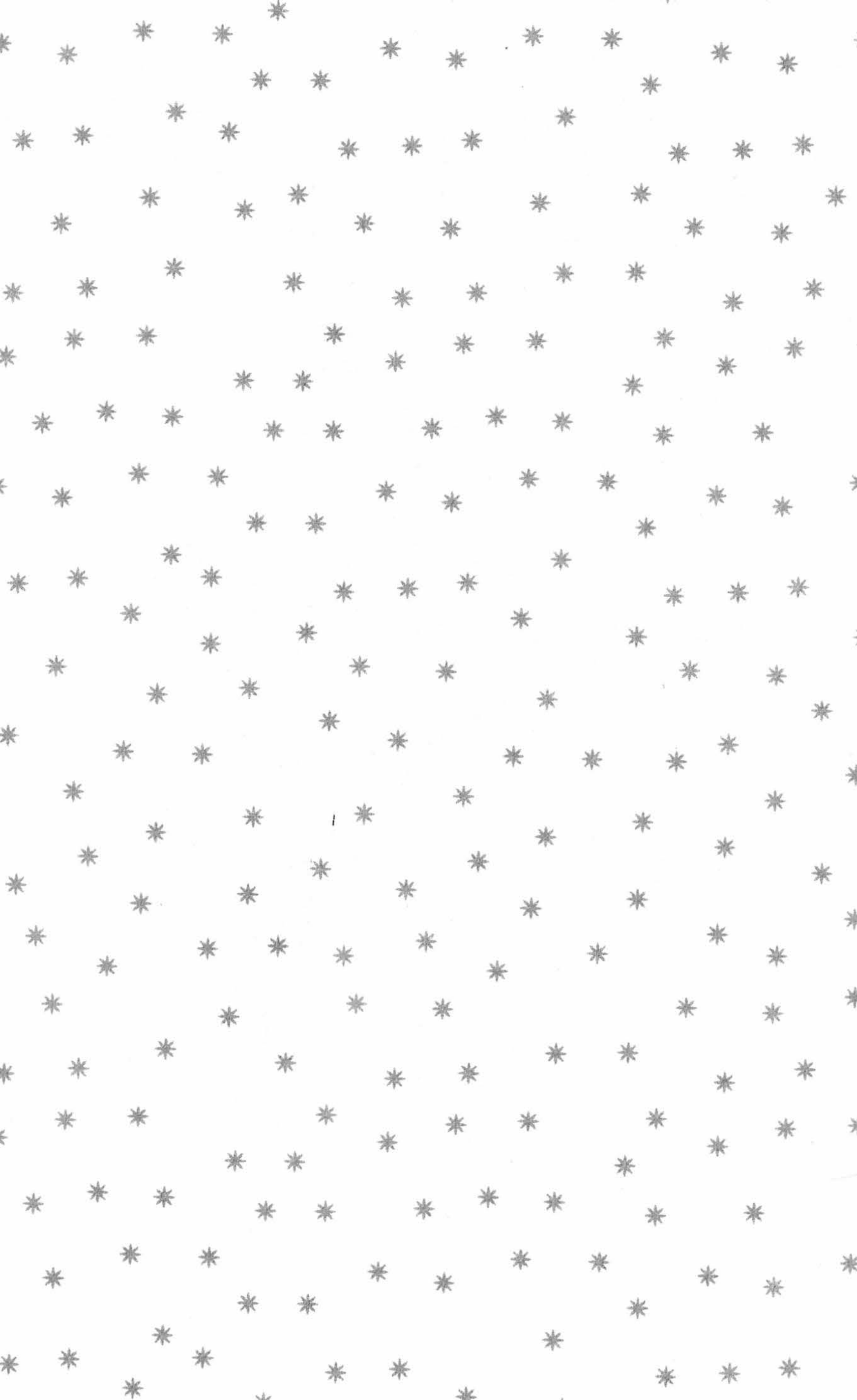
EVERYONE THIS **CHRISTMAS** HAS **A SECRET**

كل شخص هذا الكريسماس لديه سرٌّ ما

ترجمة: شمس أحمد عبد الله



رواية



رواية كل شخص هذا
الكريسماس لديه سر ما
بواسطة
بنجامين ستيفنسن

أليشا باز

لوجودك خلف الباب رقم 12

إنه خطر حقيقي يهدد الشباب
أو أولئك الذين يفتقرون إلى حس الاتجاه،
فكثيرون ضلوا طريقهم ولم يعودوا أحياء قط.

- آرثر كونان دويل عن كاتومبا، أستراليا، 1921



1	14	9	11	19
8	16	12	23	5
21	3	7	20	13
18	15	22	17	2
6	10	4	24	

تمهيد

توجد العديد من الاختلافات بين عيد الميلاد الأسترالي والصورة النمطية لعيد الميلاد في نصف الكرة الشمالي كما نراها في معظم الكتب والأفلام. وأحد الأسباب؛ هو أننا هنا لا نحظى بتساقط الثلوج. ما نحظى به -بناءً على تجربتي الشخصية- هو المزيد من جرائم القتل.

لكن قبل أن تبدأ عمليات القتل أو لنكن أدق، قبل الشروع في سردها، اسمح لي بتقديم نفسي. اسمي هو إرنست كانينجهام. يمكنك أن تناديني إرن، أو إرني. كنت من محبي قراءة قصص الجرائم الغامضة في عصرها الذهبي، حتى وجدت نفسي عالقًا في مهنة عشوائية وسط الجرائم الحقيقية. أنا لست محققًا خاصًّا، بل أمتلك فقط الموهبة في فهم الطريقة التي تعمل بها الألغاز، بشرط أن تتبع القواعد التي وضعتها الكلاسيكيات، بالطبع.

وهذا ما أوصلنا إلى هنا. فبعد أن حللت قضيتين شهيرتين نسبيًّا -الأولى، كانت لقاتل متسلسل مروع لدرجة خيالية يُدعى اللسان الأسود. والثانية، جريمة قتل علنية لأحد المشاهير- أصبحت أعلم تمامًا مكاني في مجموعتي الأدبية المعتمدة. ويبدو أن الإله الأدبي الذي يملك البصيرة لترك جثة عند قدمي في عيد الميلاد يعرف ذلك أيضًا.

لكنني أستبق الأحداث. إنه لشرف -بطريقة ما- أن أكون جزءًا من مجموعة «العرض الخاص بعيد الميلاد» الموقرة. إنه تقليد قديم حيث ترتدي الشخصيات المفضلة قبعات سانتا، ويُعلق نبات الهدال بشكل جذاب.

إذا كانت لقصص الجرائم الغامضة قواعدها، فإن العروض الخاصة بعيد الميلاد لها قواعدها أيضًا، والتي طبقها -بلطفٍ- الكون هنا. ستجد وفرة من الأدلة المستوحاة من عيد الميلاد، ولا تستبعد أن تضطر الشخصيات إلى ارتداء أزياء سخيفة لأسباب ذات صلة عرضية بالمؤامرة، والتي سأقوم فيها بدور صغير مثل رودولف[1].

وبالتأكيد، في نهاية المطاف، يجب أن يتعلم المحقق المعنى الحقيقي لكلمة عيد الميلاد، لذا سنصل إلى هناك أيضًا.

أود تذكير هؤلاء المتهكمين هناك بأن الشخصيات المفضلة ليست بمنأى عن كسب المال في موسم عيد الميلاد. كل من أجاثا كريستي وآرثر كونان دويل انقادا لميول الرغبة الشعبية تجاه جرائم الأعياد، رغم أن شرلوك هولمز لم يتسلم قضيته الاحتفالية الوحيدة إلا في السابع والعشرين من ديسمبر. أكتب هذا في وقت متأخر من يوم عيد الميلاد، بينما بقية أفراد عائلتي يسترخون على الأرائك وبجانب المسبح، أكواب النبيذ الأبيض المثلج تتعرق بالماء بجانبهم، بين الغداء والعشاء أو الحصة الثالثة من حلوى البودينغ. ففي يوم عيد الميلاد، تصبح كل وجبة هي الوجبة نفسها. المغزى من كلامي هو أنني حللت جرائمي

---

(1) رنة خيالية ابتكرها روبرت إل ماي . عادة ما يتم تصوير رودولف باعتباره التاسع والأصغر بين رنات سانتا كلوز ، مستخدمًا أنفه الأحمر المضيء لقيادة فريق الرنة وتوجيه مزلجة سانتا في عشية عيد الميلاد .(المترجمة)

بحلول الوقت الذي بدأ فيه شرلوك قضيته. ليس الأمر وكأنها منافسة بالطبع.

بالرغم من أن الجثث ملفوفة بزينة عيد الميلاد، فإن هذه الجريمة الغامضة ما تزال عادلة. لن تجد هنا أي أدلة مخفية أو رواة غير موثوقين. مهمتي هي أن أنقل لك كل ما تحتاجه للوصول إلى «لحظة الإلهام» نفسها التي وصلت إليها أنا. بالطبع، لحظة الإلهام هي جزء معتاد في هذه الكتب. في هذه اللعبة الغامضة النزيهة، نصل إلى الإلهام معًا.

مع أخذ كل ذلك في عين الاعتبار، فإن من الأفضل التعامل مع كل هذا وكأنه يشبه تقويم مجيء المسيح. تحتوي الفصول الأربعة والعشرون على أربع وعشرين دليلًا، وأجزاء متنوعة تساعدني في القضية. حسنًا، ثلاثة وعشرون دليلًا وقاتل، لأن أفضل شوكولاتة دائمًا ما تكون خلف الباب رقم أربعة وعشرين. إذا بدأت في الأول من ديسمبر وأخذت فصلًا واحدًا في اليوم، ستتمكن من حل كل شيء بحلول عشية عيد الميلاد، ولكن ليس وكأنني سأكون مشرفًا على هذا الأمر، فالعديد من الناس يُحبون أكل كل الشوكولاتة دفعة واحدة.

أنا مدرك تمامًا لمدى سخرية أن يكون هذا الكتاب ملفوفًا تحت شجرة عيد الميلاد في مرحلة ما، لذا دعونا نبدأ من هناك؛ الهدايا، وهي سبع على وجه التحديد، مكدسة تحت شجرة صنوبر تتساقط إبرها، صناديق، كرات، منشورات كريستالية. إحداها ملفوفة بورق جرائد ومربوطة بخيط، وأخرى عبارة عن صندوق أزرق كبير ولامع، وثالثة ملفوفة بشريط لاصق بشكل عشوائي لدرجة أنها تبدو وكأنها محنطة.

أذكر الهدايا في البداية لأنها ستقدم دليلًا مفيدًا على هوية المتورطين في الجرائم في الصفحات القادمة. قد تكون الجرائم هذه

المرة احتفالية، لكنها ليست أقل تعقيدًا من المعتاد: جريمة قتل ارتُكبت دون لمس الضحية؛ ضحية فُصلت رأسها بواسطة قطعة من الورق، ومشتبه فيه مغطى بالدم، لا يتذكر كيف وصل إليه.

ستة مشتبه بهم. سبع هدايا.

هيا نفتحها!

إلى:

لايل بيرس

من:

سانتا السري

الفصل الأول

- لم أعلم أنه حجز ساحرًا!

هذا يعني شيئًا ما، فبالنظر إلى تجاربي الأخيرة التي تشمل خدش يدي اليمنى وتعرضي للطعن في معدتي وكتفي، فاقتراحٌ مثل أن زوج عمتي آندي -طيب النية، لكن قليل العقل- قد تكفل بحجز ترفيه حفل زفافي قد يكون هو الشيء الذي يؤدي إلى هلاكي. لحسن الحظ، كان اتصال البلوتوث وحقيقة أنني أقود بسرعة مئة كيلو متر في الساعة بعيدًا عن خطيبتي جولييت، هما ما أبقيا على سلامتي الجسدية.

تنهدت جولييت: «أعلم أن نيته طيبة».

مما جعل مكبرات الصوت في السيارة تصدر طقطقة، هذا شيء آخر يتعلق بالعروض الخاصة بعيد الميلاد: في بعض الأحيان لا يستطيع صناع العمل تحمل تكلفة كل الطاقم، لذلك تُقلص أدوار العديد من الشخصيات الرئيسية إلى أصوات أو لقطات تصويرية. هذا الوضع عادة لا ينطبق على الكتب، ولكن ها نحن أولاء. «وأريد أن يكون له دور، ولكن ألم يكن بإمكانك إعطاءه شيئًا أقل أهمية من الترفيه؟ مارسيلو ليس هو من يطهو كعكة الزفاف».

مارسيلو هو زوج أمي، ويطبخ تقريبًا بنفس جودة اختيار آندي لفرق الزفاف.

قلت مدافعًا: «ظننت أنه سيحجز فرقة موسيقية، يا إلهي، رايلان بليز! باسم كهذا، ظننت أنه حجز فرقة موسيقية». كان رايلان بليز مشهورًا بما يكفي لدرجة أن جولييت قد تكتشف أمري، لولا أن معرفتها بالسحرة توقفت عند هوديني: «لقد اكتشفت ذلك هذا الصباح فقط».

- في أي مرحلة من علاقتنا كنت تعتقد أنني سأستمتع بفرقة موسيقية باسم رايلان بليز في حفل زفافي؟

صححتها: «حفل زفافنا».

- ليس إذا كان هناك ساحر.

- هذه ستكون الخدعة إذًا، أليس كذلك؟ العروس المختفية.

على بعد ساعة ونصف من سيدني، تحول الطريق من طريق سريع إلى مجموعة من المنعطفات الحادة، أصعد إلى الجبال بزاوية تدفعني إلى الخلف مقابل مسند الرأس مثل رائد فضاء عند الإقلاع. «ماذا لو سمحت لك بقطع آندي إلى نصفين؟».

كنت بالكاد أرى عينيها تضيقان وأنفها يتجعد بالطريقة التي كانت تفعلها عندما تحاول التظاهر بالغضب مني.

- هذا مقبول، إلى أين تقود السيارة على أي حال؟ الاستقبال سيئ.

- كان عليَّ القيام بجولة سريعة.

« إرنست» قالتها، وكان كل شيء قد انتهى. أنا شفاف كالمشمع بالنسبة لجولييت، كأنها تستطيع أن ترى من خلالي مباشرة. لم أفهم قط كيف يستطيع الناس الحفاظ على علاقاتهم الغرامية السرية.

قلت دون تفكير: «وعدت أن أذهب لمشاهدة هذا الرجل بليز في الجبال».

- الجبال؟ أي جبال؟!

- جبال بلو، إنه يؤدي عرض عيد الميلاد بالقرب من كاتومبا.

كنت أصعد الآن. المنطقة كانت حديقة وطنية مدرجة في قائمة التراث العالمي، وكانت في الواقع هضبة أكثر من كونها سلسلة جبلية، كل شيء من حولي كان متآكلًا إلى وديان، شلالات وغابات. اللون الأزرق الذي سميت به الجبال جاء من الضباب الذي بدا وكأنه يتكثف فوق قمم الأشجار، نتيجة قطرات زيت زهرة الأوكالبتوس المعلقة في الهواء والتي تعكس الضوء بطريقة مميزة.

أشهر معالم المنطقة كانت منطقة الأخوات الثلاث- ثلاث ركائز صخرية عملاقة تراقب الوادي. يقول الناس إن لهذه الركائز شخصيات مميزة تتغير على حسب التوقيت خلال اليوم، من السعادة المبهجة إلى العبوس المظلم. إذا تخيلنا أنهن نساء متجسدات، فقد يكون وقت الغروب -عندما تبدو الملامح الصخرية كئيبة وحزينة- هو الوقت الذي تم إبلاغهن فيه عن وجود عرض سحري تم التخطيط له في زفافهن.

واصلت قائلًا: «أعلم أن هذا سخيف». هذه الجزئية من عذري ستصمد إذا ألقت جولييت نظرة خاطفة على حساباتنا البنكية؛ لقد حجزت مقعدًا لي في العرض. ثم بدأت بإقناعها بالفكرة بقوة.

- هذا هو جانبي من الصفقة؛ سأشاهد العرض، أعطيه فرصة، ثم أخبره أنه ليس مناسبًا لنا. علاوة على ذلك، قال المسكين إنه دفع -اقتبست-عربونًا باهظًا، ووعدته بأنني سأحاول استعادته.

تُصفِّر: «أوه».

- ماذا؟

- لقد أجريت بحثي عنه للتو، كم كان ثمن تذكرتك؟ كيف تحملت تكلفتها؟ وهل هذا الشخص يؤدي فعلًا في حفلات الزفاف؟

خرجت الكلمات بصعوبة، كان عنقي يتعرق: «لم أكن أعلم أنه بهذا القدر من الأهمية، ثم إن آندي له علاقات».

«حسنًا». تطيل في نطق الكلمة بطريقة تعني أنها على وشك الموافقة لكنها لا تزال تقرر إلى أي مدى تشعر بالانزعاج. «هل ستبقى الليلة؟ يبدو أنها مهمة مبالغ فيها ليوم مثل يوم الحادي والعشرين من ديسمبر».

- العرض يبدأ في الثامنة والنصف. ساعة، ساعة ونصف كحد أقصى. سأخرج في الاستراحة إذا طال الأمر.

كانت الشمس في وقت متأخر بعد الظهر تشبه الحمم البركانية، بلون فاكهة اليوسفي في السماء. كانت الجبال ملاذًا للزهور البرية، لقد قضى حر ديسمبر تقريبًا على أزهار الكرز وأشجار الجكرندة البنفسجية المتفتحة، لكنني لا أزال بحاجة إلى تشغيل ماسحات الزجاج الأمامي لأزيل دوامات من البتلات الوردية والبيضاء والبنفسجية. كان الرذاذ في الهواء يبرز لونه الأزرق المميز. التلفريك الأرضي ذو الأرضية الزجاجية كان يسير فوق وادٍ بارتفاع 270 مترًا. كنت أود أن أخبرك أنني لم أضطر إلى التشبث بها بشكل خطير في أي مرحلة، لكن هذه هي حياتي.

قالت جولييت، بطريقة عفوية: «إيرين تعيش هناك، أليس كذلك؟».

يوجد ميثاق الأمانة بين المحقق الأدبي والقارئ، ولكنه، للأسف، لا يشمل الشخصيات الأخرى في القصة. خذ مثلًا، الخطيبات. إيرين هي زوجتي السابقة، والسبب الحقيقي في توجهي إلى الجبال.

«هل تعيش هناك؟». تصرفت بشكل مبالغ فيه كما لو كنت أدخل إلى حفلة مفاجئة كنت على علم بها مسبقًا. هذا الصباح، ومضت في ذهني رسالة إيرين النصية لي: «أنا أحتاجك!». لقد تجاهلت الرسالة وتجاهلت البريد الصوتي التالي لبضع ساعات، ولكن الفضول يدين كلًّا من القطط وعائلة كانينجهام. كنت أحزم حقيبة ليلية قبل أن تنتهي حتى الرسالة المسجلة اليائسة والهامسة.

قاطعت جولييت ذاكرتي: «كان بإمكاننا تسليم دعوة الزفاف لها باليد، إذًا.. اللعنة!».

أنا قاسٍ لأنني أسيء إلى سمعة آندي الجيدة كتمويه لرحلتي. لكن آندي، البستاني سابقًا والمحقق الهاوي بدوام جزئي حاليًّا، لديه اهتمامات مرتبة على النحو التالي: جزازات العشب، القطارات، سحر الهواة، ورياضة المسرح الارتجالي. وهذا يعني أنه من الصعب تشويه سمعته أكثر مما يفعل هو بنفسه. بما أن مشاركة آندي كانت بمنزِلة ذريعة مقنعة بقدر ما أستطيع جمعه لشراء تذكرة لحفل عرض سحري لرايلان بليز، لم أشعر بالأسف حيال ذلك.

«يمكننا دفع ثمن طابع، بالإضافة إلى ذلك، إنه أسبوع عيد الميلاد. من المحتمل أن تكون إيرين مشغولة جدًّا للِّقاء». قلت ذلك وأنا أدخل موقف السيارات في المكان الذي سنفعل فيه ذلك بالضبط.

أنا وجولييت ودَّعنا بعضنا بينما كنت أطفئ المحرك. كانت الحرارة حارقة، والقار يلتصق بالأسفلت بشكل لزج، والرطوبة كانت كجاذبية كوكب المشتري، من النوع الاستبدادي الذي يضغط عليك بما يكفي ليقصر قامتك إنشًا. كنا في وسط موجة حر قاتلة لأي محادثة، وأعني بذلك أن أي حديث خلال الصيف الأسترالي ما هو إلا دبوس يُسحب من قنبلة يدوية بواسطة شخص يقول: «الجو حار، أليس كذلك؟».

كان نصف موقف السيارات مغطى بسجادة ذات رسم متعدد الألوان للزهور البرية، تتحول إلى طلاء بينما كنت أمشي عليها. انحنيت قليلًا بينما أسرعت عبر الباحة خوفًا من أن يراني أحد، فبعد حل سلسلتين من جرائم القتل، أصبحت الآن -مما يسبب لي الإزعاج- شخصية مشهورة بشكل طفيف، وبينما لا يرغب أي شخص أن تتم رؤيته في هذا المكان. إذا التقط أحد صورة لي هنا، كنت أعلم أنه ستكون هناك قصة ما. مكان مثل هذا، مع زوجة سابقة جالسة خلف باب مغلق تنتظرني، ليس مكانًا ترغب في أن يلتقط الباباراتزي صورة لك فيه.

آخر شيء كنت أحتاجه هو مقال آخر في الصحف الشعبية من جوش فيلمان، مدون حالات طلاق نجوم الواقع، ومؤخرًا مدون تحقيقاتي. أعتقد أنه واطسون الخاص بي؛ إذا كان واطسون يسعى لتشويه سمعة هولمز، ولم يكن جيدًا في التهجئة.

كانت غرفة الانتظار مزدحمة بشكل محبط. أزمة الميثامفيتامين[1] في البلدة الصغيرة تجسدت في الزبائن. كانت الكراسي مصنوعة من البلاستيك الرخيص والقاسي، فقررت الوقوف في الطابور بدلًا من الجلوس. شجرة عيد ميلاد مائلة في الزاوية، نحيفة وحزينة، وحقيقة أنها بدت ذابلة رغم أنها مصنوعة من البلاستيك كانت حقيقة مثيرة للاهتمام. حتى الزينة المتدلية لم تستطع أن تلمع تحت أضواء السقف الفلورية. كان هذا مكانًا غريبًا لمحاولة بث البهجة الاحتفالية، فلم يكن أحد يأتي إلى هنا مع عائلته.

(1) الميثامفيتامين هو نوع من أنواع المخدرات عادة ما يأتي على شكل مسحوق بلوري أبيض عديم الرائحة، ويذوب بسهولة في الماء والكحول ويعرف ذلك بالكريستال ميث.

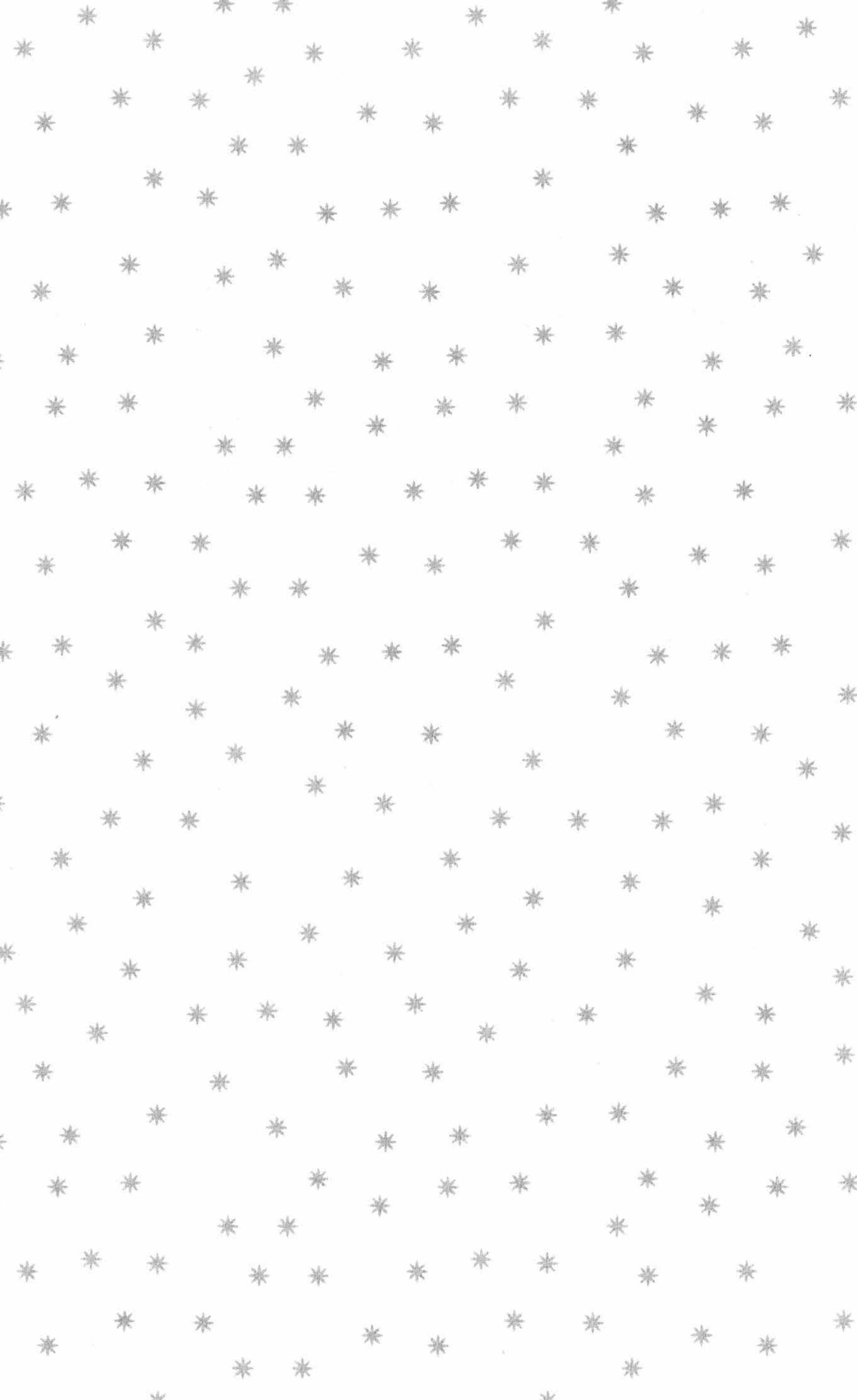
قلت عندما وصلت إلى الأمام: « إيرين كانينجهام!». لقد أعطيت عن طريق الخطأ لقب عائلتي بدلًا من لقب عائلة إيرين التي استعادته حديثًا. «أقصد جيلفورد، أعتذر».

قلبت السيدة أوراق الحجوزات. بدا أنها تجد صعوبة في العثور على إيرين.

قالت: «ساعدني في البحث، لدينا عدة أقسام».

قلت: «أتوقع أنها ستكون في زنزانة الاحتجاز، فقد وُجهت إليها تهمة القتل للتو».





الفصل الثاني

لدى قسم شرطة كاتومبا، إما فهم كامل للقانون وإما متساهل جدًّا، بناءً على السرعة التي وُضعتُ بها في غرفة مع متهم بالقتل. كنت أشعر بخيبة أمل طفيفة: إذ توقعت وجود ممانعة، وقد أعددت دراسة حول كيف يمكن لمحتجز أن يستدعي محاميًا أو صديقًا للاستشارة، لكن لم يكن هناك داعٍ لتعليمي المكتسب حديثًا من جامعة جوجل.

لم تكن تلك غرفة مقابلة ولا زنزانة سجن بالمعنى الدقيق، فإلى جانب كرسي من الألومنيوم كان يوجد سرير بإطار سلكي، وفراش رقيق مثل التورتيلا، وبطانية مهترئة إلى حد قد يعتبر غير لائق إذا ارتديتها. كان الباب مجرد باب عادي مطلي بلون يشبه عصارة المعدة الخضراء المقززة، وليس عبارة عن مجموعة من القضبان. لم تكن إيرين مقيدة، كانت جالسة على السرير، وما تزال يداها ملطختين بالدماء.

لا تأخذ فكرة خاطئة، لم تكن بحاجة إلى منديل. فلم تكن الدماء تتساقط من يديها، لكن راحتي يديها أظهرتا جلدًا ورديًّا باهتًا يجعلها كالمتهمة، ولونًا بنيًّا داكنًا كالسواد تحت أظافرها غير النظيفة. كانت عيناها منتفختين وحمراوين أيضًا. في البداية ظننت أن هذا ناتج عن

الألم الحاد، لكن عند التدقيق تبين أنها قشرة جافة ومتقشرة كطلاء الوجه الرخيص. وكان هناك دم أيضًا.

لقد أعطتني رسالة البريد الصوتي بعض التفاصيل، ولكن الآن تمكنت من تكوين صورة كاملة: إيرين نائمة في السرير. في إعادة البناء الذهني الخاص بي، كانت شفتاها مفتوحتين جزئيًّا، وأسنانها السفلية ظاهرة. لقد تطلقنا منذ عامين، وانفصلنا لفترة أطول، لكنني ما زلت أتذكر وجهها الهادئ النائم جيدًا. أشعة الشمس تخترق الغرفة، ربما يرفرف الستار. لم أكن في غرفة نوم مثل هذه من قبل، لذا فأنا أتخيل تفاصيل جناح فخم تقليدي. كان شريك إيرين الجديد، لايل، رئيس مؤسسة بيرس. لأصفه بكلمة واحدة: ثري. تستيقظ إيرين، تتمدد وعيناها ما تزالان مغمضتين، ثم تفرك عينيها بقبضتيها المضمومتين، تتوقف. شيء ما على وجهها، أنفها يرتعش بينما يتعرف على رائحة المعدن الكثيفة. تفتح عينيها وتنظر إلى يديها.

في الحياة الواقعية، اندفعت إيرين نحوي وعانقتني، وضغطت على عظام كتفي بقوة في البداية، ثم ربتت على ظهري كما لو كانت تتأكد من أنني حقيقي. أخبرتها -رغم أنني لم أعرف إذا كان ذلك صحيحًا- أن كل شيء سيكون على ما يرام. في النهاية، أبعدتُ نفسي عنها وجلست على السرير. أخذتُ الكرسي.

رفعت يديها: «قُبض عليّ متلبسة، أليس كذلك؟».

أستطيع القول إنها تدربت على هذا. لقد اختارت نبرة صوت اعتقدت أنها ستجعلني أكثر تعاطفًا، تذكرني بإيرين جيلفورد التي وضعت خاتمًا على إصبعها الشاحب ذات يوم، وكأنها تقول: **إنها ما تزال أنا.** كنت أرى الحزن والتعب تحت هذا التصنع.

لا بد أنني لم أرد بالسرعة الكافية، لأنها قالت: «آسفة لأنك اضطُررت إلى الحضور».

- كنتِ تعلمين أنني سأفعل.

كان في نبرتها اعتذار وهي تقول: «لم أعرف بمن أتصل».

- مارسيلو محامٍ، تذكرين. فقط في حال واجهتِ -نظرت حول الغرفة، ثم عُدت إلى يديها الورديتين- **مشكلات حقيقية.**

قالت: «أحتاجك أنت يا إرن» كما قالت في رسائلها النصية: «مارسيلو دائمًا يصرخ ويتصرف بطريقته اللاتينية. لا أحتاج إلى كسب الوقت عبر حيلة تقنية. أحتاج إلى شخص يحل المشكلة». توقفت قليلًا: «هل جولييت موافقة على قدومك؟».

تلعثمت: «أنا، آه، لم أخبرها. هي لا تحب عندما أتورط في... جرائم قتل خارج نطاق الزواج».

أعلم تمامًا أن الكذب على بعضنا كان سببًا في انهيار زواجي من إيرين، وهذا لم يكن بداية جيدة لزواجي المقبل مع جولييت، ولكن الاعترافات تشبه جلسات الصالة الرياضية الصباحية؛ لديك نافذة زمنية محدودة للاعتراف، وبعدها يصبح من الصعب عليك استجماع الشجاعة للقيام به بمجرد فوات الأوان.

أصدرت إيرين مزيجًا هجينًا بين الحازوقة والضحك والبكاء، وسحبت البطانية مما أدى إلى انفصال خيطٍ كان على الأرجح يمثل ربع دفئها المتبقي. لاحظت أن شعرها -الذي كان أقصر مما كان عليه في آخر مرة رأيتها- كان مقصوصًا حتى فكها، وكان متشابكًا على هيئة كتل مظلمة مشؤومة. عندما عاد تركيزي إلى وجهها، أدركت أنها كانت تحدق إليَّ بشدة. كانت عيناها محتقنتين بالدم كما لو كانت ملطخة بالدماء.

أدركت أن عدم اهتمامها لم يكن مجرد تصنع لشخصية أمامي، بل كان لا مبالاة حقيقية في مواجهة مشاعر كثيرة جدًّا للاختيار بينها: الخوف، التحسر، ربما الشعور بالذنب، الإرهاق، الحزن، وبالتأكيد الغضب.

مدت واحدة من خصلات شعرها الداكنة بامتعاض: «لم يسمحوا لي بالاستحمام أو تنظيف أظافري. إنها أدلة».

- أعجبني لايل، كان مناسبًا لكِ..

- لا تحتاج لفعل ذلك.

جلسنا في صمت مريح بقدر راحة السرير؛ ليس مريحًا كثيرًا. تفحصت الوقت، الساعة 6:30 مساءً. كان عرض رايلان بليز بعد ساعتين. إذا بدا غريبًا أنني متحمس للَّحاق بهذا العرض السحري بينما أحقق في جريمة قتل، سأخبرك التفاصيل: مؤسسة لايل كانت تنتج عرض رايلان، وكل من عمل معه سيكون في المسرح.

قلت في النهاية: «الجو حار، أليس كذلك؟».

أجابت إيرين: «لم تسألني إذا كنت فعلتها أم لا».

- وهل أحتاج إلى ذلك؟

لأول مرة، ارتسمت ابتسامة حقيقية على زاوية فمها.



الفصل الثالث

- لن أكذب عليك يا إرنست، أعلم الطريقة التي تفضل اتباعها في القيام بذلك. لذا، يلتقي المحقق الصادق المشتبه فيه الصادق. وأريدك أن تعلم، منذ البداية، أنني **أعرف** كيف يبدو كل هذا. بمجرد إعطائك كل الحقائق، والتي هي قليلة بشكل محبط، ستدرك أنني أطلب منك حل أحجية الصور المقطوعة بنصف القطع فقط.

- الحقائق ستفي بالغرض.

- ذهبت إلى السرير قرابة الساعة العاشرة والربع مساءً. كان لايل متأخرًا عني ببضع دقائق فقط. كنت أود القول إننا قرأنا قليلًا لنبدو مثقفين، لكن ذلك سيكون كذبًا، لذا سأعترف أن كتبنا... حسنًا، كتابي أنا والسماعات -هو يحب الكتب الصوتية- كانت في حالة خمول على الطاولة بجانب السرير، وقمنا بما يفعله كل زوجين بالغين: تصفحنا هاتفينا حتى غفونا. كان ذلك قرابة الساعة الحادية عشرة والنصف. استيقظت مرة واحدة خلال الليل وذهبت إلى الحمام المتصل بغرفة النوم. لم أتحقق من الوقت، لكن درجة الحرارة كانت ما تزال حارقة.

عادةً، ربما كان سيراودني الشك في مدى الدقة، ولكن بعد ذلك تذكرت أنها ربما قضت معظم اليوم في مراجعة التفاصيل مع الشرطة، ثم أعادت تحضيرها مرة أخرى لتخبرني بها. بحلول هذا الوقت، كانت هذه قصة مدروسة.

- استيقظت في السابعة وخمسة وأربعين دقيقة. كانت الشمس مشرقة، حارقة بشكل وحشي. ضُبط المنبه على الساعة الثامنة صباحًا، لكنني عادةً ما أستيقظ قبل ذلك بشكل طبيعي. كان مكان لايل في السرير بجانبي فارغًا. هذا ليس غريبًا، إنه يستيقظ مبكرًا.

كانت جملتها التالية مطابقة لتلك التي تركتها في بريدي الصوتي، حتى مع الرعشة في صوتها:

«فركت **عينيّ**، وحينها شعرت بشيء ما. في البداية ظننت أنه مجرد رمص العين بسبب النوم، ولكنني سرعان ما أدركت أنه كان على يدي أيضًا. ثم الرائحة، يا إلهي، الرائحة! يدي والشراشف كانت مغطاة بالدماء. صرخت. جلست هناك وصرخت بأعلى صوتي. لم أفكر حتى في لايل، وأشعر بالخجل من ذلك. كان رد فعلي الغريزي في البداية أن الدم هو دمي، وأن شخصًا ما دخل وجرحني في أثناء نومي لسببٍ ما، وأنني استيقظت لتوِّي في اللحظات الأخيرة من حياتي. لكنني لم أشعر بأي ألم، وتفقدت نفسي بحثًا عن جرح لكن لم أجد أي إصابة. عندها فقط أدركت أن الدم على يديّ قد لا يكون دمي.

«حالما غادرت غرفة النوم، رأيت السكين أعلى الدرج. بدا وكأنه واحد من سكاكيننا، من مجموعة السكاكين في المطبخ، لكنني لم أستطع التأكد وقتها. فقد كان مغطى بالدم حتى المقبض. لم ألمسه. ثم رمشت لتتلاشى هذه الذكرى: «كانت هناك قطرات دم أسفل الدرج».

قاطعتها: «أو أعلى الدرج، هذا أمر نسبي».

ضيقت إيرين عينيها: «هل هذه تقنية؟».

- ماذا؟

- قطع حديث شخص ما. هل يُفترض أن يفقده توازنه الذي أعاد التدرب عليه؟ لتعرقل المشتبه به؟

- هل ستشعرين بالإهانة إذا كان الأمر كذلك؟

أعادت تقييمي بنظراتها، ثم قالت: «لا، كل ما سأفكر فيه هو أنك قد تحسنت كثيرًا فيما يتعلق بأمور المحقق منذ آخر مرة».

سأتوقف هنا لأستذكر القول المأثور الذي يقول إن الأمر يتطلب عشرة آلاف ساعة من الجهد لإتقان مهارة ما في أي مجال. اكتشفت أن هذا ينطبق على التحقيق الجنائي بقدر ما ينطبق على عزف البيانو. وبالطبع، هذا يعني الكثير من الجثث، لذا آملُ أن أعزف شوبان قبل أن أصبح محققًا متمرسًا إلى هذا الحد، وذلك من أجل مصلحة الضحايا. إذا كنت تتابع، فقد أخبرتك أنني قمت بحل جريمة قتل لايل بيرس في صباح عشية عيد الميلاد، لذا أضف ستين ساعة إلى رصيدي. آمل ألا ألتقي أبدًا قاتلًا لديه عشرة آلاف ساعة من الخبرة.

قلت لإيرين: «على أي حال، كنت أقيم حقًّا ما إذا كان الدم يسيل على الدرج من شخص يحمل سكينًا ويسقطه، أو يسيل من الضحية التي صعدت الدرج بعد طعنها. ما إذا كان لايل قد طُعن في الطابق العلوي أو السفلي قد يكون هذا مهمًّا. لكن -انحنيت بنبرة تآمرية- أشكرك على المجاملة. إذًا كنتِ تتبعين الدم...».

فحصتني إيرين. عندما تحدثت مرة أخرى، كانت هناك مسافة حذر في نبرتها لم تكن موجودة من قبل. ما سألتها عنه حقًّا هو ما إذا كانت هي من تحمل السكين.

«لقد تتبعت القطرات». رفعت حاجبها، أيًّا كان اتجاهها. «في الطابق السفلي وجدت...». تنفست: «حسنًا، أنت تعرف ما وجدته».

- أعرف ما وجدتِه، لكنني بحاجة إلى معرفة ما **رأيتِه**.

بدأت تبلع ريقها بصعوبة، وأغمضت عينيها لفترة طويلة. كان بإمكاني أن أرى أنها تبذل قصارى جهدها لتزويدي بالحقائق مع محاولة كبت الذكرى. لقد رأيت عددًا كافيًا من الجثث لأعرف أن تلك المشاهد تبقى عالقة على ظهر جفونك للأبد.

كانت نبرتها خالية من المشاعر -مثل الطفل المرعب الممسوس في أفلام الرعب الذي لا يملك السيطرة على لسانه- عندما قالت: «كان لايل ميتًا. لقد طُعن مرات عديدة. معدته كانت مثل كعكة عيد الميلاد التي سقطت. كان الدم في كل مكان. لقد كتب... حسنًا، أعتقد أنها رسالة، لكنها ستبدو سخيفة إذا قلتها، لذا عليك فقط أن تراها بنفسك. أصبت بالذعر، أرسلت لك رسالة نصية، ثم اتصلت، تركت رسالة صوتية، ثم اتصلت بالشرطة. سيخبرونك أن المكالمة كانت الساعة 7:52 صباحًا. وصلوا قبل الثامنة، كنت ما أزال أبكي عندما أخرجوني من المنزل، ولم أدرك حتى أنهم قد اعتقلوني إلا عندما لم أستطع الخروج من الجزء الخلفي لسيارة الشرطة. أحضروني إلى هنا. استجوبوني، أخذوا البصمات، العينات. وأنا جالسة هنا منذ ذلك الحين ودماء شريكي تصل إلى معصمي، لأنهم أخذوا الصابون تحسبًا لحاجتهم إلى يدي مرة أخرى». كانت مذعورة الآن، الكلمات تتداخل مع بعضها بعضًا. انفجرت الدموع التي كانت تحاول كبحها وكونت مسارات على الدماء الجافة

تحت عينيها. رفعت يديها، كانت ترتعش: «أحاول أن أكون هادئة. لكن منذ جرائم القتل التي نجونا منها في الجبل، بالكاد أستطيع الأكل دون التفكير في الجثث، والرائحة، ووجوههم، لذا فإن عدم غسل يدي هو بمنزِلة تعذيب بالنسبة لي. والآن سيرسلون شخصًا ليقص كل شعري، على ما يبدو أنه دليل. وبعد كل ذلك، بعد أن أخذوا جثته بعيدًا، أعطوني رقم هاتف لخدمة تنظيف. هل كنت تعلم ذلك؟ إذا مات شخص ما على ممتلكاتك، بمجرد أن تجمع الشرطة الأدلة وتلتقط بعض الصور، يوقعون عليها ويعيدونها إليك، ملطخة بالدماء ومهملة، ويقولون لك حظًّا سعيدًا مع دلو وممسحة. والحمد للرب، أشكر **أحدهم** –توقفت لالتقاط أنفاسها– أنك هنا».

انتقلت من الكرسي إلى السرير بجانبها، وربتُّ على ظهرها بيد واحدة بينما كانت تذرف آخر دموعها، على أمل ألا تلاحظ أنني كنت أتصفح هاتفي بسرعة: «لقد أحسنتِ في إخراج كل ذلك». عندما توقفت كتفاها عن الارتعاش، تجرأت وسألت: «هل يمكنني طرح بعض الأسئلة؟».

لم ترفع رأسها، لكن شعرها المتدلي تحرك قليلًا، صعودًا ثم نزولًا.

- هل كان لايل في السرير عندما ذهبت إلى الحمام خلال الليل؟

جلست: «لا أعرف. أتمنى لو كنت أعلم، لكن سرير لايل أكبر من شقتي الأولى. أحيانًا أشعر أنني يجب أن أرسل له بطاقة بريدية من جانبي. ولا أتجه إلى تشغيل ضوء غرفة النوم لكيلا أوقظه. لقد أضأتُ ضوء الحمام الداخلي ولكنه كان معطلًا، لم يعمل. لذا ذهبت في الظلام».

لخصت: «إذًا كان مظلمًا. لا تعرفين الوقت، ولا تعرفين ما إذا كان لايل في السرير أم لا. لم تكوني تمزحين بشأن الأجزاء المفقودة من الأحجية. هل شربت شيئًا قبل النوم؟».

- تقصد، هل كنت ثملة؟

- لا، أقصد أي شيء قد شربتِه عمومًا.

عقدت حاجبيها: «شربت كوب ماء وشوكولاتة ساخنة. لماذا؟».

- هذا هو الوقت الذي تظهر فيه فائدة أن يكون لديك تاريخ مع محقق. بافتراض أنك لم تغيري روتينك منذ تزوجنا، فإن الشوكولاتة الساخنة قد شُرب منها ثلاثة أرباع الكوب الموجود على الطاولة بجانب السرير. تشربينها قبل النوم ولا تنهينها أبدًا.

- يبدو أن هذا وقت غريب لتسجيل نقاط حول عيوب زواجنا. إرن، إذا كنت أنهي نصف الشوكولاتة الساخنة، فأنت تنهي نصف...

رفعت يدي: «لسنا في حاجة إلى خوض مباراة من الإهانات. السوائل عمومًا تستغرق نحو ثلاث ساعات لتحفيز الرغبة في التبول، لكن الشوكولاتة تُعتبر مدرة للبول، مما يعني أنها ستجعلكِ تشعرين بالحاجة إلى الذهاب إلى الحمام بشكل أسرع. لذا، إذا كنتِ تشربين الشوكولاتة الساخنة بالطريقة التي أتذكرها، ووضعنا حالة المثانة في الحد الأدنى من مستوى الإلحاح البولي، فمن المنطقي افتراض أنه إذا كنتِ قد ذهبتِ إلى النوم في الحادية عشرة والنصف، فستحتاجين إلى الذهاب إلى الحمام قرابة الواحدة أو الواحدة والنصف صباحًا».

نظرت إيرين إلي وكأنها لم تتعرف عليّ: «يا للمسيح! إرن، أنت نوعًا ما تبدو كمحقق هذه الأيام، كيف عرفت هذا؟».

«بحثت عنها في جوجل بينما كنت تبكين». لستُ محققًا متمرسًا بما يكفي لأتحدث عن حقائق غامضة كهذه. لكن عشرة آلاف ساعة لا تعني شيئًا مقارنة بالهواتف الذكية.

إلى جانب ذلك، هذه هي ثالث قضية قتل أتعامل معها، لم تعد خطوة كشف الأوراق الكبيرة في النهاية كافية بعد الآن. عندما تكون في سلسلة، يجب على المحقق أن يثبت جدارته في وقت مبكر ببعض البهرجة في

التفتيش. الرجل في المقهى خائن لأن لديه مفتاحًا جديدًا لصالة الألعاب الرياضية على حلقة مفاتيحه، شيء من هذا القبيل. هكذا يبني الكاتب ثقة القارئ في المحقق، وفي الحياة الواقعية، هكذا تبني الثقة مع المشتبه به. هذا ما أفعله هنا، ليس فقط من خلال البحث السريع على جوجل، ولكن أيضًا من خلال وضع سلسلة من الأسئلة المخادعة التي ستقع فيها إيرين. في هذه اللحظة، كان الأمر يسير تمامًا كما كنت آمل، كانت تتجاوب مع كل واحدة منها.

تابعت: «حسنًا. إذًا، بين الواحدة والواحدة والنصف صباحًا تنهضين، تذهبين إلى الحمام، الضوء لا يعمل؟

- لا.

- ثم تعودين إلى السرير؟

- أجل.

- قلتِ إن الجو كان ما يزال حارًّا؟

- حارٌّ جدًّا. غسلت وجهي على أمل الشعور بالبرد.

- إذا كان لايل قد مات منذ فترة، وبالنظر إلى الحرارة، ربما كنتِ ستشمينه حتى من الطابق العلوي.

وافقت: «ربما».

- أفكر في احتمال أن هناك فرصة بأنه -بعد عودتك إلى السرير- جاء شخص ووضع الدم على يديك؟

هزت رأسها بثقة: «أعلم أن هذا ليس علميًّا، لكنني لست من هذا النوع ثقيل النوم. كنت سأستيقظ إذا لمسني أحد». نظرت بحزن إلى السرير كثير الكتل. لم تكن لتنام هنا.

- أتذكر أنكِ تتأثرين بسهولة. ولكن، من باب الجدل، أنت لم تستيقظي عندما غادر لايل السرير.

- أجل، ولكن إذا لمسني أحد...

سألت: «فهمت النقطة. هل ما زلتِ تستمعين إلى الضوضاء البيضاء في أثناء النوم؟ لم أفهم قط كيف تجدين أصوات المرور مريحة؟».

- إنها موسيقى «سكة حديد طوكيو تحت المطر» (Tokyo Railway in the Rain)، وليس «جولة صباح الاثنين إلى المدرسة» (Monday) Morning School Run وهي مريحة، شكرًا جزيلًا. أكثر من صوت السجن، الذي سأجربه الليلة.

- لننتقل إلى الصباح. أفترض أنك لم تلمسي السكين؟

- بالطبع لا.

- لكن سيكون عليها حمضك النووي وبصمات أصابعك، أليس كذلك؟ إذا كان السكين من مطبخك.

وافقتني، ثم خدشت ساعدها: «نعم، أعني، أعتقد أن هذا صحيح. كنت أظن أن هناك سكينًا مفقودًا من مجموعة السكاكين، لكن الأمر كان ضبابيًّا. كنت مشغولة بالبحث عن...»

- انتظري.

بدت مرتبكة: «ماذا؟».

- لا شيء، فقط أقاطعك.

ضيقت عينيها: «ما الذي تخطط له إرن؟».

تجاوزت تعليقها: «عن ماذا كنت تبحثين؟»

- هاتفي، للاتصال بك.

- وهل اتصلت بي أولًا؟ قبل الشرطة؟ لقد استيقظتِ الساعة 7:45. الساعة 7:52 اتصلت بي. أنتِ تعرفين أنهم سيكونون مهتمين بتلك الدقائق السبع. وهم لا يحبون أن يكونوا في المرتبة الثانية.

أخفضت كتفيها: «نعم. أنا أعلم أن هذا خطأ. اعترفت بذلك للشرطة. كان يجب أن أتصل بهم أولًا، لكن، لا أعلم. يستغرق الأمر مني سبع دقائق لاتخاذ قرار بشأن نوع الشاي الذي سأعده. لذلك بحق الجحيم أنا متأكدة أنه يسمح لي بسبع دقائق لمعالجة حقيقة أن صديقي الحميم قد قُتل. بالإضافة إلى ذلك، هل حاولت يومًا استخدام بصمة التعرف على الوجه لفتح هاتفك عندما تكون ثملًا؟ حاول ذلك وأنت مغطى بالدماء».

- لكنك اتصلت بالشرطة في المرتبة الثانية.

قطعت حديثها: «اعتقدت أن هناك شخصًا ربما لا يزال في المنزل. بدا

أن إرسال رسالة نصية هو الخيار الأكثر أمانًا لأبدأ به. بالإضافة إلى ذلك، إذا كنت أنا التالية كنت فقط أريد أن أقول إلى الودا..»».

شعرت بالذنب يتصاعد في صدري. في ذلك الصباح، نظرت إلى الرسالة النصية، طويتها بعيدًا عن نظر جولييت، وتركت المكالمة اللاحقة تذهب إلى البريد الصوتي. «**أنا بحاجة إليك**». لم أكن أعرف حقًّا الإجراءات المتعلقة برسائل الزوجة السابقة لتلك الكلمات الثلاث، لكنني افترضت أن إحداها هو عدم الاستماع إلى البريد الصوتي اللاحق أمام خطيبتك الجديدة. أخرت الاستماع إلى البريد الصوتي حتى فترة بعد الظهر، عندما أدركت على الفور خطورة الموقف. كنت سعيدًا أنها توقفت عن الكلام. لم أكن أعتقد أنني أستطيع تحمل سماع أنني قد أكون آخر شخص أرسلت له رسالة نصية، مع العلم أنني تجاهلتها.

تابعتُ حديثي: «ألم تقومي بعملية الإنعاش القلبي الرئوي؟ ألم تلمسي الجثة؟»

هزت رأسها: «كنت في حالة صدمة. لا أعرف كيف أصف ذلك. وكان من الواضح أنه..» توقف صوتها للحظة: «حسنًا، أنت تعرف».

- ألم تتأكدي؟ لم تتحسسي النبض؟ لم تتحققي من التنفس؟

- كنت في حالة صدمة، وحالته كانت سيئة. عندما تمالكت أعصابي، اتصلت بك، ثم اتصلت بالشرطة. ثم جلست وانتظرت.

- قلتِ إنه ترك رسالة؟

- ليس حقًّا.

- رسالة انتحار؟

أومأت نافية: «كما قلت، يجب أن ترى ذلك بنفسك».

- حسنًا.

- حسنًا؟

- أعتقد أن لدي ما يكفي من التفاصيل.

استجمعت ابتسامة حزينة: «إذًا، ما رأيك؟ أتظن أنك تستطيع حل جريمة قتل أخرى مستحيلة؟».

قلت وأنا أقف: «أعتقد، إن قصتك مزرية».



الفصل الرابع

قلت: «أنتِ تعرفين جيدًا كما أعرف أنا أن هذه القصة تجعلك مذنبة للغاية». كان فم إيرين يفتح ويغلق دون إصدار أي صوت، بينما كانت تتأرجح بين عدم التصديق والغضب. «هناك ثغرات في كل جوانب القصة، ونحن على بعد أربعة أيام من عيد الميلاد. الشرطة سترغب في إنهاء الأمر بسرعة، أنتِ مثل الأرملة السوداء الجاهزة».

«هذا...» .دفعتني بعيدًا وطرقت الباب. «مرحبًا! لقد انتهينا هنا». ثم عادت لي: «هذا غير معقول».

تابعت الضغط: «لقد أعطيتك خيارات لجعل القصة أكثر منطقية. إذا كنتِ قد تذكرتِ فجأة أنكِ رأيتِ لايل في السرير، على سبيل المثال، لكان لديك توقيت أفضل. إذا كان أحدهم قد وضع الدم على يديك بينما كنتِ نائمة، يمكننا النظر في الأمر على أنه مؤامرة، ولكنك تصرين على أنكِ خفيفة النوم. تعترفين بأنكِ لم تحاولي إعطاءه الإنعاش القلبي الرئوي أو وقف النزيف، أو حتى لمس الجثة على الإطلاق، وذلك سيعتبر حينها عذرًا مثاليًّا لتغطيتك بدمه. قدمت لكِ الفرص واحدة تلو الأخرى لتبرير الموقف، ورفضتِ كل واحدة منها وتمسكتِ بأسوأ نسخة من القصة.

حتى عندما حاولت استخدام تقنية التشتيت الأقل دقة مما كنت آمل لإرباكك، تمسكتِ بها».

ضيقت عينيها وقالت: «كنت أعلم ذلك».

- النقطة هي، لا يوجد شيء في قصتك ينفي الاستنتاج الغريب بأنكِ قتلتِ صديقك الحميم بعنف ثم عدتِ إلى السرير. لذا، نعم قصتكِ مزرية. ولهذا السبب أعرف أنكِ تقولين الحقيقة.

فتحت الرقيب الباب. كانت لديها هالة كشهر ديسمبر، كتفان مسترخيتان، وزي غير مكوي. تراقب الساعة حتى نهاية العام. كانت الساعة قد تجاوزت السابعة الآن. كانت لدي ساعة ونصف قبل موعد العرض. رفعت إصبعي طالبًا دقيقة أخرى.

كانت إيرين تبكي وتضحك في الوقت نفسه: «كيف تجرؤ على استخدامي كحبكة لحبس الأنفاس؟».

قلت: «كنت في حاجة إلى رؤية رد فعلك». كان هذا صحيحًا في معظمه. كنت أفكر أيضًا أنها ستكون نهاية رائعة لفصل في الكتاب بينما كنت أفعل ذلك. ربما كان بإمكاني استخدام تعبير أقل حدة. كان هذا أنانيًّا إلى حد ما، لكنه أيضًا يساعدني في حل الجرائم: تخيل أنني أكتب لك القصة، مهما كانت، حتى تتمكن من حلها أيضًا. يساعد ذلك في ترتيب المعلومات. وبالمناسبة، أعلم أنها لا تحتوي على الكثير من أجواء عيد الميلاد حتى الآن. سنصل إلى هناك.

بدأت: «كنتِ تنتظرين السؤال الجريء عن المال...».

هزت إيرين رأسها: «لسنا كذلك في الواقع. وصية لايل أن توزع أمواله على مختلف الجمعيات الخيرية، ويذهب الجزء الأكبر إلى المؤسسة، لا أعتقد أنني جزء منها على الإطلاق. في الواقع، لا أعتقد أن أي فرد كذلك. ليس لديه أطفال».

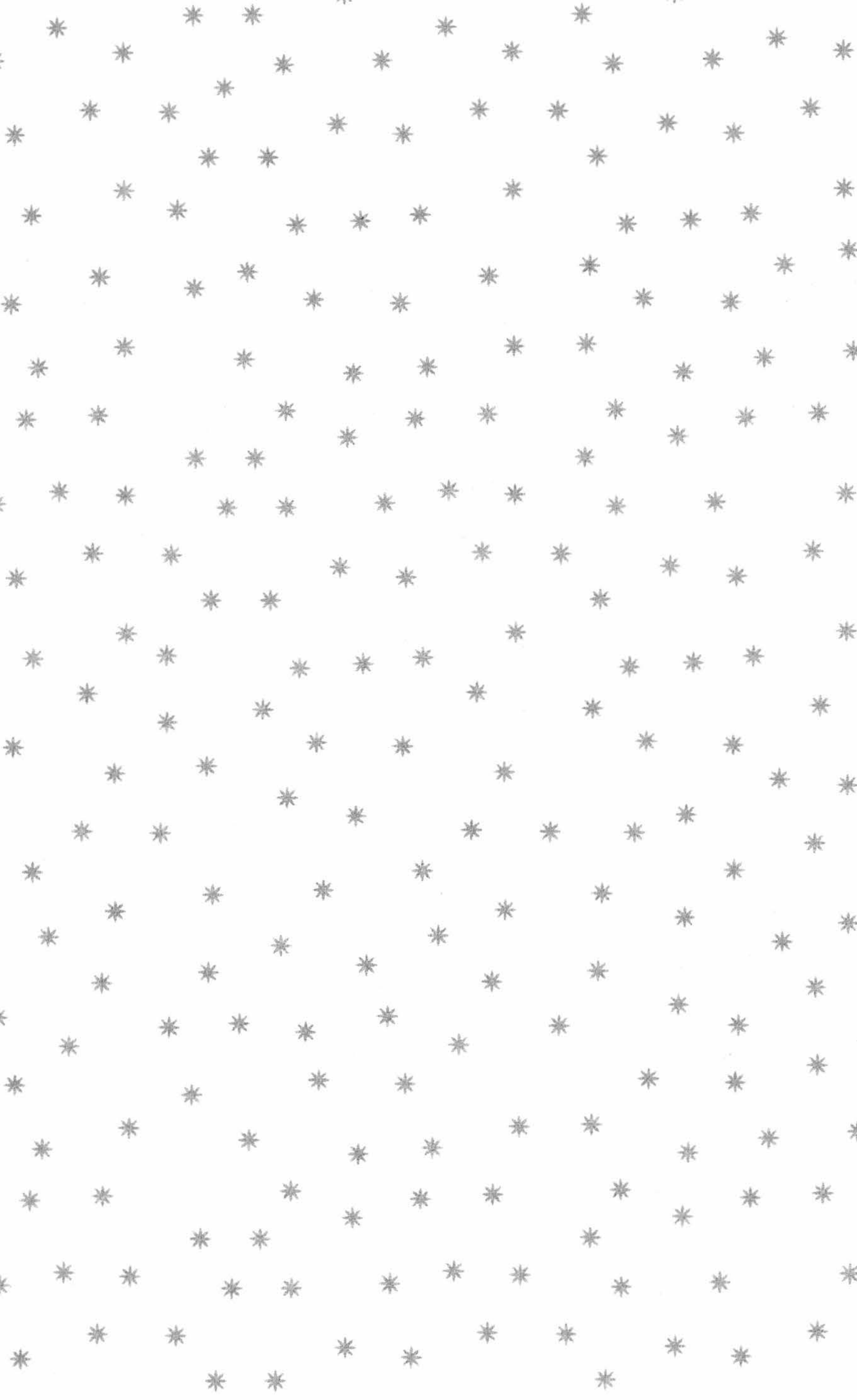
- على الأقل ليس لديك دافع.

كافحت إيرين للنهوض من السرير، ثم أمسكت يدي وضغطت عليها بقوة: «أخبرني أنك تقصد ذلك، من فضلك. إنك تعتقد أنني لا أستطيع فعل ذلك؟ ليس بسبب -أشارت بيدها الحرة- الحيل والأسئلة والألعاب، ولكن فقط لأنك تعرفني. أنا بريئة؟ أنت تعرف أنني لا أستطيع فعل ذلك، أليس كذلك؟».

كان نداءً يائسًا بشكل مفاجئ. **أنا بريئة**؟ سؤال، وليس تصريحًا. للمرة الأولى، شعرت أن الأمر غير طبيعي قليلًا. نعم، كنت أعيش مع إيرين، وأحببتها، وكنت **أعرفها**. أو على الأقل، كنت أعتقد أنني أعرفها. لم تكن لتكون أول فرد من عائلتي يقتل أحدًا ما.

قدمت لها عناقًا مطمئنًا بقدر ما استطعت. ولكن، تمامًا مثلها، في المقابل، لم أستطع تقديم شيء سوى علامة استفهام: «أي شخص يتمسك بقصة سيئة كهذه يجب أن يكون بريئًا، أليس كذلك؟».





الفصل الخامس

في روايات الجريمة غير المُرضية تكون واحدة من أكبر الإزعاجات بعد الكشف عن القاتل وإعادة تمثيل الجريمة، أن تبدو تحركات الجاني-عند التفكير- غير متسقة جغرافيًّا. يحدث هذا بشكل شائع في أفلام التقطيع والتذبيح، عندما يجب أن يظهر القاتل بشكل مميز في مشاهد جماعية، ويظهر فجأة لمهاجمة المراهقين غير المرتابين حالما ينفصلون. لقد رأينا جميعًا المشية البطيئة التي تتفوق على عداء رياضي جامعي بأقصى سرعته. وهذا دون ذكر الوقت الذي يستغرقه لتغيير ملابسه إلى معطف أسود طويل وقناع تزلج (أو قناع سانتا). هذا هو الواقع المشوه الحقيقي، بالتأكيد القاتل هو ببساطة الشخص الذي يحمل حقيبة ظهر تحتوي على ملابس للتبديل بينها.

بدا أن جوش فيلمان قد أتقن فن الانتقال اللحظي المطلوب من العديد من الأشرار في الأعمال الأدبية. تمتع الصحفي بحاسة قوية تجاه القصص هو أمر مطلوب، لكن الأماكن التي ظهر فيها هذا الرجل كانت مذهلة بالنسبة لي. مؤخرًا، قدمت طعنًا على تذكرة ركن سيارة في محكمة محلية، وقد بادر بالكلام على الدرج الأمامي، معتقدًا أن وجودي في المحكمة يجب أن يكون مرتبطًا بمسار من الدماء وأجزاء الجسم،

بدلًا من خلافٍ حول لافتة تحمل العديد من المناطق الزمنية، لدرجة أنها قد تكون بمنزلة الأمم المتحدة. وهذه النكتة لم تسر بشكل جيد مع القاضي.

النقطة هي أنني لا أملك أدنى فكرة عن كيف تمكن فيلمان من الوصول إلى كاتومبا بهذه السرعة، ناهيك بمعرفته أنني سأكون هناك. ومع ذلك، كاد ميكروفونه المغطى بالفراء يقطع رأسي في اللحظة التي خرجت فيها من أبواب مركز الشرطة، وحالما أدركت ما كان يحدث، تمنيت تقريبًا لو أنه فعل ذلك.

الآن لا تفهمني بشكل خاطئ، ليست لدي مشكلة مع الصحفيين. التوثيق الصادق هو ما أفضله، ولكن جوش فيلمان هو بمنزلة الكلب الذي يبحث عن الكمأة في عالم الصحافة، والذي يفخر بكونه الأقرب إلى القصص بدلًا من أن يكون الأفضل في تغطيتها، فعدد الأميال التي يقطعها أكبر من راتبه. أقول هذا بمرارة طفيفة؛ سلسلته عني تسمى «**المحقق المتهور**». وللأسف، كانت هذه سلسلته الأكثر شعبية في الآونة الأخيرة. وها نحن أولاء، مع مطاردته لي في الجبال.

يفعل فيلمان كل شيء بنفسه، لذا كان، كالمعتاد، مجهزًا بالكامل، كانت لديه كاميرا «جو برو» (GoPro) صغيرة محمولة على كتفه؛ كاميرا «عاكسة أحادية العدسة» (SLR) بعدسة كبيرة معلقة حول عنقه؛ وحقيبة ظهر ملأى بكل أنواع الأجهزة التي تصدر طنينًا، يبرز منها ميكروفون معلق على ذراع مفصلية تعلو فوق رأسه وتمتد أمامه. كان هناك زوج من سماعات الرأس تتسلل من حقيبة ظهره «التارديس» (Tardis)، لكنه كان يضع سماعة واحدة فقط في أذنه، وتتدلى الأخرى بجانب رقبته. كل شيء كان باللون الكاكي، بدءًا من حذاء التنزه وجواربه المرتفعة حتى منتصف الساق، وصولًا إلى وشاحه على طراز السفاري.

كانت سترة الصيد وسراويل الكارجو تحتوى على العديد من السحّابات. كان يبدو وكأنه مزيج بين جندي المظلات، وفرقة استعراضات مكونة من رجل واحد. وكان هذا منطقيًّا لأنه، بالنسبة له، كانت الصحافة أشبه بحرب.

قلت له وأنا أبعد الميكرفون: «اتركني وشأني، جوش». كان، كعادته، يتصبب عرقًا ويعاني ضيقًا في التنفس. كان شعره الأحمر المتناثر ملتصقًا برأسه كأنه مشروع فني لطفل. كانت شخصية فيلمان بالكامل تعبر عن **لقد وصلت للتو**.

سار على إيقاع نصف خطوة خلفي: «إرنست! صديقي!». كانت نبرته ودية بشكل مبالغ فيه. أجد صعوبة في معرفة ما إذا كان فيلمان يعاني الوهم ويعتقد فعلًا أننا أصدقاء، أم أنه يسخر مني. واصلت السير. اشتكى جوش: «ماذا فعلت لك؟».

قلت دون النظر إليه: «**المحقق المتهور لا يستطيع حل لغز ركن السيارة**».

ضحك ضحكة خفيفة: «أوه، هيا. تلك المقالة كانت لائحة اتهام لأنظمة مواقف السيارات القاسية. لم تكن **تشويهًا** للشخصية». حاول تقليد مظهر الشخص الذي يشعر بالإهانة: «لن أفعل ذلك أبدًا».

وجه الميكروفون مرة أخرى أمامي. دفعته بعيدًا وسرَّعت وتيرتي.

سارع فيلمان بالسير إلى جانبي: «هل هي بريئة؟». بسبب وزن جميع أجهزته، كان يبدو وكأنه مهدد دائمًا بالسقوط إلى الأمام.

- لا تعليق.

هز رأسه: «لقد كنت زوجها. لا بد أنك تعرف إذا كانت قادرة على فعل ذلك.. أوه! هل شعرت يومًا أنك في خطر عندما كنت زوجها؟ أوه!».

تخيلت أن عقله كان كرة ثلج مليئة بعبارات جذب الانتباه، الحروف جميعها مختلطة بألوان وخطوط مختلفة، كما لو كانت من رسائل فِدية، وفيلمان كان يتبع فقط ما يخطر في باله أولًا. «هل يمكنك أن تقول إنك نجوت بأعجوبة؟».

التفت لمواجهته. استغرقَ الأمر منه نصف ثانية إضافية ليتوقف بسبب الزخم الناتج عن أدواته: «لا تجرؤ على كتابة شيء بذيء كهذا. لقد فقدت إيرين للتو الرجل الذي أحبته. هذا كل ما في الأمر».

«لايل بيرس، نعم». أدركت بعد فوات الأوان أنني فعلت بالضبط ما أراد فيلمان مني فعله، توقفت للتصحيح له، والآن أصبحت لديه محادثة جارية. «فاعل خير محلي من مؤسسة بيرس قُتل. هل قابلته؟».

حاولت أن أكون دقيقًا قدر الإمكان، في حال تم اقتباس كلامي: «مرة أو مرتين. مرتين في حفلات الشواء العائلية، أشياء من هذا القبيل».

- هل أعجبك؟

- لم أكن أعرفه.

- هل كنت مستاءً منه؟ لقد كان يواعد زوج...

«هل هذا حقًّا الطريق الذي تريد أن تسلكه؟» ضغطت على مفاتيح سيارتي، آملًا أن يكون الوميض البرتقالي للأضواء الأمامية كافيًا لإعطائه إشارة أنني سئمت، واستدرت مبتعدًا: «أراك أقرب مما أود، على ما أظن».

وضع يده المتعرِّقة على كتفي: «ألا تريد أن ترى الصور؟».

ترددت: «أي صور؟».

- هل تكره لايل بيرس؟ لأنه مع زوج...

أمسكتُ الميكروفون المتدلي وسحبته: «أي صور؟». أنا لست قويًّا بشكل خاص، لكن الجمع بين الفيزياء والزوايا جعل جوش يفقد توازنه بسهولة. سأعترف أنني شعرت ببعض الرضا لحركات ذراعيه غير المتزنة.

- اتركه! هذا ميكروفون بقيمة ألفي دولار. اتركه، هيا يا رجل! بحق المسيح، حسنًا... الجثة!

«جثة بيرس؟». أعدته إلى توازنه. طوى ميكروفونه، ومسحه، واحتضنه كما لو كان طفلًا وبخته للتو: «كيف حصلت على هذه الصور؟».

- يسافر المصور الجنائي إلى بالي لقضاء الإجازات. أعرف شخصًا في شركة الطيران، رفع درجته إلى درجة رجال الأعمال.

- أرني.

لوَّح بإصبعه: «أنت تتحدث، وأنا أُريك».

تنهدت: «لا. لم أشعر بالاستياء. اعتقدت أنهما شكلا ثنائيًّا جيدًا. كما قلت، لقد قابلته مرتين فقط، لكنني أعجبت بالرجل. أليس الجميع كذلك؟ مؤسسة بيرس تقوم بعمل رائع». لقد كنت أعني ذلك. كان لايل بيرس ممثلًا متقاعدًا تحول إلى فاعل خير، وقد أفادت التقارير أنه أنفق تقريبًا كل ثروته الصغيرة على المؤسسة، التي تساعد الشباب الذين يمرون بأوقات صعبة في أثناء التعافي من إدمان المخدرات. لم يلمس لايل المخدرات في حياته قط، حتى وسط إغراءات هوليوود، لكن في ذروة مسيرته المهنية، تعرض شقيقه -في مسقط رأسه في أستراليا- لجرعة زائدة من الكوكايين الذي خُلط سرًّا بالهيروين. تخلى لايل عن مسيرته المهنية تقريبًا بين عشية وضحاها، تاركًا وراءه دورًا مميزًا لأداء شخصية بطل خارق شهير. وبعدها، بدأ في تأسيس المؤسسة قريبًا

من ذلك الوقت. بعد ذلك. كانت طريقته فريدة من نوعها، كان يعتقد أن المفتاح الحقيقي للإصلاح طويل المدى هو إشعال نار الشغف داخل الناس. كان يعتقد أن هذا الشغف يمكن أن يطغى على إغراءات الإدمان، وكان يظن أن تلك النار يمكن إشعالها بشيء واحد: المسرح. قد تكون فلسفته غريبة بعض الشيء، ولكن يُحسب لـ «لايل» أنها بدت ناجحة. وأجل، أعرف عنه أكثر مما ينبغي، لكن من لا يراقب شريك زوجته السابقة؟ رفعت يدي مستسلمًا: «هل أنت راضٍ الآن؟».

سأل جوش: «إذًا، ستذهب الليلة؟ سيُوجد العديد من الأشخاص المشاركين في المؤسسة. إنه مكان جيد لجمع المشتبه بهم».

قلت ذلك متوقعًا أن يزداد طول أنفي قليلًا: «أنا من معجبي رايلان بليز».

«لم أتمكن من الحصول على تذاكر». بدأ جوش يبحث في جيب صدريته حتى وجد منديلًا، وبدأ يمسح جبينه. لقد فوجئت أن ذراعًا روبوتية لم تخرج من حقيبته لمسح جبينه نيابة عنه.

- سأرى ما يمكنني فعله.

- حقًّا؟

«لا يا جوش. أنا لست في مهمة، أنا فقط معجب كبير بـ ...» حاولت تقليد عمي آندي بصعوبة وأنا أقول: «السحر».

ضحك جوش بسخرية: «لا يمكنك أن تؤمن بالسحر. هذا يتعارض مع أخلاقيات العصر الذهبي الغامض، أليس كذلك؟ تلك القواعد التي تتحدث عنها دائمًا». بدأ يعد على أصابعه: «لا شيء خارق للطبيعة. التوائم المتطابقة غير مسموح بها. ولا يوجد سحر».

كان محقًّا. «أنا لا أؤمن أن السحر حقيقي، لكنني أؤمن أن السحرة موهوبون في الخداع. هذا كل ما يفعله القتلة، إنهم خبراء في الإيهام. إذا كنت تريد الإفلات من جريمة قتل، لديك خياران. يمكنك أن تجعل الأمر كما لو أنك لم تفعلها، أو تجعلها تبدو كما لو أن شخصًا آخر فعلها. هذا هو كل ما يتعلق به الخداع».

- إذًا، رايلان بليز هو المشتبه به بالنسبة لك إذا كنت تعتقد أن جميع السحرة قتلة؟

«أعتقد أن كل القتلة سحرة، وليس العكس». فكرتُ، كيف يمكن أن يبدو هذا في النشر: «لا يمكنك كتابة ذلك أو أيٍّ من هذا. بالمناسبة، كل هذا خارج التسجيل».

ابتسم جوش: «كان عليك قول ذلك قبل أن نبدأ». لاحظت الضوء الأحمر الصغير الذي يومض من كاميرا كتفه.

- هل يجب ذلك؟

أومأ بكتفيه: «كيف من المفترض أن أعرف؟ إيقاف، تشغيل. ليس كما لو كان هناك مفتاح. يرى الناس الأفلام، ويعتقدون أنك عندما تقول ببساطة: «هذا خارج التسجيل» ينتهي الأمر. لكني إذا سمعت شيئًا مثيرًا للاهتمام، فأنت متأكد تمامًا أنني سأسجله».

لم أستطع تصديق أنني على وشك محاولة استمالة ضميره الداخلي، لكنه كل ما لدي: «أعطِها فرصة فقط. سأمنحك الأمر بشكل حصري بعد ذلك».

- بعد ماذا؟

- بعد أن أجد القاتل.

ألقى علي نظرة ذات طابع ساخر: «إذًا، أنت تحقق! بالتأكيد هذا خارج التسجيل. وأيضًا...» احمرت وجنتاه من الإثارة: «أنت تعتقد أنها بريئة». اتسعت عيناه من الإثارة: «ما الذي أخبرتك به لتكون في صفها؟ أراهن أنها نسيت أن تذكر لك أنها تعاني الكوابيس، أليس كذلك؟ المشي في أثناء النوم؟ قال معالجها إنها تعاني اضطراب ما بعد الصدمة بسبب ما حدث في الجبل. ربما انهار...

«معالجها ليس معالجًا جيدًا إذا أخبرك هذا عن أحد مرضاه». في الحقيقة، قلت هذا فقط لأنني لم أكن أعرف بالفعل عن أمر المشي في أثناء النوم، وهذا أخافني قليلًا. لقد ذكرت إيرين أنها لم تستطع التخلص من ذكرى الجثث على الجبل منذ سنتين ونصف. نفسيًّا، إلى أي مدى يمكن لشخص أن يتحمل قبل أن ينهار؟ لم تكن هذه محادثة أود خوضها مع صحفي من صحيفة في متناول يد كل الأشخاص.

- حسنًا، معالجها لديه فتاة صغيرة أرادت تذاكر لحفل تايلور سويفت.

قلت: «لا أعتقد أن الكوابيس والمشي في أثناء النوم كافيان لارتكاب... حسنًا، هذا الأمر». لكن جوش كان يستطيع سماع التردد في صوتي. لعق زاوية فمه، كأنها لمعة لسان مفترس.

قال : «الأمور لم تكن وردية في المنزل أيضًا، لايل لم يشعر بالأمان. اتصل للإبلاغ عن جريمة قتل أمس».

جذب هذا انتباهي، وكان جوش يعرف ذلك أيضًا. فرشفَ بلهفةٍ بعضَ ارتباكي.

سألت: «أمس؟ من الذي مات؟».

هز فيلمان رأسه: «لا أحد. بيرس اتصل ليبلغ عن جريمة قتل وشيكة».

ظننت أنني سمعت بشكل خاطئ: «وشيكة؟».

هز جوش كتفيه: «بالضبط. غريب، أليس كذلك؟ لقد اتصل على جهاز الرد الآلي، مما يعني أنه لم يرغب في ترك الكثير من التفاصيل المسجلة، لقد كان خائفًا فقط من احتمالية حدوث جريمة قتل. وهذا هو وقت عيد الميلاد. الشرطة تعاني نقصًا في الموظفين، والاتصال به مرة أخرى كان سيكون على قائمة مهام شخص ما، لكن من الصعب إثارة الضجة بجريمة قتل عندما لا توجد ضحية. الشرطة لا تتصرف بناءً على الهواجس-تنفَّس- ربما أرعبته تيريزا، فهي جيدة في تلك الأمور المثيرة للغضب». قبل أن أتمكن من سؤاله عن هوية تيريزا، واصل الحديث: «سواء كان الأمر نفسيًّا أم لا، قل لي، ألا يبدو لك هذا رجلًا خائفًا مما ينتظره في المنزل؟».

قلت ورأسي يدور: «أن لايل أبلغ عن **جريمة قتله**، قبل يوم من وفاته!».





الفصل السادس

وضع جوش يديه على خصره، مسرورًا لأنه فاجأني: «**هذه** قصة!».

فحصته: «أنت تبيع الصحف إذا حللت الجرائم، أليس كذلك؟ لكن كلما كانت القصة فاضحة أكثر، كان البيع أفضل. في البداية، اعتقدت أنه من الغريب أن تكون صريحًا معي. لكني أعتقد أنك تختار إخباري بالأشياء التي ستبني أفضل قصة لديك. ستكون القصة أفضل إذا حاولت سجن زوجتي السابقة بدلًا من تبرئتها. كيف لي أن أثق أنك تقدم لي القصة الكاملة، وليس فقط التفاصيل -المشي في أثناء النوم، مكالمة لايل الهاتفية- التي تجعل إيرين تبدو مذنبة؟».

قال جوش بامتعاض: «صدق ما تريد، أنت لست مخطئًا بشأن البيع ولكنه بعدد النقرات الآن، وليس الصحف، تابع ما هو جديد، لكنك مخطئ بشأن ما **يُباع**. لهذه القصة تأثير على المدى الطويل سواء حللتها أم لا، بغض النظر عن الجانب الذي تتخذه. كنت أعلم أن تلك الحقائق ستثير اهتمامك، لذا أخبرتك بها». رفع يديه: «توقفت ألاعيبي عند هذا الحد».

- إذا كنت تعرف كل الأدلة، لماذا لا تحلها بنفسك؟

أظهر جوش ابتسامة سوداوية: «هناك قصتان هنا يا صديقي. واحدة إذا حللت الأمر، والثانية إذا متَّ وأنت تحاول». فرك أصابعه معًا في إشارة للحركة العالمية للنقود: «مرحبًا، على الأقل أنا صادق».

تفاجأتُ بشعوري بقليل من الاحترام لصفاء نيته. أيًّا كانت دوافعه، فهو لم يظهر أي سبب ليبيعني الأكاذيب، لذا كانت معلوماته تستحق البحث: «من أخبرك تقرير لايل حول إبلاغه عن جريمة القتل؟ لا، انتظر. أفترض أنه أحد الضباط من محبي فرقة كولدبلاي».

- في الواقع، إنه من محبي كتاب مورمون[1].
- هذه هي قمة الصحافة غير الأخلاقية.
- شكرًا لك.
- لم أقصد هذا كمجاملة.

«إذًا، ألا تريد الصور؟». لم تكتفِ نظرة الاعتزاز على وجه فيلمان بالظهور، لقد كانت تركض إليه. في تلك اللحظة، حققت رقمًا قياسيًّا عالميًّا. «الناس بسطاء يا إرنست. كلهم يريدون شيئًا ما. كل ما أحتاجه هو معرفة ما هو ذلك الشيء وإعطاؤه لهم. أنت تريد الصور، المصور يريد إجازة فاخرة، ورجلي يريد... حسنًا، لا أحتاج أن أخبرك ما يريده صديقي في شركة الطيران».

عقدت ذراعي: «لقد حصلت على ما تريده. لقد تحدثت، الآن أرني الصور».

بدأ يبحث في جيوبه حتى وجد هاتفًا في أحدها -استغرق الأمر عدة محاولات، أخرج في طريقه في أثناء تلك المحاولات بار بروتين،

(1) كتاب مورمون هو كتاب مقدس لكنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة.

وورقة مناديل مستعملة، وقلم إبينفرين[1]- ثم بدأ يضغط على الهاتف. شعرت باهتزاز هاتفي في جيبي، لم أكلف نفسي عناء السؤال عن كيفية حصوله على بريدي الإلكتروني، على الأرجح، أحد العاملين في جوجل أراد حجزًا لعشاء في مكان حصري.

قلت بنفاق: «شكرًا». ودخلت السيارة.

طرق فيلمان على النافذة: «انتظر». كان صوته مكتومًا. فتحت النافذة إنشًا. «لم أخبرك حتى الجانب الحقيقي بعد».

تنهدت: «أبهرني».

- الأمر يتعلق بك.

حركت إصبعي باتجاه زر النافذة: «كن مطمئنًّا. لأول مرة، الأمر لا يتعلق بي».

- أنت لا تستمع. هل هذه هي جريمة القتل الثالثة لك الآن؟ ثالث لغز تحاول حله؟

هززت كتفي. من الناحية الفنية، هذا يعد عرضًا خاصًّا بعيد الميلاد، مما يجعله جريمة ونصف، لكن لم أكن أرغب بالخوض في التفاصيل الدقيقة: «ما وجهة نظرك؟».

- أنت الآن محقق في سلسلة. لديك قانون، وهذا يعني.. -أدار أصابعه في الهواء- أنه حان الوقت لأن يكون لديك عدو لدود.

تأملت الكلمة: «عدو لدود؟».

---

(1) هو جهاز طبي يستخدم لحقن جرعة أو جرعات معينة من إبينفرين -يُعرف بالأدرينالين أيضًا- باستخدام تقنية الحاقن الآلي.

- شرير، عدو رئيسي. كل محقق عظيم لديه واحد. نظيرك في الذكاء، المهارة، والعقل. والذي بالنسبة لك، حسنًا... ليس هذا موضوعنا. هل ترى؟ موريارتي[1]. السيد إكس.

يمكن القول إن دور موريارتي كخصم لهولمز كان مبالغًا فيه من قبل الاقتباسات الحديثة. وكذلك السيد إكس، الذي ظهر فقط في رواية بوارو[2] الأخيرة. في الأعمال المكتوبة، هؤلاء الأشرار يظهرون مرة واحدة فقط، وليسوا موضوعًا لمطاردة مستمرة، لكن إرثهم ليس في لعبة القط والفأر، بل فيما يسلبونه من الأبطال. هولمز يضحي بعقله، وبوارو، ببساطة، يغير ولاءه. الخصم ليس ذلك الشخص الذي يضاهيك ذكاءً أو يكون متساويًا معك، بل من يجعل المحقق أقل شأنًا.

هل سأكون مختلفًا في نهاية هذه القصة؟ حسنًا، سأكون قد تعرضت لإطلاق نار في صدري. إذا كان هذا يُحسب.

كانت عينا فيلمان الصغيرة الحادة تنتظر موافقتي. لم أكن لأمنحه هذا الرضا: «لقد أتممت قراءتك، لكن هذا سخيف».

- فكر في الأمر! الآن، لقد أصبحت مشهورًا، ربما يستخدم شخص ما جريمة قتل ليستدرجك؟ ليجعلك تتولى القضية، **ليختبرك**.

رفعت النافذة: «الشخص الوحيد الذي يتبعني هو أنت».

أصر فيلمان : «أنا في صفك!». تركت مفاصل أصابعه آثارًا رطبة على الزجاج وهو يطرق عليه: «أريدك أن تحل هذه القضية». بدأ يتوسل

---

(1) جيمس موريارتي: هي شخصية خيالية من تأليف الكاتب والطبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل وعدو هولمز ومنافسه.

(2) أحد أعمال الكاتبة أجاث كريستي تحت عنوان «تحققيقات بوارو».

مرة أخرى بشكل صادق: «فكر في الأمر بجدية، ماذا لو لم يكن الأمر متعلقًا بلايل؟ ماذا لو كان متعلقًا بإيرين؟».

شغلت الراديو ليطغى على صوته، وحركت شفتي بحماس من خلف الزجاج: «**لدي عرض يجب أن أذهب إليه**».

من المؤكد أن اللقطات لما حدث بعد ذلك ستستخدم في الفيلم الوثائقي المستقبلي. فقد حشرت الميكروفون المعلق الخاص بفيلمان بالباب عن طريق الخطأ عندما أغلقت النافذة، سحب الجهاز كله فيلمان من قدميه وجذبه إلى جانب السيارة. لحسن الحظ، كان الذراع قويًّا بما يكفي ليرفعه عن الأرض، مما حال دون تعرضه للاحتكاك بالحصى. لم أر أيًّا من هذا -سأشاهده لاحقًا في لقطات كاميرته المثبتة على الكتف- ولم أدرك ما حدث إلا عندما سمعت الصوت الهائل لاصطدام جسده بالباب. عندها ضغطت على المكابح، وأنزلت النافذة، مما أطلق سراح الميكروفون وفيلمان، وأسرعت بالخروج من السيارة لمساعدته على النهوض.

تمتمت: «أنا آسف جدًّا». لم أكن أحب هذا الشخص، لكنني واثق للغاية أنني لم أرغب في دهسه: «لم ألاحظ».

قال: «واو». ثم بدأ يكررها مرارًا وتكرارًا: «واو. فقط... واو».

تساءلت إن كان في حالة صدمة. ثم نظر إلي مباشرة: «إرنست كانينجهام...». قال ببطء كما لو كان يتذكر من أكون للتو. ارتجاج في المخ؟ بدت عيناه خافتتين بعض الشيء. عندما كنت على وشك إدخاله السيارة حتى أتمكن من أخذه إلى المستشفى، ظهرت ابتسامة كبيرة على وجهه: «إرنست كانينجهام... **يهاجمني**!». استدار فجأة، وابتعد وهو يملي على نفسه: «ها أنا هنا، مشغول بشؤوني الخاصة، عندما

يهاجم المحقق المهمل بنفسه، إرنست كانينجهام، مراسلكم الشجاع. يجري العنف بوضوح في دم هذه العائلة».

رجعت إلى السيارة، تفحصت هاتفي ورأيت بريدًا إلكترونيًّا من فيلمان يحتوي على مرفقات بصيغة «جي بي إي جي» (JPEG). لقد وفى بجزئه من الصفقة، لكن يديَّ كانتا ترتجفان بشدة لدرجة أنني لم أتمكن من فتحها. لم أكن أعرف أن الميكروفون الخاص به كان محشورًا في الباب. هل كنت أعلم ذلك؟

يجري العنف بوضوح في دم هذه العائلة.

هل يمكن لأجسادنا أن ترتكب أفعالًا تخفيها عقولنا عن وعينا؟ هل تسببت الصدمات الناتجة عن جميع الجرائم التي شاهدتها في زرع العنف داخلي مثل الديدان في الفاكهة؟ وإذا كان العنف بداخلي، فهل هو أيضًا بداخِل إيرين؟

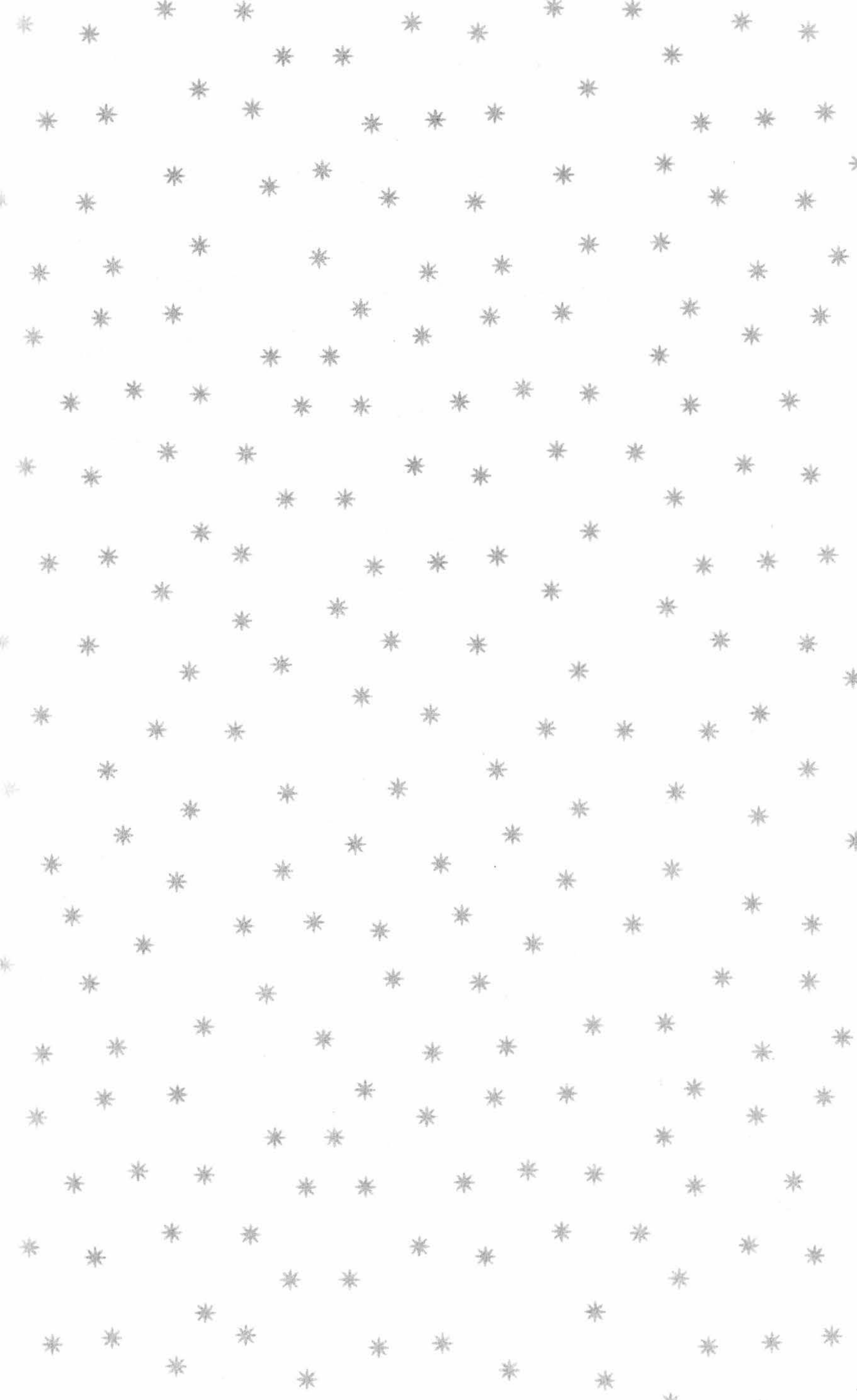
لقد فاجأت نفسي بالصراخ بنبرة طويلة ومحبطة: إذا كتبتها على شكل حوار، لكان سيحتوي على جميع الحروف المتحركة. كان شعورًا جيدًا أن أخرج ما بداخلي. عبر موقف السيارات، ترنح فيلمان، وارتجف، وفرك صدغه. ذكَّرتُ نفسي بأن أجبره على إجراء فحص ارتجاج المخ عندما أراه في المرة القادمة.

أدرت نظريته في ذهني، وجدتها غير مُرضية. إحدى ميزات العدو اللدود هي أنه لا يُحركه الدافع. إن ما **يريده** -كما يقول فيلمان- هو مطاردة المحقق، والجثث التي تتناثر هي مجرد فتات خبز، تجعل الألغاز غير قابلة للحل بشكل معقول. لغز جريمة قتل حيث لا يمتلك القاتل أي دافع! حسنًا، هذا لن ينجح بشكل جيد، أليس كذلك؟

بقدر ما حاولت، لم أتمكن من استبعاد كل ما قاله فيلمان. كان منطقه سليمًا حتى وإن لم يكن استنتاجه كذلك. بينما كان من السخيف أن يكون كل هذا متعلقًا **بي**، هذا لا يعني أنه يجب أن يكون متعلقًا ببيرس.

ماذا لو لم يكن أحدهم يريد موت لايل بالضرورة ولكنه أراد فقط أن يبدو الأمر كما لو أن إيرين قتلته؟





إلى:
فليسيتي هيرينفتون

من:
كريس كرينجل

الفصل السابع

قبل الانطلاق من موقف السيارات باتجاه الشارع الرئيسي لطريق المسرح تحققت من وجود أي لزوجة لبرنقيل[1] الصحفيين. كانت حدود البلدة نفسها تلتف حول حواف الهضبة. وتوجد أبرز نقطة منحدرة في مكان يسمى «إيكو بوينت» (Echo Point)، حيث يزدحم السياح في أبراج المراقبة فوق الوادي، بعمق أربعة أو خمسة صفوف في مقابل السياج المزخرف بالشرائط. كانت تقطع ثلاث أصابع طويلة من الظل قمم الأشجار على بعد مئات الأمتار بالأسفل، ألقت «الأخوات الثلاث» (three sisters) تلك الظلال، وهي نتوء صخري متعرج يشبه أكثر العمود الفقري لديناصور الستيجوصورس من كونه يشبه الأخوات. على الجانب المقابل من الوادي، كان هناك شلال يصب المياه نحو الأعلى في مشهد من المستحيلات، كانت الرياح قوية لدرجة أنها تلتقط تدفق المياه من الهاوية وتعيده إلى قمة الجرف. شلال مقلوب يصب في السماء. كان يبدو، من بين كل الأشياء، كالخدعة السحرية.

(1) البرنقيل هو محار يعيش في المياه المالحة، يلتصق بالأشياء تحت الماء. ويوجد على دعامات أرصفة الموانئ والصخور والسلاحف والحيتان وقيعان السفن. وهي كناية عن التصاق الصحفيين به.

مسرح بيرس كان عبارة عن نصف كرة زجاجية منحنية تميزت بمظهرها الذي يشبه صدفة بحرية نصف مدفونة. أما العوارض الفولاذية برتقالية اللون مصممة بشكل فني، المغطاة بالصدأ، فتمثل الفتحة الكبيرة عند المدخل. في حادثة مشهورة، حصلت بلدة كاتومبا على إضاءة كهربائية قبل مدينة سيدني الكبرى بأربعة أيام، وربما كعقاب، حصلت على كل شيء آخرِ بعد ذلك بأربعة عقود. الفنادق في المنطقة لها مداخل بأعمدة تمتد عبر ممرات طويلة، تفتح على سلالم ضخمة وثريات متلألئة، بينما تحتوي بيوت الضيافة على ورق جدران متقشر وغرف شاي، وأعمدة الإنارة المصنوعة من الحديد المصبوب التي تصطف على طول الحدائق لتبدو وكأنها مأخوذة مباشرة من فيلم «طارد الأرواح الشريرة» (The Exorcist)، وكان هذا الهيكل الزجاجي الملتوي لمسرح بيرس يبدو وكأنه مركبة فضائية قد هبطت للتو.

وصلت قبل العرض بنصف ساعة، كان هناك أشخاص يتجولون في البهو مرتدين رابطات عنق سوداء وفساتين من الستان تبدو كالسائل، وزجاجات البيرة تتعرق في أيديهم. كانت المظلة الزجاجية العالية عند المدخل مغطاة بأوراق نبات الصمغ، التي كانت ترشح الضوء عبر الأرض بشكل متمايل.

كانت لافتات ضخمة تحمل صورة رايلان بليز معلقة على طول النوافذ الأمامية العالية. كنت قد رأيته على الموقع الإلكتروني عندما حجزت التذاكر، لكن النسخة التي يبلغ ارتفاعها عشرة أقدام كانت شيئًا آخر. كان لديه شعر أشقر بلاتيني مع جذور سوداء، وخط رفيع من اللحية مشذَّب بدقة يبرز خط الفك، ويبدو كمسار من النمل. كان يرتدي صدرية بنفسجية لامعة فوق قميص أبيض يفتقر إلى الأزرار والبراعة، مفتوح على صدر خالٍ من الشعر، مع لمسة خفيفة من العضلات

المصممة رقميًا. كانت الإطلالة الكاملة مكتملة بهالة سوداء فحمية، وابتسامة بيضاء ساطعة تبدو بشكل مريب، وكأنها تحتوي على أسنان شخص آخر. في إحدى يديه كان يحمل أرنبًا، يبدو عليه تعبير ذهول كاريكاتيري سخيف. كانت يده الأخرى مفتوحة الكف لاستقبال صاعقة تنزل من قمة اللافتة. تحت قدميه -أحذية جلدية سوداء مصقولة بشكل لامع، بلا جوارب- كان اسمه مشتعلًا بالنار. كان إعلان العنوان الفرعي كالآتي: «استعد لتؤمن». تحت ذلك، بحجم خط أصغر يفترض أنه تم التفاوض عليه في العقد: «مقدم بالتعاون مع إنغما إنترتينمنت». وبحجم خط أصغر مرة أخرى: «**في عيد الميلاد هذا، تبرع بسخاء لمؤسسة بيرس. الشغف يخلق التغيير**».

لأكون صادقًا، لم يكن رايلان بليز مشتبهًا به بشكل كبير، لكنه كان فكرتي الوحيدة عن المكان الذي يجب أن أبدأ منه. عمل الأشخاص الذين كانوا يتلقون التأهيل من خلال مؤسسة لايل في المسارح التي بناها بنفسه. كانت طريقته تعتمد على شراء مساحات واسعة من الأراضي في المناطق الريفية، وبناء مجمعات تجعل حتى المسارح الاحترافية في ملبورن أو سيدني تبدو كإنتاجات في قاعات المدارس. الحدث المميز كل عام كان جولة وطنية سنوية، مدعومة وموظفة من قبل قصص نجاح مؤسسة بيرس، تشمل ثمانية مواقع على مدى ثلاثة أسابيع ونصف، وتُختتم بالحفل الختامي الرسمي في عيد الميلاد في المسرح هنا في كاتومبا، حيث بدأ كل شيء. لايل دفع مبالغ كبيرة لجذب عروض ذات شهرة عالية. عرضُ العام الماضي لممثل كوميدي كان على وشك الإلغاء بسبب قوله أشياء جارحة على الإنترنت، لكن سينتهي به المطاف ليصبح أكثر شهرة بعد قوله أشياء جارحة أكثر عبر الإنترنت حول كيف لم يعد بإمكانهم قول أشياء جارحة على الإنترنت.

ما أقصد قوله هو أنه من غير المحتمل أن يقتل أحد المشاهير الشخصَ الذي يقدم له الدعم. حتى لو كانت جريمة يكون فيها المشتبه به مغطى بالدماء دون علمه في أثناء نومه خلال عملية قتل، تبدو وكأنها حيلة تناسب ساحرًا. بعيدًا عن المشتبه بهم غير المحتملين، رأيت أن العرض كان مكانًا جيدًا للتعرف على مؤسسة بيرس، وربما مقابلة بعض الأشخاص الذين كانوا يعرفون لايل.

- إرنست!

تفاجأت عندما سمعت نداء اسمي بين الحشد. كان من الصعب تحديد مصدر الصوت وسط كل تلك الأصداء المترددة من الزجاج، لكن في النهاية رأيت شعرًا على هيئة كعكة شقراء مثبتة بعيدان تتمايل فوق رؤوس الحشد كزعانف سمكة قرش. في فيلم «الفك المفترس» (jaws) السببُ الوحيد لعدم ظهور الوحش كاملًا في معظم الأحيان هو أن الإنتاج كان يعاني عيوبًا في القرش الميكانيكي. اضطر صانع الأفلام سبيلبرغ إلى التصوير حول هذه الهفوات، وبذلك عرفنا حقبة كاملة من الإثارة السينمائية. تذكرت ذلك هنا، وأنا ألتقط لمحة من المرأة القادمة بين عظام الأكتاف وأظهرُ بدلات السهرة: أحمر شفاه بنفسجي، عين واحدة مغطاة بظلال خضراء، أظافر مطلية بالتناوب بالأحمر والأخضر، ملتفة حول كأس نصف مملوءة من الشمبانيا. بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلي، كنت قد رسمت في مخيلتي توقعًا تجريديًّا لامرأة ملونة بأسلوب بيكاسو، لكنها لم تتطابق على الإطلاق مع الواقع. كانت ترتدي ثوبًا أسود بالكامل. عند إجراء فحص أقرب، كانت جميع اللمسات البارزة لألوان عيد الميلاد في ملابسها مضافة بالإكراه، كأنه الحد الأدنى المتفق عليه للاحتفال. مدت يدها بزاوية قائمة بسرعة وجمود، شعرت وكأنني اشتريت يدها للتو من آلة بيع: «كنت أتساءل متى ستصل، فليك».

استغرقني الأمر لحظة لأدرك أن هذا كان اسمها وليس تعليمات: «إرنست»، قلت وصافحتها: «لكن هل تعرفين ذلك؟».

«بالطبع. لقد قرأت كتبك. جثة ميتة في المدينة، وطليقتك مشتبه بها، اعتقدت أنها مسألة وقت حتى تظهر هنا لتُجري التفتيش. سعيدة بوجودك هنا. الشرطة ستُفتش كل زاوية من هذا المكان ببطء شديد، حتى لو لم تكن له صلة بالأمر. الشرطة مثل أعمال الطرق، أليس كذلك؟ كلما استغرق الأمر وقتًا أطول، زاد أجرهم. على الأقل بوجودك هنا قد ننتهي من هذا بحلول عيد الميلاد. لا نحتاج إلى المزيد من الأضرار التي تلحق بالسمعة». بدت وكأنها استغرقت لحظة لتذكِّر وجهها بأن يكون جادًّا. كدت أسمع صوت التروس الداخلية وهي ترفع وجنتيها إلى عبوس: «إنه لأمر محزن جدًّا بطبيعة الحال. لايل كان... حسنًا. كان يعني الكثير لأشخاص كثيرين هنا. كيف حال إيرين؟».

- إنها متهمة في جريمة قتل، كما تعتقدين.

مسحت مقدمة سترتها: «نعم، حسنًا. لقد أحببتها».

- هل كنتما مقربتين؟

أخذت رشفة من مشروبها: «مطلقًا. ربما لهذا السبب أحببتها، فالناس عادةً ما يصبحون أقل جاذبية كلما تعرفت عليهم أكثر. أنا بالتأكيد كذلك، أتطلع قدمًا إلى كرهك، أنا متأكدة من ذلك».

- هل أحببت لايل؟

ابتسمت: «كنت أعرفه جيدًا».

- وما دورك في المؤسسة؟

«المديرة المالية». توقفت، كما لو أنها تذكرت للتو أن لايل مات، ثم أضافت: «الرئيسة المؤقتة الآن، على ما أعتقد. فيليسيتي هيرينغتون، إذا أردت أن تكون رسميًّا. هيا، دعني أريك المكان».

شعرت بالتردد. لم يقابَل عادةً تطفلي بدعوة. شعرت كأني مصاص دماء يتسكع أمام عتبة المنزل. لقد تمت دعوته، لكنه يحدق بقلق إلى الداخل بحثًا عن صلبان من الثوم المخفية: «تقولين إنك قرأت كتبي؟». رفعت فليك حاجبها كما لو أن الوقت من ذَهب، وأومأت برأسها. «لكنك تقولين أيضًا إنكِ لا تريدين المزيد من الضرر الذي يلحق بالسمعة».

- ما الذي تقصده؟

«أنا مختص في إلحاق الضرر بالسمعة». لم تضحك. «ولأكون صريحًا، ليست لدي أي مؤهلات رسم...»

وضعت راحة يدها أولًا على كتفي الأيسر ثم الأيمن، كما لو كانت تقوم باحتفالية بالسيف: «أنت مفوض، أو شيء من هذا القبيل. أفضل أن تكون أنت من يتقصى الأمور بدلًا من الشرطة. بهذه الطريقة، يمكنك إخباري ما تجد. يميل تطبيق القانون إلى التحفظ أكثر. اتفقنا؟». غمزت: «لكنني متأكدة أنك لن تجد الكثير. الأمور هنا نظيفة للغاية. وأيضًا، يمكنني قول الشيء نفسه عن إيرين. مثل، واو! لقد كنت متزوجًا بها، أليس كذلك؟». أومأت برأسي. كانت لها لهجة أيرلندية ثقيلة استغرقني الأمر بضع دقائق لأعتاد عليها. «لا أقصد الإهانة، لكنها ليست مثل من يمتلك..» نظرت إليَّ من أعلى لأسفل «غريزة القاتل».

لا أقصد الإهانة دائمًا ما تعني أنها تقصد **بعض** الإهانة. لم أكن متأكدًا أيُّ جزء من الكلام كان ينبغي أن أكون جزئيًّا مستاءً منه. إذا كانت تعتبرني مملًا لأن إيرين قد تزوجتني، فذلك بالتأكيد يجعلني أكثر إثارة بسبب طلاقنا.

وضعت فليك يدها على ظهري، بين الكتفين تحديدًا، بطريقة مفرطة في الألفة التي يستخدمها المروجون أو المجرمون وهم على وشك تنفيذ العقوبة على واشٍ، ووجهتني حول محيط الحشد إلى باب جانبي يقود إلى داخل المبنى، بعيدًا عن القاعة الزجاجية. مرَّرت بطاقة مفتاح، وفتحت الباب.

تبعتها وأنا أعبر خلال الباب، ولكني أشرت خلفي: «هناك مال في هذه القاعة». مررنا بعدة أبواب مطلية باللون الأحمر، عليها أرقام تصاعدية وكلمات مثل: **غرفة الملابس**. «حفلة بربطة عنق سوداء، نبيذ بولينجر في الكؤوس. ولا يمكن أن يكون بليز رخيصًا أيضًا».

قالت مستعملة الاختصارات: «لماذا تظن أنني محاصرة في فستان من ماركة ماكوين؟ هذه ليست حفلة تمثيل متواضعة ومنظمة على عجل».

أجبت: «أعلم أن هذه هي لغة الأعمال، لكن هل هناك كلمات لا تختصرينها؟».

أعطتني ابتسامة ساخرة وهي تلتفت نحوي، وقالت بشكل مختصر أيضًا: «لا».

إلى يساري كان هناك ضوء أزرق داكن يأتي من خلف الكواليس وستارة سوداء. كانت هناك لافتة مغلفة على المدخل تقول: «مدخل المسرح – الرجاء الهدوء». كان الحائط بجانبنا مطليًّا بالطوب الأبيض وعليه توقيع كل فنان أدى في المسرح على مر السنين، كانت هناك خربشات غير قابلة للقراءة تمثل تاريخًا. في نهاية الممر كان هناك سلم يؤدي إلى الأعلى. صعدت فليك الدرجات الثلاث مرة واحدة. كانت هناك رائحة منعشة وحلوة في الهواء، مثل رائحة معقم. قالت: «هذا هو موضوعنا، أليس كذلك؟ كانت فلسفة لايل أنه لا يريد أن يتبرع الناس

بدافع الشفقة، بل كان يريد أن يبيعهم شيئًا يرغبون فيه حقًا. صمم هذا المسرح من قبل ألكسندر مورتغارت، أفترض أنك تعرف أعماله؟». لم أكن أعرف، لكنني لم أكن شجاعًا بما يكفي لقول ذلك. «مع بداية عمل المزيد من الأشخاص من المنزل، غمر الأثرياء، المصرفيون، الاستثماريون وأبناء التكنولوجيا هذه المدن الصغيرة». وافقت. انقسمت المناطق الإقليمية إلى مدن من نصفين: القصور على جانب الشارع، والمنازل البسيطة على الجانب الآخر. منازل مورتغارت مقابل الأكواخ الأنيقة. لا أريد الإساءة إلى تمثيل المناطق الإقليمية في أستراليا. السبب في وجود منظمات مثل مؤسسة بيرس هنا ليس لأن المنطقة أكثر عرضة للمخدرات أو الجريمة، ولكن لأن الفجوة الطبقية كانت تتسع مع تدفق المهاجرين من المناطق الحضارية إلى الأقاليم، والمكافحون يُتركون في الخلف بسبب ارتقاء الأحياء. ولسخرية القدر كانت الأموال في هذه الغرفة تحديدًا هي سبب في جزء كبير من هذه الفجوة في المقام الأول. «كان لايل يريد أموالهم دون حتى أن يضغط عليهم للتبرع. لذا فإن تقديم العرض كان يمنحهم شيئًا ملموسًا. على أي حال، ها هم يتبرعون ويدفعون ضعف المبلغ».

كانت مقدمة السلم مفتوحَة على مساحة مشتركة بسيطة تحمل طابعًا مخالفًا تمامًا لما وصفته فليك للتو. كانت هناك نصف دائرة من الأرائك المستعملة تحيط بتلفاز، بجانب طاولة مع كراسي غير متطابقة، وعلى الجانب كان هناك مطبخ صغير مجهز بشكل اقتصادي مع أجهزة تؤدي وظيفتين مثل: صانع التوست، الميكروويف، الغلاية، جهاز الرغوة. ومن المؤكد أن هناك درجًا لأدوات المائدة مملوءًا فقط بالملاعق المشوكة[1]. كانت الجدران مطلية باللون الأخضر الليموني، وهو ما اعتقدت أنه

(1) ملعقة المشوك أو المِلعكة (نحتٌ من ملعقة وشوكة) هي أداة تصنع من المعدن لها شكل هجين بين الملعقة والشوكة، وهي أداة تستعمل لتناول الطعام.

اختيار مبالغ فيه لغرفة انتظار مسرحي، ومن المحتمل أن اختيارًا كهذا لم يُتخذ من قبل المعماري الشهير عالميًّا ألكسندر مورتغارت.

كان التلفاز مفتوحًا، يعرض بثًّا مباشرًا لخشبة المسرح والصفوف الأمامية القليلة من المقاعد. الصورة كانت ضبابية لكن ملونة. لم يُسمح للجمهور بالدخول بعد، لكن تجوَّل الأشخاص بشكل متنوع على خشبة المسرح. كان هناك رجل يشير إلى السقف، ويبدو أنه يفحص الإضاءة. وكانت شابة ترتدي زي حيوان الرنة تمرر قطعة قماش فوق دعامة مقصلة خشبية قبل أن ينقلها شخص آخر -يعطي ظهره للكاميرا- إلى خارج المسرح.

نعم، أدرك أن الشخص الذي يدير ظهره لكاميرا المراقبة يكون مشتبهًا به تلقائيًّا. إنه مثل تغليف شوكولاتة توبليرون لعيد الميلاد. ما الفائدة؟ كم عدد الأغراض ذات الشكل المنشوري المثلث التي من المحتمل أن أتلقاها؟

في زاوية غرفة الانتظار كانت هناك شجرة صنوبر حقيقية، مزينة بخيوط فضية وأضواء تتلألأ بلطف. كانت هذه رائحة العطر التي لاحظتها على السلم. ما زلت غير متأكد ما إذا كانت إبر الصنوبر تفوح برائحة المعقم بالفعل، أم أننا ببساطة ولفترة طويلة جعلنا المعقم يبدو كرائحة إبر الصنوبر حتى أصبح ذلك شائعًا. أسفل الشجرة كانت هناك مجموعة صغيرة من الهدايا، خمس هدايا إجمالًا. أكبرها كان صندوقًا مربعًا مغلفًا بورق سيلوفان أزرق، وبطاقة عليها شخبطة توجد مباشرة على الغلاف بقلم تيكيستا أسود. (إلى: رايلان بليز، من: ك.ك).

سمعت طقطقة أقدام تصعد السلم خلفي، اندفعت فتاة قصيرة شاحبة إلى الغرفة، وكانت ترتدي ملابس المسرح السوداء: قميصًا، وسروالًا، وحذاء عمل. إنه زي مصمم كيلا يكون مرئيًّا. دون أن تتكلم،

مدَّت فليك يدها. أخرجت الفتاة هدية بحجم قبضة اليد من حقيبة قماشية كانت معلقة على كتفها، وسلمتها إلى فليك كأنها شيء مقدس. انتزعت فليك الهدية، وهزَّتها بجانب أذنها.

- من الذي حصلت عليه مجددًا؟

صاحت المساعدة: «تيريزا».

«أثق أنكِ تعرفين أختك كفاية لتختاري لها شيئًا جيدًا». قالت فليك، ثم استدارت باتجاهي: «عرضنا التمهيدي سيكون المنوم المغناطيسي، رغم أنني متأكدة أنك لا تؤمن بهذه الأشياء». ثم عادت إلى مساعدتها: «ذكريني بالسعر المحدد».

- عشرون دولارًا.

وزنت فليك الصندوق الصغير في يدها: «هل كلف هذا عشرين؟».

- نعم سيدتي.

- ليس تسعة عشر؟ أو ثمانية عشر ونصف؟

عبثت الفتاة بطرف كمها: «ربما تسعة عشر».

- الإيصال والباقي من فضلك، سام.

«أنا... آه...». تلعثمت سام في الكلام. «لقد تبرعت بعملة ذهبية لتغليفها». ارتعشت، وأضافت بسرعة: «كان ذلك لسبب نبيل».

- هل أبدو لك كجمعية خيرية؟

أضفت، محاولًا تخفيف التوتر: «في الواقع، أنتِ تبدين كذلك، بشكل حرفي».

أطلقت فليك ضحكة ساخرة، ثم أعادت الصندوق إلى سام، التي انسحبت ووَضعت الهدية فوق الصندوق الأزرق المرسل إلى رايلان قبل أن تهرع إلى الطابق السفلي.

قلت مشيرًا إلى الهدايا: «لا أرغب في الحصول على الرئيس. هذه هي مشكلة لعبة سانتا السري. انظر إلى حجم ذلك الصندوق، أيًّا كان الذي حصل على اسم رايلان شعر بالضغط لجعل الهدية جيدة؛ لقد أنفق أكثر من عشرين دولارًا».

«لهذا السبب دائمًا ما يتلاعب لايل ليحصل عليّ. حتى لا يضطر إلى تفضيل أحد على الآخر». تجعد جبين فليك: «لم يفضل أحدًا، على ما أعتقد. سيكون عليّ أن أعتاد ذلك». ثم توقفت فجأة. ظننت أنني رأيت بريق حزن، رغم أن الأمر ربما كان مجرد نفاد صبر تحليلي من الإزعاج الناتج عن إعادة ترتيبها لقواعدها اللغوية.

قلت: «إذًا أنتم تحققون أرباحًا، أليس كذلك؟ بناء مجمعات بملايين الدولارات في المدن الصغيرة لا يشبه تمامًا جمع التبرعات للطعام المعلب. بعد تمويل برامج إعادة التأهيل، ماذا يتبقى؟».

قادتني فليك عبر الغرفة إلى باب مكتب مغلق، حيث كان اسم لايل بيرس مثبتًا على حامل لافتة من الألمنيوم. «لدينا عوائد تعكس الاستثمار، وقبل أن تسأل، نعم، موظفونا». أشارت إلى نفسها: «يحصلون على تعويضات. المفتاح للحصول على عمل جيد هو إدارته مثل جمعية خيرية. الناس سينفقون أكثر إذا اعتقدوا أن هذا عمل أخلاقي. والمفتاح لإدارة جمعية خيرية جيدة..» -هزت إصبعها- «هو إدارتها كعمل تجاري».

فهمتُ وجهة نظرها من حيث المفهوم. لكن عاطفيًّا، كل ما استطعت التفكير فيه هو: إذا كانت الجمعية الخيرية عبارة عن عمل تجاري، فماذا يمثل الأشخاص الذين تساعدهم فليك؟ منتجات؟!

- كم من المال ستخسرين إذا تم إلغاء الليلة؟

ضحكت: «الرجل الذي يحقق الاستفادة من جرائم القتل يعتقد أنه من غير اللائق إقامة العرض؟ هذا من أجل لايل، فهذا هو إرثه. إذا متَّ غدًا، ألا تودُّ أن ينشر أحدهم ملاحظاتك؟». كان ذلك منطقيًّا. فتحت فمي للاعتذار، لكن فليك لم تنتهِ بعد: «قبل أن تظن أنني قد أصبحت لينة، القلوب الحزينة تساوي محافظ مفتوحة».

قلت: «التفكير بهذه الطريقة يتطلب، كما قلتِ من قبل، غريزة قاتل».

«أنا قاسية للغاية، لكنني لم أقتل لايل». أخرجت بطاقة المفتاح مرة أخرى، مررتها على باب مكتب لايل ثم سلمتها لي: «تفضل. إذن وصول كامل».

- هل كنتِ تعلمين أنه ستتم ترقيتكِ إلى منصب الرئيس بالنيابة إذا....

- الرئيس المؤقت.

كررت: «الرئيس المؤقت». يخطر ببالي الآن أن هذا اللقب سيكون مناسبًا لشخص آخر في أثناء الأحداث القادمة، لكني بالطبع لم أكن أعلم هذا في ذلك الوقت. لكن المؤسسة كانت تمتلك خطة استمرارية في حال حدث شيء كهذا. «صحيح؟ هذا يبدو جزءًا معقولًا من استراتيجية العمل. لا بد أنكِ كنتِ تعلمين أنكِ في الخط».

«نعم، أعتقد أنني كنتُ أعلم». دخلت مكتب بيرس: «لكن هذه ليست قصة هاملت. هذا عرض سحري».



إلى:
سام لين

من:
خمن من (هيهيهي)

الفصل الثامن

احتوى مكتب بيرس على دليل مهم للغاية، كما غاب عنه دليل آخر.

للوهلة الأولى، لم أفهم مغزى ما كان موجودًا وما لم يكن موجودًا. بدا المكتب عاديًّا بالكامل: جهاز حاسوب مكتبي، مكتب وقوف متغير الارتفاع يعمل بالكهرباء، وكرسي مكتبي جلدي بظهر عالٍ ومسند للرأس، مُثبّت عليه جهاز تدليك رقبة آلي. كان هناك كرسيان على شكل بيضاوي أمام المكتب. على عكس غرفة الانتظار المسرحي، كان أثاث هذا المكتب جديدًا. فوق الباب كانت هناك شاشة تلفاز، تعرض الفتاة نفسها التي تبث البث المباشر للمسرح كما هو الحال مع الشاشة الخارجية.

كانت الجدران مغطاة بصور مؤطرة للايل وهو يصافح سياسيين ومشاهير مختلفين. كان يواعد إيرين منذ عامين تقريبًا، وكان يبدو بالشكل نفسه في الصور القديمة كما كان في المرات القليلة التي التقيته فيها. كان رجلًا ذا بنية علوية ضخمة وكتفين عريضتين، يميل إلى ارتداء الجينز الضيق، ما جعله يبدو كرسم كرتوني إلى حد ما، حيث كان خصره وكتفاه يُشكلان حرف (V) كبير. كان دائمًا حليق الذقن بشعر فضي ناعم. عندما سمعت لأول مرة عن صديق إيرين الجديد، شعرتُ بذلك الشعور الإنساني المشوب بالذنب، أنه كان أكبر سنًّا مني،

حتى التقيته ووجدتُه في حالة بدنية أفضل مني بكثير. كنت سأقول إنه مثال على التقدم في السن برشاقة، لو لم يكن ميتًا بالفعل.

كنت أعني ما حاولت قوله لإيرين في مركز الشرطة، لقد وجدت أن لايل كان رجلًا كريمًا، سريعًا بتهور في إخراج محفظته عندما يتعلق الأمر بدفع فاتورة المشروبات. في ذلك الوقت، افترضت أن هذا الكرم هو سمة شخص يدير مؤسسة خيرية لإعادة التأهيل. بالطبع، لم أكن التقيت فليك بعد. كنت أؤمن حقًّا أن لايل كان جيدًا لإيرين. **جيدًا للغاية**، لقد همست لي مرة في بداية مواعدتهما: **أحيانًا أشعر وكأنني مشروع**. كنت أعتقد أنهما سيستمران معًا حتى يفرقهما الموت. حسنًا، حتى دون زواج لقد أوفَيا بأي عهود مستقبلية بشكل أفضل مما فعلت أنا وإيرين. أفترض ذلك. رأيت صورة التُقطت في القاعة الزجاجية المألوفة اللامعة، حيث تجمع حشد كبير حول شريط أحمر، وكان هناك صحفي ظهره للكاميرا، ذراعاه مرفوعتان في محاولة متوقفة لجمع الحشد معًا من أجل الصورة. كان بيرس يلوح بمجموعة من المقصات الضخمة المزخرفة المصنوعة من البرونز. اللوحة التعريفية تقول: «**افتتاح مسرح مؤسسة بيرس الأول، 2019**».

من الواضح أن الصور في روايات الغموض لها أهمية كبيرة. سأكون صريحًا وأخبرك أنه، بالطبع، هناك قاتل في هذه الصورة. لذلك دعونا نحللها.

لم أكن أعرف وجوه الجميع، لكنني استطعت رؤية فليك، التي بدت منزعجة من طلبِ التوقف لحظة للابتسام، والمفاجأة أن شعرها كان أزرق لامعًا. كانت سام، المراهقة الحزينة، تقف خلفها. في الواقع، بدا وكأن هناك اثنتين من سام، حيث وقفت فتاة صغيرة ترتدي فستانًا

بنقش الزهور أقرب إلى مقدمة المجموعة: كان لها وجه سام. وسط تذمر قراء الغموض في كل مكان، يبدو أن لدينا توأمًا بين يدينا.

الآن، دعني أوضح. إن وجود التوائم في لغز ما يعتبر أمرًا غير نزيه إذا لم يُقدموا بصدق للقارئ. هذا لحماية القارئ من **التحول** المفاجئ المزعج. وقد كنت صريحًا هنا بأن هذين الشخصين **متطابقين**. لذا، حتى وإن تبادلا الأدوار، بطريقة ما لاحقًا، فإن كل هذا ما يزال نزيهًا.

رأتني فليك ألتقط صورة بكاميرا هاتفي وابتسمت: «أقمنا الافتتاح في الذكرى السنوية العاشرة للمؤسسة. هل تريد أن تعرف ما إذا كانت جهودنا تؤتي ثمارها؟ هذا هو كريستوفر». لطخت الزجاج بإشارة بإصبعها نحو رجل في أواخر العشرينات من عمره يصفق، وخداه أحمران من الفرح: «جاء إلينا عندما كان في الخامسة عشرة من عمره، وبحلول هذا الوقت كان في الجامعة يدرس علم النفس. الآن هو مستشارنا الرئيسي. واحد من أولى قصص نجاحنا. وهذا هو دينيش». لطخت الزجاج مرة أخرى وهي تشير إلى رجل ذي بشرة سمراء، بشعرٍ أسود طويل على شكل ذيل حصان ونظارات: «أعتقد أنه جاء إلينا عام 2017. كافح لفترة، وكان سريع الغضب، دخل وخرج من معسكرات إعادة التأهيل، ولكن عندما افتتحنا المسرح، بدا وكأنه في منزله. لقد تطور ليصبح مدير إنتاجنا، وبالرغم من ارتفاع منصبه، فما يزال يحب أن يعمل بنفسه ليقوم بالأضواء لـبليز». نظرت إليّ بتعبير محبط: «**أقصد أنه يشعل الأضواء**».

أشرت: «لقد تفاجأت أن لديكِ ميولًا للتمرد». عندما بدت مشوشة، أضفت: «شعر أزرق؟».

ازداد أنفها اتساعًا: «مزحة من الأولاد، لقد استبدلوا زجاجة الشامبو. كان لايل متورطًا أيضًا. قال إن هذا جيد للروح المعنوية. قالوا لي أن أسترخي قليلًا».

لم أحاول إخفاء السخرية: «أنت تبدين لي كشخص يستجيب جيدًا لذلك».

«يا لك من محقق عظيم». ظلت غير مهتمة: «بصراحة، عندما أنظر إلى الوراء أفهم أن الأولاد يستحقون الضحك».

- كيف وجدك التوأمان؟ سام و... تيريزا، أليس كذلك؟ إنها تعمل منومة في العرض، أليس كذلك؟

شعرت بالرضا الشديد، فلقد توقفت عن تلطيخ الزجاج، وبدلًا من ذلك نقرت بأحد أظفارها على صورة الفتاة التي ترتدي فستانًا بنقشة زهور: «تيريزا اجتازت الأمر بسرعة، كانت واحدة من أكثر الأشخاص تجاوبًا مع البرنامج، أجرؤ على القول إن هذا نادر جدًّا لفتاة تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا، كما هي هنا. أعتقد أنها تخرجت مؤخرًا، إذا كنت أتذكر بشكل صحيح. سام، حسنًا، هي فتاة جيدة، لكنها واجهت بعض التحديات. كانت تُعالج وتنتكس، الإدمان يمكن أن يكون مثل اليويو. لقد كانت تؤدي بشكل جيد في العام الماضي، وأعتقد أن تنظيم عملنا معًا قد ساعدها حقًّا». عند الفحص الدقيق للصورة، كان هناك اختلاف في الطاقة بين التوأمين. كانت تيريزا تشرق بالحماس، بينما سام كانت تختبئ في الخلف، محاولةً الاختفاء بين الحشد. «أوه، وهذا شون مارتن، كان صغيرًا حينها أيضًا». أشارت فليك إلى شاب ذي خدود لامعة، يرتدي قميصًا وسروالًا قصيرًا بجيوب، وكما علمت لاحقًا فهو الشاب ذو الظهر المواجه للكاميرا في أثناء البث المباشر سابقًا. «مثل سام، عندما التقطنا هذه الصورة كان ما يزال في البرنامج. تغيرت

حياته بسبب حبه، فمن بين كل الأشياء، كان يحب السحر. أصبح حديث الجميع بسبب انتشار خدعه على يوتيوب وتيك توك. وظفه رايلان بليز منذ عام أو نحو ذلك بوصفه مسؤولًا عن الأدوات، لذا من الجيد أن يكون معنا هنا لبضعة أسابيع. ومن هنا جاءت فكرة لايل للتواصل مع بليز من أجل جولة هذا العام». تنهدت فليك وكأن ذكرياتها كانت كالحمام الدافئ: «مجرد النظر إلى هذا يذكرني بجميع الأرواح التي أنقذناها». ثم عادت فجأة إلى الواقع، ووجهت انتباهها نحوي مرة أخرى: «حسنًا، باستثناء لايل بالطبع».

تراجعت إلى الخلف بعيدًا عن الصورة، وألقيت نظرة على بقية المكتب. كانت الجدران خالية بشكل مفاجئ، فلا توجد لوحات للدرجات أو الشهادات التعليمية، على الرغم من وجود ثقب في الجبس بعيد جدًّا عن الأرض، ناتج عن لكمة. كان هناك رف كتب خاليًا من واجهات الكتب، ولكنه مليء بجوائز ريادة الأعمال والتمثيل، بما في ذلك هرم معدني مصقول وثقيل، موضوع بطريقة مائلة، كما لو أنه وُضع بسرعة، وفي أي لغز آخر غير هذا، كان سينتهي به الأمر كسلاح جريمة قتل. كانت هناك أيضًا نسخة زجاجية دقيقة من جائزة الأوسكار، مع لوحة فضية تحمل العبارة «**كان الأمر يستحق ذلك**». لم يكن تمثيل لايل، في رأيي، بمستوى يؤهله للأوسكار، لذا بدا هذا تكبرًا قليلًا، لكنه كان تقليدًا مصنوعًا بدقة. الرف الأوسط كان يحمل تقويم شوكولاتة رخيص لعيد الميلاد من السوبر ماركت: علبة كرتونية رقيقة تحتوي على أربع وعشرين قطعة شوكولاتة مطاطية وحلوة للغاية خلف كل باب مثقوب، واحدة لكل يوم من شهر ديسمبر وصولًا إلى عشية عيد الميلاد. أشرح هذا فقط لأن أختي غير الشقيقة، صوفيا، وهي من الإكوادور، ذكرت في إحدى وجبات غداء عيد الميلاد أنه لم يسبق لها الحصول على تقويم

أعياد الميلاد، ولم تكن تعرف حتى ما هو. قرر عمي آندي تصحيح ما أسماه «جريمة شنيعة ضد الثقافة» واشترى لها تقويمًا في العام التالي. وبالطبع، لأنه آندي، فلم يكن هذا تقويمًا عاديًّا، فكل خمسة أيام تقريبًا كان الباب يُفتح ولا تجد خلفه شوكولاتة، بل كلمات تقول: «**الحياة ليست عادلة**».

كان في تقويم عيد الميلاد هذا أربعة أبواب غير مفتوحة. لأول مرة شعرت حقًّا بمدى ثقل وفاة لايل، كنت مشغولًا جدًّا باللغز لدرجة أنني لم أفكر فيما تركه خلفه. بدا تقويم أعياد الميلاد كاستعارة مروعة، أبواب غير مفتوحة تمثل حياة لم تكتمل. ثم أدركت شيئًا.

قلت: «لقد فتح الأبواب الخطأ».

قالت فليك: «هاه؟». كانت تقف بجوار الباب تنتظرني أن أنتهي وهي تنقر على هاتفها: «أوه، هذا الشيء اللعين. لايل كان يحب هذه التقويمات، كان يحصل على واحد كل عام».

«اليوم هو الحادي والعشرون، صحيح؟». عبثت بالباب الورقي الصغير، أحركه ذهابًا وإيابًا. «لقد فتحه. إيرين أخبرتني أنهما ذهبا للنوم في الساعة الحادية عشرة والنصف، وكان لايل ميتًا عندما استيقظت في الصباح». فكرت لثانية. استيقظت إيرين لاستعمال الحمام، حسب تقديري، في نحو -أو بعد- الساعة الواحدة صباحًا بقليل. **لا أعرف،** لقد قالت، عندما سألتها إذا كانت قد لاحظت لايل في سريرهم الضخم، **أتمنى** لو أنني فعلت. سألتها هذا لأتأكد ما إذا كان قد مات في المطبخ بالطابق السفلي في ذلك الوقت، ولكن ربما لم يكن في المنزل على الإطلاق. «إذًا، هو جاء إلى المسرح في منتصف الليل». قلت ذلك ببطء. «إلا إذا كان قد فتح اثنين أمس. جشع».

هزت فليك رأسها: «الأمر يتعلق **بضبط النفس**». جعلت صوتها عميقًا ونفخت صدرها. حتى مع الوقت القصير الذي قضته مع لايل، كان تقليدها له سيئًا. «كان دائمًا يتحدث عن الثبات. **يمكنك أن تحصل على كل شيء دفعة واحدة إذا أردت، لكن حينها لن يبقى لك شيء للغد**».

قلت وأنا أفحص تقويم عيد الميلاد: «هو ليس ثابتًا إلى هذه الدرجة، ما يزال هناك العدد الصحيح من الأبواب المفتوحة. لقد فاته الباب الثاني عشر. هل كان في الخارج حينها؟».

بدأت فليك تعد تواريخ وهمية على أصابعها: «بليز كان في... توومبا». «كانت تبعد ما يقرب من ألف كيلو متر شمالًا». «لايل لا يسافر مع الجولة. أنا وسام نفعل ذلك، تيريزا مع فقرتها الافتتاحية، وشون».

- وماذا عن دينيش؟

- ليس في توومبا، لا.

- قلت إنه كان مسؤولًا عن الأضواء؟

«كان لديه...». ابتلعت ريقها، وصدقني، كان ذلك مريبًا حينها كما هو وأنا أكتب الآن: «انسحب من النصف الثاني من الجولة، بسبب حالة طارئة عائلية».

أدركت أن هذا هو أقصى ما يمكن استخلاصه منها، لذا حولت انتباهي إلى مكتب لايل. كان ترتيب جهاز الكمبيوتر فريدًا: لوحة المفاتيح كانت مدفوعة إلى الخلف، خارج نطاق اليد تقريبًا، وبدلًا من ذلك كان هناك ميكروفون قائم على شكل شبه منحرف أمام الشاشة.

قالت فليك من خلفي: «الإملاء توفر لك ما يصل إلى 0.4 ثانية في الدقيقة، وهو ما يعادل مليوني دولار على مدى العمر. لايل كان يحب تلك الكتب الصوتية الريادية اللعينة. أنا شخصيًّا لا أفهمها».

حركت الفأرة وأضاء الكمبيوتر، لكن لم يكن هناك مكان لكتابة كلمة المرور.

قالت فليك: «كلمة مرور صوتية». ثم توقعت سؤالي التالي وهو ما ظهر في إدارة عينيها: «لا أملك أدنى فكرة».

اقتربت من الميكروفون وحاولت تقليد الصوت العميق لفليك: «بيرس».

اهتزت الشاشة بالرفض. واحدة من قواعد ألغاز القتل أن المحقق لا يمكنه النجاح عن طريق ميزة الحظ أو المصادفة. الاختراق الهاوي الذي أقوم به عديم القيمة، بالطبع. كلمة مرور لجهاز الكمبيوتر الخاص بـبيرس، في الواقع، لقد رأيتها في مكان ما من قبل، ولكن سيتعين عليّ أن أفوز بها.

اعتمدت على الأسلوب التقليدي وبدأت البحث في الأدراج، وعثرت على دفتر يوميات ورقي. عندما التقطته، تطايرت ورقة ممزقة من دفتر آخر، كانت عبارة عن مخطط تقريبي، مرسوم بخشونة بقلم رصاص. بدا وكأنه رسم لبندقية مع خطوط متقطعة تمثل مسارات الرصاص باتجاه مركز الهدف، ولكن الخطوط المتقطعة لم تصل إلى الهدف، توقفت في منتصف الطريق، محجوبة بخط عمودي آخر. أسفل البندقية كانت هناك عدة رسومات ثلاثية الأبعاد لرصاصتين، واحدة تحمل حرف (W) في قاعها الدائري، والأخرى فارغة. كانت فليك مشغولة بهاتفها، لم أكن متأكدًا ما إذا لاحظت سقوط الورقة من دفتر اليوميات، لذا وضعت المخطط في جيبي.

قلبت دفتر اليوميات إلى تاريخ 12 ديسمبر، كانت الصفحة الفارغة تحدق إلي.

- لا شيء هنا، سواء كان خارج المدينة أو غير ذلك، في الثاني عشر.

قالت فليك: «إذن فقد فوت يومًا. لا أعرف ماذا أقول لك. أنا لست مشرفة على استهلاك الشوكولاتة. من يهتم؟».

«وهذا ما لا أعرفه بعد». نظرت حول المكتب. كان معقمًا، نظيفًا جدًّا، لا يوجد كوب أو طبق، ولا حتى قلم واحد. البساطة هي سمة منتشرة بين رواد الأعمال، يجب أن يكون المجتمع بلا أوراق أو نقود، والسيارات بلا سائقين. ضع جهاز الواقع الافتراضي وكن بلا حياة. كنت أشك أن لايل حتى يستخدم دفتر اليوميات الورقي، ما يعني على الأرجح أن كونه فارغًا لا يعني شيئًا. كنت بحاجة للدخول إلى الحاسوب.

ظهر رأس رجل نحيل من الباب، ورغم أنه كان نحيفًا لدرجة أنني لاحظت أنه أضاف ثقوبًا إضافية في حزام ساعته ليلائم معصميه الرفيعين كأعواد الثقاب، فإنه لم يبد ضعيفًا. بل كان يمتلك توترًا محكمًا يشبه عداء الماراثون. عرفته بسهولة، حتى مع مرور خمس سنوات إضافية، وشعرٍ أقل مما كان في الصورة. قال: «اتصال مدته خمس عشرة دقيقة، فليك». وعندما لاحظني، قال: «أوه، مرحبًا». ثم مد يده. كانت لديه بقع لامعة على يديه، إنها على الأرجح حروق حرارية من أثر تعاطيه المخدرات عندما كان شابًّا. «كريستوفر سلبيت». كان يتحدث بلدغة خفيفة، وكان لديه شعر بني خفيف يتجمع عند مقدمة رأسه، وكانت هناك خصلة صغيرة اعتدت لاحقًا أن ألاحظ أنه ينفخها بعيدًا عن عينية بين الجُمَّل. كان يرتدي ربطة عنق فراشية مجعدة بدا أنه قد خسر معركة ضدها، وهذا ما يحدث مع كل من حاول ربط ربطة عنق فراشية. عاد ليوجه انتباهه إلى فليك: «هل نستأجر محققين؟».

قلت: «المصادفة هي من تستأجرني».

«حل القضية، وأنا متأكدة أننا سنجد لك مقابلًا أفضل من ذلك». نظرت فليك بيني وبين كريستوفر: «إذا كنت تعرف إرنست، فسأتجاوز مرحلة التعارف. كنت فقط أريه المكان. افترضت أن الشرطة ستكون فظة».

قلت له: «سمعت الكثير من الثناء عليك يا كريستوفر». لوح بيده مقاطعًا ذلك الإطراء، وكانت حركة من الواضح أنه يكررها كثيرًا. «أفهم أن بيرس أثر في حياتك لدرجة أنك أردت أن تقدم نفس هذا الأثر للآخرين؟».

تهرب مرة أخرى من المجاملة: «نعم، ولكن لم أقدم تضحية كبيرة مثلما فعل لايل عندما عاد إلى هنا في ذروة مسيرته. درست الفن قليلًا في سيدني، لكنني لم أتمكن تمامًا من إتقانه. لذلك أعدت ترتيب دراستي».

سخرت فليك: «إتقانه! أنت تقلل من شأنك بهذا الشكل».

سألت: «هل تعتقد أن لايل ندم على قراره؟».

تأمل كريستوفر: «الإجابة الصادقة هي: آمل ألا يكون قد ندم. أعني ذلك. أعتقد أن هناك ما يكفي من الرسائل التذكيرية في هذا المكان، في الناس...»، بينما كان يتحدث، التقطت فليك جائزة الأوسكار المزيفة من الرف، ورفعتها كفتاة عرض في برنامج ألعاب،.... « وأيضًا، بعض الرسائل الأكثر وضوحًا، إذا كان هذا يسعدك يا فليك». ضحك، ثم عاد ينظر إلي: «أعطيت لايل تلك الجائزة. نعم، أعلم. **لقد كانت تستحق العناء**». ثم تجعد أنفه: «لكنها تبدو مبتذلة بعض الشيء».

اعترفت: «لا أرى المغزى تمامًا».

- أردت أن أمنحه أوسكار، لأريه أن ما فعله هنا كان أكثر قيمة مما قد يكون فعله في هوليوود. فكرت ربما ينظر إليه ويشعر أنه لم يستبدل حياة أفضل بهذه الحياة.

- هل تشعر أنك ضحيت بالفن؟

«ولا للحظة. كما قلت، لم يكن الأمر مهمًّا حقًّا». شعرت أن القليل من الأمور كانت تشكل أهمية كبيرة بالنسبة لكريستوفر. كان يمتلك نبرة هادئة ومريحة. أردت أن أستلقي على أريكة وأخبره بمشكلاتي.

قالت لي فليك بنبرة وكأنها تُبلغ عن شيء في المدرسة: «لقد حصل على منحة دراسية». قالت وهي تدير الكأس في يدها: «النداء هو النداء. هذا أكثر من كونه مجرد تذكير فقط للايل». تساءلت إذا كانت تتحدث إلى كريستوفر أم إلى نفسها. هل كان هناك شيء ضحت به مقابل هذا؟

قررت أن أستفيد من وجود كريستوفر، الذي يعرف أكثر عن المشاركين الحاليين والسابقين في المؤسسة مقارنةً بفليك. «إذًا، بالنسبة للخريجين والمشاركين الحاليين، ما مدى تقدم الجميع في البرنامج الذين يعملون فيه في جولة بليز؟».

حسنًا، من الواضح أن هناك فريقًا كاملًا ليس في المؤسسة. لكن، بدأ كريستوفر يعد على أصابعه «سام تخرجت مرتين، على الرغم من أنها الآن عادت إلى البرنامج. فإنها على المسار الصحيح، وجميعنا فخورون بها. أنهت تيريزا دراستها تقريبًا عندما تم افتتاح هذا المسرح. وعلى الرغم من أنه من المحزن أن حياتهما المنزلية قد دفعتهما إلينا، من ناحية أخرى، فإنها شهادة قوية أن تيريزا قد جذبت أختها معها. كان دينيش معنا قبل أن نفتتح هذا المكان، ربما أربع سنوات نظيفة إذا كان علي التخمين. أنهى شون دراسته قبل ثمانية عشر شهرًا تقريبًا، قبل أن تصبح مقاطع الفيديو الخاصة به كالڤيروس وتجذب انتباه إدارة رايلان.

إنه طفل ذكي، عملي. دائمًا ما كان لديه اهتمام بالهندسة والميكانيكا وكل تلك الأمور. لا يمكننا أن نكون أكثر سعادة من أجله».

دخلت سام برأسها: «يا رئيس».

التفتت فليك نحوي وقالت: «ستُبقيني على اطلاع، أليس كذلك؟» أومأت برأسي: «لديك المفتاح، يمكنك القدوم والمغادرة كما تشاء. رمز الدخول إلى المسرح هو...» ألقت نظرة مليئة بالشك نحو سام، ثم ناولتني بطاقة عمل تحمل رقم هاتفها المحمول: «اتصل بي. سأرسل لك الرسالة النصية». ثم غادرت غرفة الانتظار بجو من الحزم واللامبالاة. اعتذر كريستوفر وتبعها، وهو يسحب مجموعة من البطاقات الصغيرة من جيب سترته ويتمرن على خطاب بصوت خافت بينما كان يتجه نحو المسرح.

تباطأت سام عند الباب. كانت عيناها مثل أعين الباندا، وبدا عليها التوتر والتصرف الأهوج، ثم قالت بعد مغادرة فليك: «أربعة، واحد، ثمانية، ثلاثة. رمز الإنذار. لا أعرف كيف تعتقد أنني أتمكن من الدخول هنا قبلها كل يوم».

سألت: «هل كان لايل رئيسًا جيدًا؟».

كادت سام تختنق وهي تحاول الإجابة: «لقد أنقذ حياتي أكثر من مرة. كنت أتعاطى المخدرات وأبيعها، ولم يكن هناك أحد آخر سيعطيني وظيفة، لكنه فعل. ليس هذا فحسب، بل إنه عندما أخطأت مجددًا، تخيل ماذا؟ كان الباب مفتوحًا لي مرة أخرى. لذا، نعم». وضعت الطرف الأمامي من حذائها في السجادة: «أعتقد أنه كان كذلك».

- هل فليك تُرهقك في العمل قليلًا؟

- إنها وظيفة مهمة.

- هل كنت في الجولة مع أختك؟

«إنها تمثل العرض الافتتاحي». رفعت عيناها بسرعة: «تيريزا المثالية، بالطبع يحبها المسرح». بدا عليها الخجل للحظة من هذا التعليق: «سيد كانينجهام، لا وقت لدي للأسئلة. يجب أن أبدأ العرض».

- اسمي إرنست، وهناك سؤال واحد فقط. أنت على دراية بجدول فليك، أتساءل إذا كنت تعرفين جدول لايل؟ أعلم أنكِ كنتِ في توومبا، هل لديك فكرة إن كان هنا في الثاني عشر؟

بدأت سام في عض شفتيها. كان واضحًا أنها لم تكن تفكر فيما يجب أن تخبرني به، بل كانت تفكر فيما تريد فليك أن تخبرني به. يبدو أنها قررت -بما أن فليك هي من دعتني- أنها ملزمة بالإجابة عن أسئلتي: «إنه مدمن عمل. يكون هنا طوال الوقت في الفترة التي تسبق العرض النهائي، بما في ذلك عطلات نهاية الأسبوع. بالإضافة إلى أنه كان لديه ذلك الاجتماع مع دينيش. اضطررت إلى استئجار طائرة حتى يتمكنا من الوصول إلى هنا، ثم تمكن رايلان من العودة في اليوم نفسه. سعيد الآن؟». لم تنتظر حتى إجابتي، بل سارعت بالمغادرة.

تأخرتُ في المكتب أبحث عن أي أدلة أو كلمات مرور إضافية. أخبرتني فليك أن دينيش قد ترك الجولة في توومبا بسبب حالة طارئة عائلية. ولكن بدلاً من ذلك، عاد إلى هنا، مع رايلان بجانبه، للقاء لايل. ومع ذلك، ووفقًا للشوكولاتة، ربما لم يضع لايل قدمًا في مكتبه.

أنا وحدي الآن، حاولت أن أتذكر الطريق للعودة إلى الأمام، لكن الوجود في عمق المسرح يشبه الوجود في غواصة، حيث لا يوجد إحساس بالاتجاه. سمعت أصواتًا قادمة من غرفة تغيير الملابس، الباب الأزرق المطلي كان مفتوحًا قليلًا.

تنهد صوت تعرفت عليه بأنه صوت سام: «هيا يا تي، هذا ليس عادلًا. أرجوكِ قومي بالتبديل».

تسللتُ للنظر من خلال الشق. في الداخل، رأيت تيريزا، مرتديةً بدلة غزال لامعة باللون البني الفاتح، مع أصفاد فروية على معصميها وكاحليها. وكان أنف أحمر منتفخ يغطي وجهها، مثل ضفدع سمين على زهرة الزنبق المائي. كان هناك ندب طويل ملتئم على معصمها.

قالت تيريزا-رودولف: «لقد اشتريت بالفعل هدية سانتا السرية».

- لكني حصلت على..

«لا تخبريني من الذي حصلت عليه يا سام! يا إلهي!». فتحت تيريزا الباب بقوة. تسطحتُ على الحائط بدافع الذنب من التنصُّت، لكنها كانت تدير ظهرها لي. «هذا هو الهدف كله من الأمر. **صدقًا**».

هرولت تيريزا عائدة نحو المسرح، بينما كانت سام تتبعها بخطوات سريعة. تساءلت: «من هذا الشخص الذي يصعب شراء هدية له لدرجة أن سام كانت يائسة لتبديله؟!» كما خمَّنت من النبرة والهيمنة أن تيريزا هي الأخت الكبرى. قد تكون ببضع دقائق فقط، لكن الأشقاء الأكبر يظلون دائمًا الأكبر.

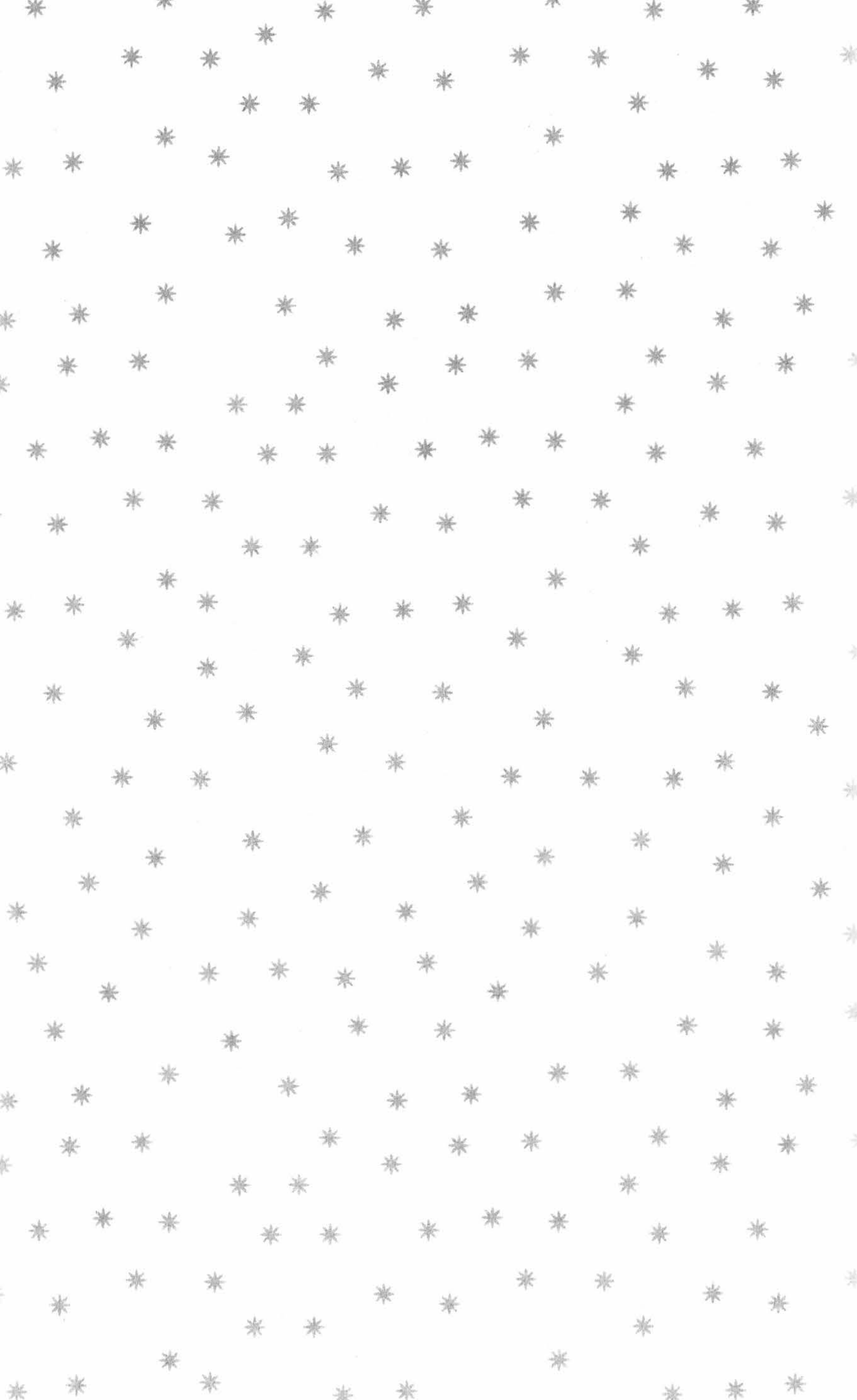
أدركت أنني اتخذت منعطفًا خاطئًا؛ كانت هذه الأبواب مطلية باللون الأزرق. عدت إلى الوراء حتى وجدت نفسي بجانب غرف تبديل الملابس المطلية باللون الأحمر. في أثناء مروري مسرعًا، لفتت إحدى لافتات أسماء الغرف انتباهي: رايلان بليز.

تحققت من هاتفي: عشر دقائق حتى بدء العرض. كنت أشك في وجوده هناك، لكنني قررت تجربة حظي على أي حال، وطرقت الباب. لم يكن هناك رد. حاولت لف مقبض الباب، كان مقفلًا. استدرت للذهاب، لكنني تذكرت بطاقة الدخول التي أعطتني إياها فليك. كانت قد قالت

إنها تمنح الوصول الكامل. هل يعني ذلك جميع الأبواب؟ رفعت البطاقة، وفجأة، أومض القفل وأصدر أزيزًا، ثم تحول إلى اللون الأخضر.

فتحت الباب، وتدحرج رأس رايلان بليز المقطوع إلى الممر.





إلى:

رايلان بليز

من:

ك.ك

الفصل التاسع

«هذا الشيء اللعين يستمر في الهروب مني!». ضحك رايلان وهو يلتقط رأسه، ثم أشار إلى غرفة الملابس وأغلق الباب خلفنا.

إنها، سواء من الساحر أو في هذه الصفحات، خدعة رخيصة لنهاية حابسة للأنفاس. أعتذر، لكن صدقني، للحظة خاطفة قفزت إلى الخلف مصدومًا. كانت نسخة طبق الأصل جيدة جدًّا، لكنها لم تصمد أمام التدقيق القريب؛ عينان زجاجيتان وفم مفتوح على مصراعيه. القليل من الطلاء الأحمر الخشن حول الجذع، بالإضافة إلى ما بدا وكأنه شعرٌ حقيقي. كان الملمس لامعًا قليلًا، طلاء ناعم على صلصال التشكيل، كافيًا لخداع الجمهور تحت أضواء المسرح، ولكن ليس كافيًا لخداع محقق في ممر بإضاءة جيدة. حسنًا، ليس لأكثر من ثانية على أي حال.

نظر رايلان من نسخته المطابقة إليّ، وقد بدت عليه الحيرة للحظة. استنشق الهواء بقوة بأنفه، ومسحه، ثم شدّ رداء نومه قليلًا على صدره. لاحظت أنه كان حليق الذقن، مع شاربه ونصف لحيته السوداء فقط ملتصقين على فكه. بدت الغرفة وكأن إعصارًا ضرب سيركًا؛ أوشحة ملونة وقبعات وأزهار مبعثرة في كل مكان على رف ملابس محمول وأريكة. كانت المساحة على الطاولة فوضوية بالقدر نفسه: نصف لحية

رايلان الآخر، حمامة بيضاء في قفص صغير، رصاصتان عموديتان، وحتى خلاط بين الأنقاض. وكان كل هذا بوجود مرآة كبيرة كخلفية تمتد على طول الحائط محاطة بمصابيح عارية.

وضع رايلان رأسه المزيف على الطاولة أمام المرآة بصوت مكتوم: «من أنت بالضبط؟».

«أنا أحقق في الأمور المتعلقة بلايل بيرس». أومأت برأسي نحو مظهر رايلان العام غير المرتب: «أليس لديك عرض بعد عشر دقائق؟».

«يجب عليهم التخلص من ذلك الهراء المتعلق بالأمور الخيرية أولًا». سار رايلان نحو الحمام. من مدى صوت استنشاقه للمخدرات الذي تسرب إلى الغرفة، كنت أشك بشدة أنه كان مدركًا لمدى سخرية كونه نجم حفل لجمع التبرعات لإعادة تأهيل المدمنين.

- وأيضًا، الفتاة التي تقدم العرض التمهيدي. تتحقق من أمور لايل، مثل المحقق المالي؟

«بالتأكيد». أضف هذا إلى الأشياء التي تعلمتها في ساعات تدريبي كمحقق مبتدئ: إذا اتفقت مع ما يقوله الناس، فإنهم يميلون إلى الاستمرار في الحديث.

برز رأس رايلان من الحمام. كان شاربه المزيف غير ملتصق، وبدأ بالتحرك بينما كان يتحدث. قد لا يكون هناك ثلج في رواية عيد الميلاد هذه، بالنظر إلى مسرح الجريمة، ولكن كان هناك عيد ميلاد أبيض على شفة رايلان العليا. «حسنًا، يمكنك أن تخبر لايل أن التقييم مرتفع بنحو نصف مليون. رجالي يقولون إن نفقاتك لا تتطابق». عاد إلى الداخل.

- التقييم؟

سمعت صنبور المياه يفتح: «هذا هو سبب جولتي في هذه الحفر. أنا أتحقق من المواقع قبل أن تستثمر شركتي».

- هل يخطط لايل لبيع العمل؟

- ألست المدقق المالي؟

- هل تعرف أن لايل....

«إنه صلب الرأي كالمسامير، أعلم ذلك». خرج رايلان من الحمام، هذه المرة مرتديًا زيه الكامل، وكان شعره مرتبًا بشكل مثالي. كان من المدهش كيف تحول بسرعة من رجل في ملابسه الداخلية إلى نجم عرض متكامل، ولا بد أن أعترف أنني شعرت بشيء من الانبهار. «ولكن قل له إنني أمشي على المسامير من أجل لقمة العيش، دعه يفكر في ذلك».

وهكذا ذهب المشتبه به الرئيسي: رايلان بليز لم يكن يعرف حتى أن لايل قد مات.

«لماذا تريد أن تستثمر في -كما تقول- حفر؟». أكدت على اختياره لتلك الكلمة، موضحًا أنني لا أوافقه. كانت كاتومبا جنة طبيعية مشهورة عالميًّا، لكنني أفترض أنها تفتقر إلى كازينو ونادي تعرٍّ لتلبي تعريف رايلان الشخصي للمدينة العظيمة.

«المسارح يا رجل. الأمر أشبه بصناعة الموسيقى. ماذا يفعل جميع الموسيقيين العظماء حقًّا لجني المال؟ هم لا يعزفون للآخرين، بل يبدؤون علامتهم الخاصة. هسسس. التجارة مملة للغاية، فلتشرب كأسًا معي». بحث رايلان تحت الطاولة، وأخرج زجاجة نبيذ أحمر دون علامة تجارية. لا بد أنني ترددت بشكل واضح لأنه أضاف: «يمكنني القول إنك خبير. نعم، إنه من قسم التخفيضات، سأعترف بذلك. لكن النبيذ الجيد يتعلق بتهويته، أليس كذلك؟ شاهد هذا». قلب الزجاجة فوق الخلاط،

وترك نصفها يتدفق فيه، ثم أغلق الغطاء وشغل الخلاط. بينما كان النبيذ يمتزج، أخرج كأسين من جيب معطفه بحركة استعراضية. بعد نحو عشرين ثانية، أوقف الخلاط، وصب النبيذ في الكأسين، وناولني واحدًا: «أيها المدقق، بصحتك».

تجعد أنفي عند النظر إلى الكأس. أنا لست خبيرًا كبيرًا في الحقيقة، لكنني كنت أعرف أن وجود الكثير من الفقاعات في الكأس يتعارض مع الشراب الجيد. أخذت رشفة صغيرة، ولم أحصل سوى على طعم نبيذ رخيص بأربعة دولارات. لكن رايلان بدا مسرورًا بنفسه.

- إنه استثنائي، أليس كذلك؟

وافقت: «استثنائي». لكنني لم أكن أقصد النبيذ. مثل القاعة الزجاجية أو الشارب الملصوق بالغراء.

ابتلع رايلان كأسه بالكامل. الغرفة امتلأت برائحة الكحول. أعتقد أن النبيذ كان معرضًا للتهوية، لأنني شعرت أنني أتنفسه.

سألته: «ألا ينبغي أن تكون واعيًا؟ ألا تشكل حركاتك خطورة؟».

«تقصد الخروج من السترة المقيدة قبل أن أتمزق بفعل القذيفة المدفعية؟». أصدر صوت شخير: «كلها خدع يا صديقي. إلى جانب ذلك، لن تقطع رأسي». رمى لي رأسه: «بل رأس هذا الشخص». نظر نموذج رايلان إليّ، وهو ما يزال متفاجئًا من قطع رأسه.

قال رايلان الحقيقي: «الحيلة الخطيرة الوحيدة هي التقاط الرصاصة». التقط رصاصتين وعرضهما عليّ واحدة تلو الأخرى. «رصاصة حقيقية. رصاصة من الشمع. مرر الرصاصة الحقيقية للجمهور، فقط لجعل الأمر يبدو مقنعًا، رغم أن معظم هؤلاء المقامرين لن يلاحظوا الفرق على أي حال، ثم أخفِها قبل تزويد المسدس. المسدس يطلقُ النار بشكل طبيعي، لكن حرارة الإطلاق تذيب الشمع في الهواء قبل أن يقترب بما

يكفي ليؤذيني. ثم علي فقط أن...». بصق بعض اللعاب في كأس النبيذ. ارتطمت رصاصة مجعدة في قاع الكأس: «تا دا». ابتسم بقوة: «لا يجب على السحرة أن يكشفوا أسرارهم، لكن أنا وأنت شركاء في العمل، لذا تحظى بمعاملة خاصة. لا أستطيع الانتظار للتخلص من هؤلاء اللصوص البغيضين وتوظيف محترفين».

استغرقني الأمر لحظة لأفهم ما يقصده: «اللصوص؟ هل تقصد خريجي البرنامج؟».

«لايل سيخبرك الأمر. لهذا السبب عليك مساعدتنا في إتمام هذه الصفقة بسرعة..». توقف للحظة، ثم رفع الرصاصتين باتجاه الضوء: «لا. انتظر، ربما هذه واحدة». ثم خلط الرصاصتين: «أي واحدة هي الشمع؟». ألقاهما بين يديه مجددًا وأخذ يحدق بعينيه.

لم ينتظر الطارق على الباب ردًّا، ودخل شاب أنيق يرتدي بدلة ذات ذيل للغرفة. رغم مرور خمس سنوات، استطعت التعرف على الصبي الذي أطلقت عليه فليك اسم شون في صورة قص الشريط. ذلك الفتى البارع في الأجهزة، والذي حقق شهرة واسعة بفضل خدعه السحرية قبل أن يصبح مسؤولًا عن أدوات رايلان.

مد شون يده وتبادلنا الأسماء: «ألست المحق...». قال شون بحذر.

قطعت حديثه قبل أن يكشف كذبتي أمام رايلان: «أنا أتحقق من الأمور. فليك قالت إن كل الأمور على ما يرام، لا تقلق». وضعت إصبعي على شفتي: «لن أفشي أسرار السحرة».

«فليك دعتك؟ الليلة؟». فتح شون فمه بدهشة: «لا يهم. لا أقول هذا لأكون وقحًا، لكننا في عجلة من أمرنا». ثم التفت إلى رايلان وقال: «لديك خمس دقائق، وهناك فضلات حمام على حذائك».

سأل رايلان: «شون، أي واحدة من هاتين هي الرصاصة الشمعية؟».

«الرصاصة في يدك اليسرى، أيها الأحمق». وتابع العلامات على طاولة الأدوات: «الرصاصة الحقيقية في جيبك الأيسر، والشمعية في جيبك الأيمن. لا تخلط بينهما. الرصاصة الشمعية عليها حرف (W) في قاعدتها للحالات الطارئة. وأرجوك، توقف عن قذف رأسك هنا وهناك». أخذ الرأس المزيف مني وقال: «أحمق، الأشخاص الذين عملوا على سلسلة أفلام سيد الخواتم هم من صنعوه. إنه غالٍ جدًّا».

قال رايلان بفظاظة: «حسنًا، يا أمي».

هذا يفسر الرسم الذي وجدته في مكتب لايل، كان يوضح كيفية عمل خدعة التقاط الرصاصة. الخط المتقطع توقف في منتصف الطريق إلى الهدف، لأن تلك كانت النقطة التي يتبدد فيها الشمع. أيٌّ من رسم هذا فقد كان يقيس المسافة الآمنة للوقوف.

ما حدث بعد ذلك كان نشاطًا مضطربًا من تفقد الأدوات، ملء الجيوب، وأسلاك تم قصها وربطها بأسلاك أخرى تحت سترة رايلان، وتلميع الحذاء، والذي نفذه شون بالطبع. في نهاية الأمر، انتزع شون كأس النبيذ من يدي، غسله، ثم طواه إلى قرص بلاستيكي مسطح، ودفعه مرة أخرى في سترة رايلان وهو يتمتم: «توقف عن الشرب في الأدوات».

بمجرد انتهائهما، تتبعتهما إلى خارج الغرفة، إلى جانبي المسرح، حيث لمحت طاولة أخرى ملأى بالأدوات. كانت سام وتيريزا تنتظران بجانبها؛ تيريزا كانت تقفز على أطراف أصابعها بحماس، بينما كانت سام أكثر هدوءًا ورزانة. كان بإمكاني سماع صوت فليك يتردد عبر مكبر الصوت في القاعة، وعلى الرغم من أن الستار خفف من صوتها، فإنني التقطت كلمات مثل: «معلم» و«الأفضل على الإطلاق»، تلاها زئير عالٍ من الجمهور.

وضع شون الرصاصتين على طاولة الأدوات، ثم أحضر رايلان إليه، مرر أسطوانة تنظيف الأقمشة على ذراعيه، وضع وضبط قبعة الساحر على رأسه. بدا أن شون يأخذ أسرار السحر على محمل الجد أكثر من رايلان، لأنه كان ينفذ الروتين بأكمله وهو يحجب عن عمد رؤيتي لطاولة الأدوات، ليمنعني من رؤية التكنيك الخاص بأي حيل أخرى. عندما انتهى شون من تنظيف الغبار، عاد إلى طاولة الأدوات ومرر يده عليها، مشيرًا إلى الأشياء واحدة تلو الأخرى، على ما أعتقد، من خلال قائمة فحص ذهنية. كانت إحدى الرصاصات قد سقطت، فعدلها، ثم تراجع وفحص الطاولة، مثل والد يشعر بالفخر بمائدة عيد الميلاد.

أستطيع القول إن شون يمثل بالنسبة لرايلان ما تمثله سام بالنسبة لفليك: الأشخاص الذين يحافظون على سير الأمور بسلاسة.

كان رايلان قد خرج من الجوانب، كان يحوم حول جدار الطوب، متفحصًا توقيعات المؤدين السابقين. بينما كنت أراقب، أخرج قلمًا من نوع شاربي، وخلع غطاءه بأسنانه، وطرحه على الأرض.

قفزت سام أمامي: «لا يمكنك أن تكون هنا». مشتتّة انتباهي عن محاولة رايلان في التوقيع. كانت ترتدي الآن سماعات رأس كبيرة مع ميكروفون مثبت على فكها وضوء أزرق صغير مثبت على كتفها، كانت تبدو وكأنها جاهزة لقيادة طائرة هليكوبتر: «للمؤدين فقط».

امتثلت لكلامها. علاوة على ذلك، كنت أرغب في مشاهدة خدعة التقاط الرصاصة من بين الجمهور. لأرى إذا كنت أستطيع -بعد أن تم إطلاعي على السر- اكتشاف ذوبان الرصاصة الشمعية في الهواء، لكن هذه هي طبيعة السحرة، أليس كذلك؟ أو كتَّاب الألغاز. عندما يخبرك المحتال إلى أين تنظر، يجب أن تكون عيناك في مكان آخر.

آخر ما شهدت عليه قبل أن أسرع إلى الردهة لأخذ مقعدي لمشاهدة عرض الأداء، كان شون وهو يجذب رايلان بعيدًا عن الجدار. قال: «إنه فأل سيئ أن توقِّع على أوتوجراف قبل العرض».

«هل أنت جاد؟». دفع رايلان شون جانبًا، وأكمل توقيعه بلمسة مسرحية حادة: «أحيانًا أقسم أنك تصدق كل هذه الخزعبلات السحرية».



الفصل العاشر

بالرغم من، أو ربما بسبب أنني قمت بالحجز في اللحظة الأخيرة، كان مقعدي في منتصف الصف الأمامي تمامًا. شققت طريقي عبر ممر المقاعد الحمراء الفاخرة، وسط عاصفة من الهمسات والتذمر، حتى إن امرأة كانت تبالغ في فحص ساعتها بينما كان كريستوفر، الموجود عند المنصة أمام ستارة حمراء ياقوتية اللون، يكافح في إلقاء الخطاب الافتتاحي ، فبالنظر إلى عدد المرات التي كان يرتب فيها البطاقات الصغيرة ويمسح جبينه، بدا أنه قد ورث خطابه مؤخرًا من رجل ميت.

«قبل أن أشكر الرعاة الرئيسيِّين لهذه الليلة، أود أن أتطرق إلى مأساة اليوم». صوت الصرير الناجم عن تحرك 920 مقعدًا -بحثت عن العدد لاحقًا- تردد في جميع أنحاء المسرح. كنت أشك أن رايلان كان يستمع خلف الكواليس إلى هذا الهراء الذي يدور حول الأمور الخيرية، ولكن إن كان كذلك، فقد تخيلت أنها ستكون بمنزلة صدمة كبيرة له. تساءلت: لماذا لم يخبره شون ذلك مسبقًا؟ إلا إذا لم يكن يريد لأحد أن **يعرف**، هذا ما اعتقدته. «لقد أنقذ لايل بيرس حياتي عندما كنت في الخامسة عشرة. وكانت حياتي هي الأولى من بين العديد من الحيوات الأخرى. وبصراحة، لم نكن متأكدين من استطاعتنا الاستمرار في القيام بحدث

الليلة». توقف للحظة. «ولكن جميعنا هنا في المؤسسة نعلم أن لايل لم يكن ليرغب في إلغاء هذه الليلة المهمة. لذلك قد تشعرون ببعض الغرابة، لكني أشجعكم على الاستمتاع. اقضوا وقتًا ممتعًا. وعندما يحين الوقت، تبرعوا بسخاء. لأن الاحتفال بما بناه لايل هو أفضل طريقة يمكنني التفكير فيها للاحتفال بلايل نفسه».

تلقى هذا تصفيقًا حارًّا. مسح كريستوفر عينيه بظهر يده، ثم نظر إلى البطاقات الصغيرة. نظرت حولي في المسرح. كان داخل المسرح فخمًا مثلما كانت القاعة، كانت المقاعد منظمة في شكل حلقة تشبه إلى حدٍّ ما مسرح غلوب الخاص بشكسبير، مع شرفتين فوق المقاعد الأرضية، وصناديق الشركات على الجانبين. كان ثلاثي من كشافات أضواء المسرح يضيء من زاوية في الشرفة الثانية، حيث افترضت أن دينيش كان يتحكم في إضاءة المسرح. كان المسرح محاطًا بأعمدة مستوحاة من الطراز الروماني، تمسك بها تماثيل شخصيات حوريات حجرية ملتوية، وكان السقف مطليًّا بلون أزرق بحري مع نقاط ضوء صغيرة تشبه أضواء اليراعات. بدا وكأننا في مسرح يوناني تحت النجوم.

بينما كان كريستوفر يقرأ بسرعة أسماء الشركات المفروضة عليهم وفقًا للعقد، أخرجت هاتفي وفتحت البريد الإلكتروني من جوش فيلمان. كان قد أرسل ست صور لمسرح الجريمة. كان الدم يبدو أحمر فاقعًا، وكأنه مستعد للقفز من الشاشة. وضعت يدي على الهاتف وخفضت الإضاءة، وتأكدت من خلو كلا جانبيّ من وجود أعين فضولية، لكن معظم الناس كانوا يُركزون بأدب على خطاب كريستوفر. بينما كان يتحدث، نظرت إلى بطله، الميت على هاتفي.

كان لايل مستلقيًا على ظهره في المطبخ، مرتديًا بنطال بيجامة قماشيًّا على الرغم من الحر، ولكنه كان عاري الصدر. كان بطنه مفتتًا.

طُعن، كما كنت أعلم، عدة مرات. فهمت لماذا لم تحاول إيرين إجراء الإنعاش القلبي الرئوي. كانت إحدى ذراعيه ممددة إلى جانبه. كان طرف إصبعه أحمر، وفي نهاية الذراع، مكتوبٌ بالدم على الأرض، كانت هناك كلمة واحدة: **الكريسماس**.

رمشت بعيني مرتين. أعلم أن هذا عرضٌ خاص بمناسبة عيد الميلاد، لكنني لم أكن أتوقع أن تكون الكلمة الأخيرة للضحية مرتبطة بهذه المناسبة.

الصورة التالية كانت لقطة قريبة للكلمة. كانت الحروف ملطخة، ومكتوبة بصعوبة يتضح فيها الألم، وكانت الأحجام مختلطة: حرف «h» ضخم مقارنة بحرف ال «t» القصير والبدين. تخيلت لايل وهو يلطخ جسده بالحبر، محاولًا كتابة الكلمة قبل أن يموت. لماذا اختار تلك الكلمة تحديدًا؟ وإذا كان لديه وقت لترك رسالة، فلماذا لم ينادِ على إيرين التي كانت نائمة في الطابق العلوي؟

ارتعدت من الإجابة التي تخيلتها: تخيلت رئتي لايل تمتلئان بالدم.

لقد فتحت بسرعة بقية الصور. بالنسبة للسلم؛ الدم كان يقطر على طول درجات السلم. السكين؛ ملقاة على قمة السلم. ملاءات السرير الملطخة بالدماء، مبعثرة. شعرت بكوع في ضلوعي، وتمتمة تشير إلى وقاحتي، فأعدت انتباهي إلى المسرح. من مقعدي، كنت أرى جانبي المسرح، حيث كانت سام تتحدث بسرعة في سماعتها.

«أشعر بالفخر لقيادة جيل جديد من الشباب عبر هذا النفق المظلم، لأريهم أن هناك مخرجًا. والأهم من ذلك، أن كل شخص يستحق فرصة ثانية». لقد ارتاح كريستوفر الآن بعد أن اقترب من إنهاء كلمته. «قبل أن نرى الحدث الرئيسي لشريك المؤسسة لهذا العام رايلان بليز، دعوني أحدثكم عن أنواع مختلفة من الخدع السحرية، خدعة كلاسيكية قديمة

تحول الأشياء إلى أشياء أخرى. يمكنكم أخذ كومة من أوراق المئة دولار، انظروا هنا، عشر منها -مد يده إلى سترته وسحب حزمة من الأوراق النقدية، مربوطة بشريط مطاطي- ويمكنكم تحويل الألف دولار هذه إلى سرير لشاب محتاج لمدة أسبوع. يمكنكم تحويل عشر منها إلى مكان في أحد معسكرات إعادة التأهيل لدينا. ويمكنكم تحويل خمسين منها إلى مستشار جديد لفريقنا. أو إذا كنتم تشعرون بالسحر، يمكنكم تحويل مجموعة منها إلى مسرح مثل هذا تمامًا، لكنني لن أخبركم كم يتطلب ذلك». وغمز بعينه: «كل ما عليكم فعله الآن هو الاستمتاع. تذكروا، هذا **احتفال**. صفقوا، وهللوا، واصنعوا الضوضاء واضربوا أقدامكم بالأرض. لايل موجود هناك في مكان ما». نظر إلى السقف بتقدير: «دعوه يسمعكم».



الفصل الحادي عشر

كانت فقرة رنة تيريزا الخاصة بالتنويم المغناطيسي جيدة، ولكن غير مثيرة للاهتمام. كانت تحضر أفرادًا من الجمهور، تضربهم بوحشية على جباههم، تجعلهم يصرخون كالدجاج أو يسردون مشهدًا من روميو وجولييت، ثم تنقر بأصابعها لتعيد ضحاياها إلى مقاعدهم، يجهلون -على ما يبدو- ما فعلوه للتو. كنت أشك فيما إذا كانت تمسح ذاكرتهم حقًّا أو أن المتطوعين كانوا مجرد مشاركين مدبرين من الجمهور. ومع ذلك، كان العرض كافيًا لإلهاء جاري السعيد ذي الكوع الحاد، مما سمح لي بالعودة إلى هاتفي.

كانت الصورة الأخيرة في رسالة جوش الإلكترونية صورة مقرَّبة لذراع لايل الممدود، الذي ينتهي عند طرف إصبعه الملطخ بالحبر الدموي. في البداية، تساءلت عن الغرض من هذه الصورة الإضافية. ثم لاحظت شيئًا على الذراع، في انحناءة الكوع. كانت هناك علامة صغيرة كالنقطة. كبَّرت الصورة. بدت وكأنها علامة إبرة.

صُدمت. مؤسس جمعية لإعادة تأهيل مدمني المخدرات، وُجد ميتًا وعلامة إبرة في ذراعه؟

اهتز هاتفي. ظهرت رسالة نصية فوق الصورة من جولييت:

هل فشل المحقق المهمل؟

كُشفت. كنت أعلم أنها كانت مجرد مسألة وقت قبل أن ينشر جوش القصة، لكنني كنت ما أزال آمل أن أبقى متقدمًا عليه قليلًا. كما تفاجأت قليلًا أن جولييت كانت من قراء عموده. أرسلت لها رسالة نصية بسرعة:

يمكنني أن أشرح.

اتصلت جولييت. حتى في وضع الصامت، كان اهتزاز هاتفي كافيًا لإزعاج جاري في المقعد، الذي رمقني بنظرة جانبية.

ابتسمت له باعتذار، وأرسلت رسالة نصية: «أنا في المسرح، أرسلي رسائل نصية فقط».

جولييت: *إيرين؟*

أنا: لقد طلبت مني المجيء.

جولييت: *أعطني التفاصيل.*

أنا: لا شيء يا جولييت، أقسم.
أنا لا أقفز حول الجبال مع طليقتي.

جولييت: *مهلًا، ماذا؟*

أنا: نحن مطلقان منذ فترة طويلة.
لا داعي للقلق. لم يكن ينبغي لي المجيء.

أنهت تيريزا عرضها بثلاثة متطوعين يؤدون رقصة ديسكو محرجة، وهتف المسرح بإعجاب. كان التصفيق من المقعد بجانبي موجهًا بشكل خاص نحوي أكثر من المسرح. بينما كانت تيريزا تغادر وهي تحمل أنفًا أحمر يتمايل، انخفض الستار الأحمر الممتد من الأرض إلى السقف فجأة، كاشفًا عن مجموعة مزيفة ولكنها مثيرة للإعجاب، مصممة لتبدو كورشة عمل سانتا.

مع همسات من الترقب، انطلق شون إلى المسرح أولًا، يدور بشكل درامي حول الأقراص ويضغط على الأزرار الملونة الضخمة التي تتخذ نمط فيلم ونكا، بينما يتحقق من ساعته ويعدل قبَّعته، وهو تصرف يُستخدم فقط للإيحاء بالتوتر بشكل مسرحي. نادرًا ما ترى شخصًا ينتظر حافلة قادمة ببطء وهو يضبط قبعة عالية.

لعب جون المشهد وكأنه مشهد استعراضي. وضع يديه على خديه وصفق، ثم التفت إلى الجمهور وهمس بقلق: «إنه قادم!».

دقت الطبول كجزء من الموسيقى التصويرية، وانطلقت ألسنة اللهب الصاخبة لاستقبال دخول رايلان. لقد كان لهبًا حقيقيًّا، شعرت بالحرارة تتدفق على خدي واستنشقت رائحة اعتقدت أنها بارود. على المسرح، انحنى رايلان، ورفع قبعته العالية، هزها، وحولها إلى قبعة سانتا، ثم وضعها على رأسه بتعجرف.

عدت إلى هاتفي. أرسلت لي جولييت رسالة نصية أخرى. كان اختيارها، من بين كل الأشياء، وجهًا ضاحكًا. أرسلت لها علامة استفهام.

جولييت: بالطبع كان عليك الذهاب، أيها الأحمق.

أنا: أنتِ لست غاضبة؟

جولييت: من فضلك توقف عن التقليل مني بهذه الكليشيهات. قبل أي شيء، أنا أثق بك. إيرين من العائلة. بالطبع يجب أن نساعدها.

أنا: إذًا، أنتِ لستِ غاضبة؟

جولييت: أنا أشتعل غضبًا، يا إرن.

دخل رايلان إلى صندوق، وبدأ شون بثقبه بالسيوف واحدًا تلو الآخر. كنت أستطيع أن أتفهم شعوره.

جولييت: ما الذي يجعلك تعتقد أنه من غير الجيد إخباري هذا؟ جريمة قتل؟ قد تعرض نفسك للخطر. وفي عيد الميلاد!

أنا: لقد قلتِ للتو إنه يجب عليّ مساعدة إيرين.

جولييت: لقد قلت: «يجب ***علينا*** *مساعدة إيرين».*

كان رايلان الآن يظهر ويخفي الحمام كما يشاء. تخيلت شاشة هاتف جولييت وهي تتحطم تحت ضغط أصابعها التي تنقر بقوة.

جولييت: ذكرني، كيف تمكنت من حل ثماني جرائم قتل بمستوى الإدراك هذا؟

أنا: أعتقد أنني جيد في التعامل
مع الموت أكثر من الحياة.

كان هناك صوت هسهسة على يميني، في نهاية الممر. استدرت لأرى سام تلوح بيدها لي. الرجل الذي بجانبي أطلق صوتًا واضحًا وهو ينظف حنجرته، بينما كنت أنسحب خارج الصف وأتبع سام عبر الممر. يبدو أن جوش قد تحايل للحصول على تذكرة بعد كل شيء؛ كان يجلس في الصف الخلفي، وكاميرته موضوعة على كتفه. كان يحتفظ بيده فوقها، لكن توهج الضوء الأحمر الصغير بين أصابعه كشف لي عن تصويره غير القانوني، حتى وإن لم يلاحظه المراقبون.

كان المسرح مزودًا بأبواب مزدوجة -مثل غرفة ضغط الهواء في المركبة الفضائية- للتخفيف من تسرب الضوضاء، انتظرتني سام بينها. أبقيت الباب الداخلي مفتوحًا بقدمي لأستمر في متابعة العرض. على المسرح، كان رايلان يقسم تيريزا بالمنشار نصفين.

همست بلهفة: «يوجد شيء يحدث هنا. أنت محقق، أليس كذلك؟».

- نوعًا ما.

«حسنًا، هل اكتشفت الأمر بعد؟». كانت تقفز على أطراف أصابعها، كانت أكثر توترًا من رجل يرتدي شعرًا مستعارًا في أثناء القفز بالمظلات: «جريمة القتل؟».

لم أستطع التمييز إذا كانت أكثر قلقًا من إخباري أمرًا ما أو أن يراها أحد معي. بالطبع، كنت أتفهم ذلك. الأشخاص الذين يتلهفون لإفشاء الأسرار في القصص الغامضة عادةً ما يكون لديهم تاريخ صلاحية.

بدأ يدور في ذهني كل ما اكتشفته حتى الآن. من إصرار إيرين على حجة غيابها السيئة، إلى اللغز حول كيف غطى شخص ما يديها بالدماء دون علمها، إلى اتصال لايل للإبلاغ عن حادثة قتله قبل يوم من حدوثها، وزيارته الواضحة للمسرح في ساعات الغسق قبل أن يموت، إلى الأشخاص المختلفين في المسرح، وإلى حقيقة أن رايلان وإدارته أرادوا شراء المؤسسة، وأخيرًا إلى جثة لايل، والكلمة الدموية **الكريسماس** على بلاط المطبخ، وعلامة الإبرة على ذراعه.

على خشبة المسرح، رفع رايلان رصاصة وقال: «هذه الرصاصة حقيقية». ثم انحنى نحو الصف الأمامي: «هل يمكنني أن أعطيها لك يا سيدي لتفحصها؟ هل سبق لك أن أطلقت النار من قبل؟ أنت لست شرطيًّا، أليس كذلك؟ جيد. هل رأيت رصاصة حقيقية من قبل؟ أنت مزارع؟ إذن لديك بنادق صيد الخنازير؟ حسنًا، حسنًا، لقد شاهدت فيلم «خليج الذئب» (Wolf Creek)..» وتوقف ليضحك: «هل يمكنك التأكيد على كونها رصاصة حقيقية بالقدر الذي تعرفه؟ هذا يكفي بالنسبة لي. شكرًا، ممتاز، هل يمكنني استعادتها الآن. سيداتي وسادتي، لقد تأكدنا أن هذه رصاصة حقيقية، وبالتالي مميتة».

أعطاه شون مسدسًا ذا ماسورة طويلة، من النوع الذي يناسب رعاة البقر. كنت أراقب أيديهم وهي تتقاطع؛ أرغب في رؤية عملية استبدال الرصاصة الحقيقية بالرصاصة المصنوعة من الشمع. رغم أنني كنت أعرف الحيلة، فقد بدا لي وكأن رايلان ما يزال يمسك بالرصاصة نفسها.

وضع رايلان الرصاصة في تجويف المسدس. رفع المسدس ليراه الجمهور بينما تنزلق الذخيرة في مكانها. دفع شون طاولة مزودة بسلسلة من التروس الأوتوماتيكية، ووضع رايلان المسدس في الجهاز. وعلى الجانب الآخر من المسرح، دفعت تيريزا الجهاز الذي رأيته على

تلفاز غرفة الانتظار: مقصلة خشبية، تتدلى منها شفرة فضية لامعة من الأعلى.

رايلان توجه نحو المقصلة، ومرر إصبعه الأوسط على حافة الشفرة. تظاهر بالألم من حدة الشفرة، وامتص إصبعه، مما أثار ضحكة متوترة من الجمهور. هناك شيء ما في ظلام المسرح يجعلك تكاد تصدق أي شيء، مثل أننا في عام 1776، أو في حفلة جليكل[1]، أو أن ساحرًا على وشك أن يضع حياته في خطر.

ركع رايلان على ركبتيه، وترك تيريزا تثبت القفل الخشبي حول عنقه باستخدام قفلين قديمين من الطراز البحري، ثم قيدت يديه خلف ظهره بالأصفاد. أعلن: «لدي دقيقتان للهروب من هذه الأقفال قبل أن تسقط الشفرة». أضاءت شاشة عرض بلورية (LCD) في وسط المسرح، مع عداد زمني بأرقام حمراء لامعة يقرأ: 2:00. «يمكنني فتح الأصفاد، وهذين القفلين على جانبي عنقي، ولكن المشكلة هي: إذا رفعت القفل الخشبي، سيطلق المسدس النار». أدار شون مقبضًا، ووجه المسدس نحو رايلان. «لذا خياري بسيط، إما أن أخاطر بعنقي مع المقصلة وإما –توقف بشكل درامي– ألتقط الرصاصة بأسناني».

«حسنًا؟». صوت سام في أذني أعادني إلى الواقع. بدأ العد التنازلي على المسرح. 2:00. 1:59.

هززت رأسي: «أنا آسف. ليست لديَّ أي فكرة عمَّن قتل لايل بيرس».

- ليس بيرس.

(1) حفلة جليكل هي احتفال سنوي من رواية خيالية تجتمع فيه القطط من «قبيلة جليكل» في ليلة معينة، ويختار قائدهم أي قطة ستُمنح فرصة لإعادة حياتها من جديد. (المترجمة)

اتسعت عيناها في دلالة على الغضب والإحباط، ثم زفرت واندفعت إلى القاعة. ترددت، قدم واحدة نحو ملاحقتها، وعيني الأخرى على المسرح.

ليس بيرس.

اتخذت قراري. عدت مسرعًا إلى داخل المسرح، إلى أقرب مراقب: «عليك إيقاف العرض».

ضحك المراقب: «الآن! إنه المشهد الختامي الكبير».

.1:44 .1:45

- على الفور.

- لماذا؟

- هناك من يحاول قتل رايلان بليز.

.1:38 .1:39

- هذا ليس مضحكًا، سيدي.

- ثق بي. لقد بدل أحدهم الرصاصات الحقيقية.



الفصل الثاني عشر

.1:30 .1:29

ركضتُ في الممر، أصرخ مطالبًا بإيقاف العرض، ملوحًا بذراعيَّ في الهواء. أتراوح بين «إثارة الهرج» و«إثارة الجلبة»، كنت قد تجاوزت الجلبة بوضوح. في البداية، قوبلتُ بإعصار كتسونامي من الأصوات التي تأمرني بالصمت، لكن مع وصول صراخي إلى المسرح، التفت كل من شون وتيريزا لينظرا في ظلام الجمهور، محاولين العثور على مصدر الاضطراب. أما رايلان، فقد هز رأسه بانزعاج واستمر في العبث بأزرار أكمامه.

.1:24 .1:25

كان منطقي يعتمد على الدافع وراء مقتل لايل، والذي لم أكن أملكه في تلك اللحظة. قد تسخر الآن أيها القارئ من التوقعات المتوقعة للأحداث. سوف تقول لشريكك بتفاخر، بينما تطفئ ضوء السرير، متذكرًا أن رؤيتي لطاولة الدعائم كانت محجوبة، وعندما أصبحت الرؤية واضحة، كانت إحدى الرصاصات قد سقطت، **بالطبع إنها الرصاصات**. هذا هو العنصر الوحيد في عرض رايلان الذي وصفه بالخطير، وقد رأيته

بالفعل يخلط بين رصاصة شمعية وأخرى مميتة. لقد كنت في انتظار هذه اللحظة.

تسلقت المسرح مضطرًّا إلى الزحف على بطني.

صرخ رايلان: «اخرج من مسرحي!».

اندفع شون نحوي، والارتباك في عينيه.

«لقد بدل شخص ما الرصاصات»، قلت مشيرًا إلى الجهاز الذي وضع فيه المسدس الدوار، الذي صوب مباشرةً نحو رأس رايلان المثبت.

.1:05 .1:04

قال شون بجدية: «هذا ليس مضحكًا».

خفضت صوتي حتى لا يسمع الجمهور: «أنا لا أمزح. أوقف العرض حالًا. لقد وضع أحدهم رصاصة حقيقية في المسدس».

كانت هناك همهمة بين الحشد. وبدأ رايلان، الذي سمع المحادثة، في السب ومكافحة قيوده.

.0:54 .0:53

تشاجر رايلان قائلًا: «أخرجوني من هذا **الشيء اللعين**». كان يحاول التحرك بالتواء ولم يتمكن بعد من فك الأصفاد من خلف ظهره. رفع رأسه نحو شون وقال: «وأخرج الرصاصة من المسدس اللعين، فقط للأمان».

- إنه آلي، المسدس مثبت في مكانه، يجب أن يكمل التسلسل.

- من صمم هذا الهراء؟

التفت شون نحوي وقال: «يبدو هذا غير منطقي، لكن تلك هي ميزة الأمان. ال...» ثم نطق الكلمة التالية دون صوت حتى لا يسمعها

الجمهور «شمع آمن، فقط بعد مسافة معينة. إذا كان قريبًا، فقد يكون مثل الرصاصة. لذا، المسدس يُقفل في مكانه. لا يمكن تحريكه، ولا يمكن الوصول إلى حجرة الذخيرة».

حالما قال ذلك، بدا أن رايلان قد نمت له ذراعان جديدتان. كانت يداه ما تزالان مكبلتين خلف ظهره، لكن ذراعين إضافيتين برزتا من جذعه وبدأتا في العبث بالدعائم. أدركت حينها أن ظهر رايلان بالكامل كان قشرة، مثل حشرة السيكادا[1]، وكان يختبئ تحت جسده المزيف.

.0:39 .0:40

ضحك الناس بتوتر، ما يزالون يحاولون معرفة ما إذا كان هذا حقيقيًّا، أو إن كنت أنا جزءًا من الجمهور وأن الذعر كان جزءًا من العرض. كانت الأضواء المسلطة تسخن مؤخرة عنقي وبدأت بالتعرق. على ما يبدو، كان الذعر جزءًا من الخدعة المخططة. رايلان سيتخطى الوقت، وستسقط المقصلة بالفعل. لهذا السبب، كان لديه رأس مزيف. لم أكن أعرف في أي لحظة كان من المفترض أن يُطلق المسدس أو تسقط الشفرة، لكن كان افتراضي أن كل الأشياء ستحدث معًا عندما يصل المؤقت إلى الصفر.

كان رايلان قد فك القفلين اللذين كانا يثبتان رأسه في مكانه. بدأ شكله الذي يشبه الأخطبوط برفع الدعائم.

صرخ شون : «انتظر! ما يزال المسدس موجهًا نحوك. إذا رفعت الدعائم، سيطلق النار. إنهما مرتبطان».

---

(1) حشرة تتميز بقشرتها الخارجية التي تستطيع التخلص منها لإنتاج جسد جديد. (المترجمة)

صرخ رايلان: «حسنًا إذًا، حركوا الطاولة اللعينة!». لم أكن بحاجة للنظر إلى الجمهور لأعرف أنهم تحولوا من الفضول إلى القلق: همهمة الهمسات ملأت الغرفة.

ركضت نحو تيريزا وقلت: «ضعي شيئًا أمامه، في حال أُطلقت الرصاصة». كانت تحدق إلى وجهي بلا تعابير: «شيء ثقيل يمكنه إيقاف رصاصة. هل يتحرك أي جزء من الديكور؟ أي أبواب أو لوحات؟». أثار هذا شيئًا فيها، وبدا وكأنها استيقظت، وهرعت إلى الجوانب.

رايلان كان يملأ المسرح بالشتائم والأوامر والتوسلات، وصوته يزداد يأسًا شيئًا فشيئًا.

أما تيريزا فقد دفعت بالصندوق الذي قُسمت فيه إلى نصفين، ووضعته بين رايلان وفوهة البندقية. كان ذلك حاجزًا متفائلًا، إذ بدا أنه مصنوع من الخشب الرقيق، لكنه كان على الأقل شيئًا.

سام، التي كانت تراقب من خلف الكواليس، لا بد أنها فكرت في الشيء نفسه. ركضت إلى المسرح ووقفت بنفسها أمام البندقية.

.0:20 .0:21

«لا!». حاولت تيريزا أن تمسك بأختها، لكن سام أبعدتها. تشابكتا. تدور إحداهما أمام البندقية ثم الأخرى.

فجأة، ركض كريستوفر عبر الممر وصعد إلى المسرح وصرخ: «شون لنحرك الطاولة. حتى لو حركناها بضع بوصات بعيدًا عنه».

قال شون بلهجة يائسة: «إنها مثبتة في مسارات المسرح».

«ابذل قصارى جهدك إذن». حشر كريس نفسه بجانب الجهاز، وضغط عليه بكتفه. كان هناك صرير في الخشب، لكن لم يتزحزح

أي شيء. أضاف شون ثقله إلى الدَّفعة الثانية. هذه المرة كان هناك أنين أعلى من كلا الرجلين ومن الخشب الرقيق، ولكن بلا أي حركة. ثم تسلل جاري في المقعد المشتت الذهن بسهولة إلى المسرح. تبعه آخرون بسرعة. وفي الدفعة التالية، سُمع صوت تشقق، وأخيرًا تحركت الطاولة بمقدار إنش. صرخ الجمهور تصفيقًا. تجرأت على إلقاء نظرة على المسرح، نصف الجمهور كان واقفًا، والنصف الآخر يغطي وجهه. كانت فليك تتحدث على الهاتف.

0:15، 0:14.

فازت سام بالصراع مع تيريزا، وطرحت أختها أرضًا.

قالت سام بحزم: «دعيني أفعل هذا». توقفت تيريزا عن محاولتها النهوض عن الأرض. هزت رأسها وعيناها محمرتان.

دفع الحشد دفعة أخرى، ومع أعلى صرير حتى الآن، تحركت الطاولة مرة أخرى، على الأقل تحركت مسافة قدم هذه المرة. بدا أن الزاوية ابتعدت بما فيه الكفاية عن رأس رايلان. انفجر الجمهور بالتصفيق. كان رايلان يبكي من شدة الارتياح. توجه لتحريك القيود، لكن كريستوفر صرخ: «انتظر! لا نعرف بالضبط اتجاه البندقية. علينا التأكد من أن الجميع في مأمن».

0:10، 0:09.

أمسك رايلان بالقيود، وقال: «هل أنت جاد؟ أنا على وشك أن يُفجر رأسي».

قال شون: «البندقية لم تعد موجهة إليك، لقد حركناها». كان يحدق إلى اتجاه البندقية، ثم أشار إلى سام وتيريزا للنزول إلى أسفل المسرح بعيدًا عن خط النار. انهارت سام في أحضان أختها.

صرخ رايلان: «ما زلت في المقصلة اللعينة!».

صاح شون عبر المسرح: «اهدأ. أنا من بنى هذا الشيء. إنه مصنوع من الورق، تذكر؟ لن يتسبب في أي ضرر. لكن عندما نحرك الأقفال، ستُطلق بندقية حقيقية النار. وقد ترتد الرصاصة، أو يحدث أي شيء آخر. أنت أكثر أمانًا هنا حتى نحل هذه المشكلة».

رد رايلان قائلًا: «أخبر إصبعي ذلك». وأشار له بحركة بذيئة بإصبعه الأوسط.

.0:04 ، .0:05

أدرك أنني لم أشرح الخلاصة بشكل كامل بعد، لذا دعني أعود إلى النقطة الأساسية: الدافع. لايل أبلغ عن جريمة قتل لم تحدث بعد في اليوم الذي سبق مقتله. لقد وجدت أنه من المريب أن يتنبأ بموته، لكنه بالتأكيد تعثر في مؤامرة قتل أخرى ليست مرتبطة به. كان هناك شخص ما في هذا المسرح يخطط لقتل رايلان بليز بتبديل الرصاصات وجعل الأمر يبدو كحادث. اكتشف لايل بيرس هذه المؤامرة، وقُتل قبل أن يتمكن من كشفها. هل كان هذا هو السبب الذي دفعه للذهاب إلى المسرح في الساعات الأولى من صباح 21 ديسمبر؟ هل هذا ما اكتشفته سام أيضًا وحاولت إخباري به؟

وفقًا لقواعد الألغاز، لقد كانت الخلاصة والمنطق والاستنتاجات جميعها سليمة. وهذا يعني أنني لا أستطيع حقًّا لوم نفسي على أنني كنت مخطئًا.

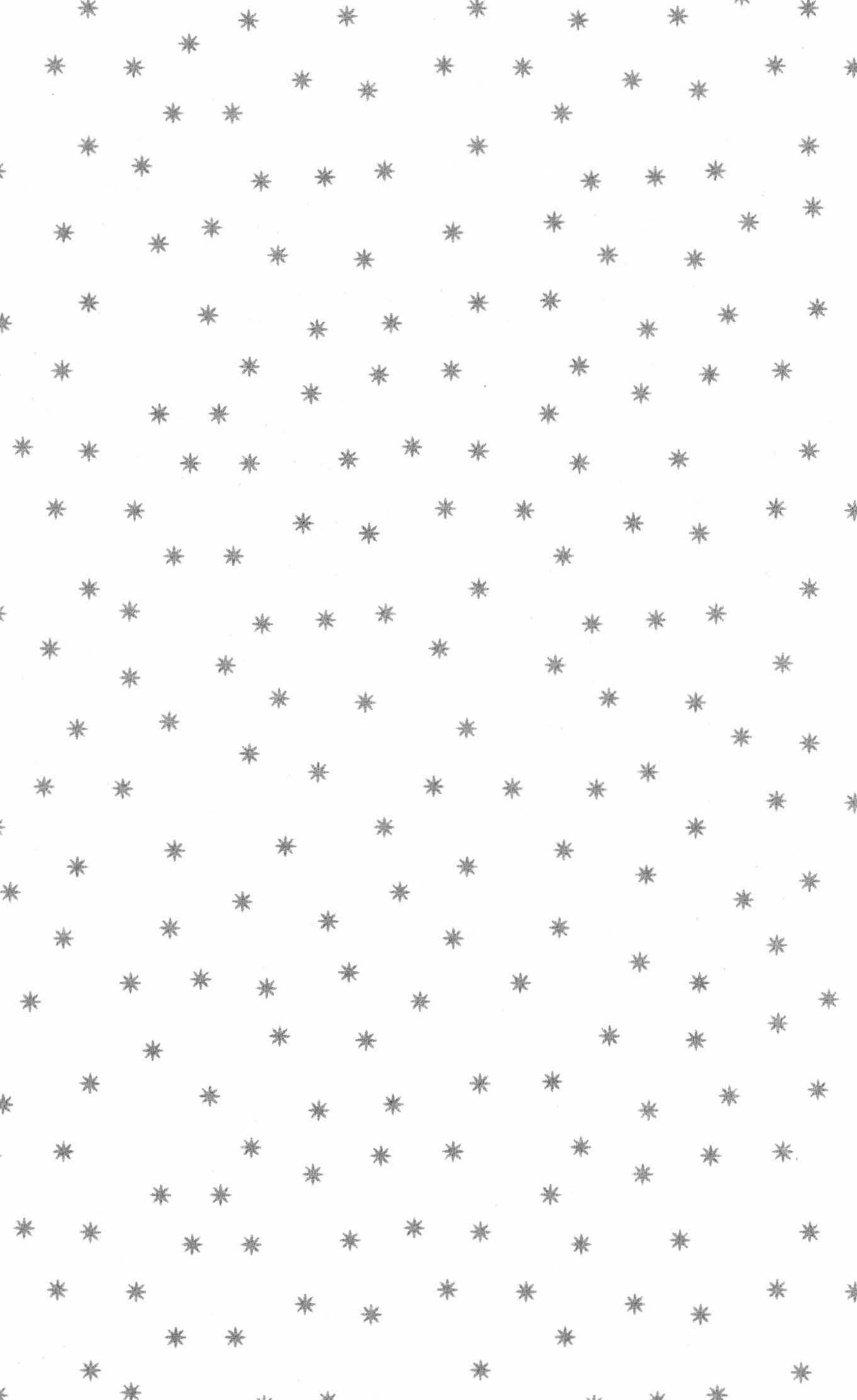
0:01، 0:00.

سقطت المقصلة الورقية.

صوت سقوط هائل.

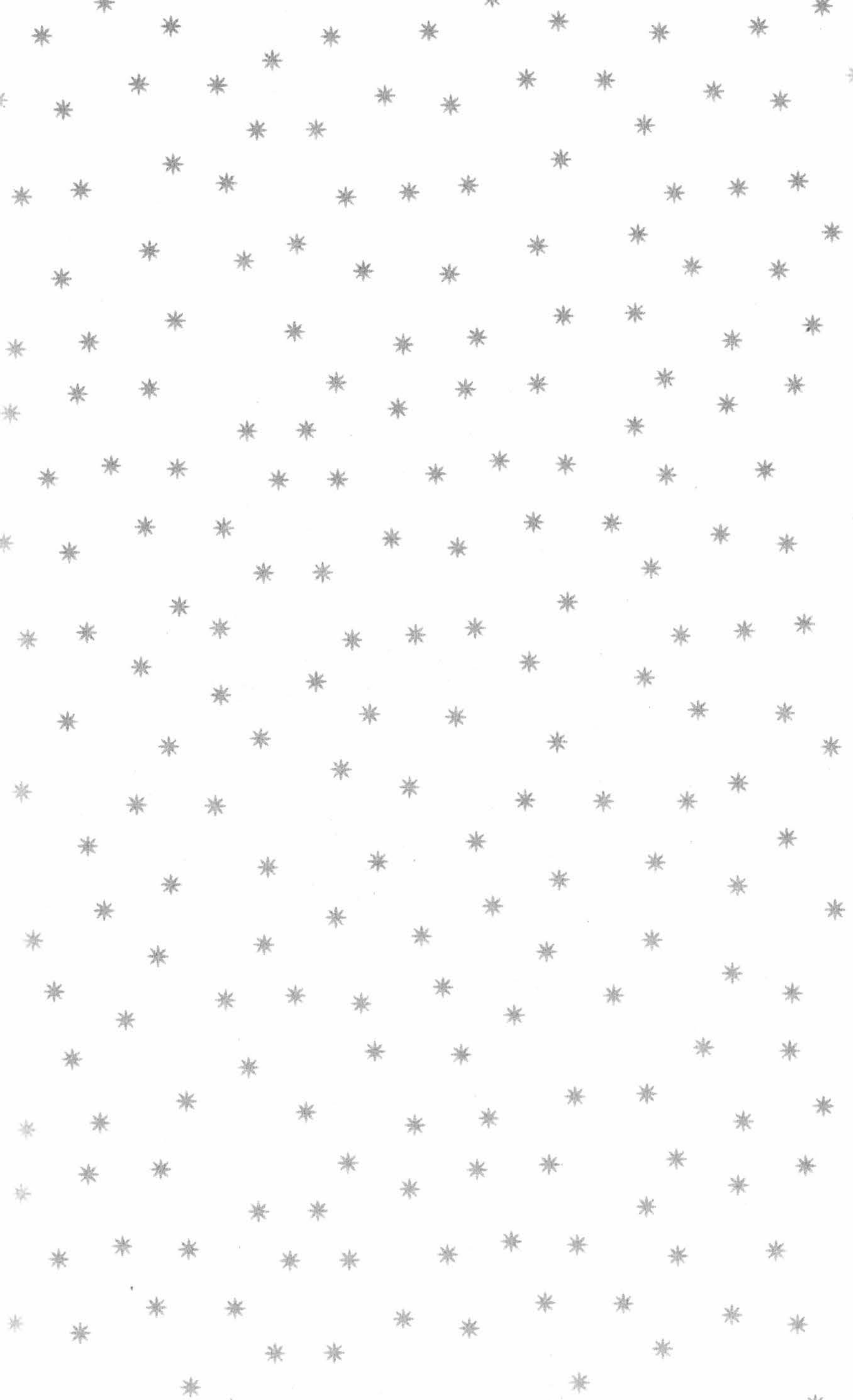
للمرة الثانية اليوم، يتدحرج رأس رايلان بليز نحو قدمي.





إلى:
دينيش روي

من:
ششششش



19

11
إبرة

9
رصاصة من الشمع

14

1
إيرين

5
أبلغ عن جريمة قتلك

23

12
ورقية

16

8
الـ 12 من ديسمبر

13

20

7
صندوق أزرق كبير

3
1:30 صباحًا

21

2
متلبسة

17

22

15

18

24

4
عذر سيئ

10
الكريسماس

6
الارتجاف

الفصل الثالث عشر

كان رأس رايلان الحقيقي مذهولًا بقدر رأسه المزيف لكونه انفصل عن كتفيه.

دوَّى صوت تحطم الزجاج عندما أسقط الناس كؤوس الشمبانيا الخاصة بهم، وامتلأت القاعة أولًا بالصراخ، ثم تحولت إلى صوت يشبه الرعد تكَّون من الخطوات المتسارعة مع تدافع الجمهور نحو الأبواب. نظرت إلى هذه الفوضى؛ كانت فليك تساعد في توجيه الناس نحو المخارج محاولةً تجنب أي ازدحام. كان كريستوفر يتجول في المكان، يطمئن على الجميع على خشبة المسرح، بينما كان شون يتعثر ويتقيأ في الصندوق المنشطر إلى نصفين. كانت سام تضع رأسها بين يديها، بينما وقفت تيريزا متجمدة من الصدمة باستثناء قرونها المرتجفة. لقد سقطت قبعة سانتا الخاصة برايلان في عملية القطع واستقرت مرتخية عند قاعدة المقصلة. بحق الجحيم، لقد رأيت جثثًا من قبل، بل وشهدت جرائم قتل حقيقية، ولكن لم أرَ شيئًا مثل هذا العنف المفاجئ.

لم يتحدث أحد حتى أصبح المسرح خاليًا من الجمهور، باستثناء أنني لم أستطع تجاهل ظل في الجزء الخلفي من المقاعد مصحوبًا بضوء أحمر صغير. كانت أضواء المسرح حارقة بشدة، وحرارتها التي

تسلطت على الدماء ملأت الجو برائحة الحديد، الرائحة التي تسللت إلى أنفي وعلقت في أعلى حلقي. وكأنها تقرأ أفكاري، انخفض الضوء المسلط، منزلقًا على المسرح وعبر ظهر المقاعد. كان ذلك يعني أن دينيش قد غادر غرفة الإضاءة، تاركًا الضوء المسلط في أثناء خروجه.

قلت: «لا يلمس أحد أي شيء». لأنه بدا وكأنه الأمر الصحيح الذي يجب قوله، وليس لأن الناس في الواقع كانوا يمدون أيديهم للمس الجثث أو الرؤوس. سحبت أحد الستائر من على المنصة، ووضعتها على رأس رايلان. لحسن الحظ، كانت الجثة المزيفة والعباءة قد انهارتا فوق جثته الحقيقية. كانت هناك بركة دم صغيرة بشكل مدهش، فهذه قصة عيد الميلاد، بعد كل شيء.

كانت شفرة المقصلة مدفونة حاليًا في منصة الإعدام، شريط من الفضة اللامعة في الأعلى، وإنش آخر من الفضة الملطخة بالدماء يظهر من الأسفل. كنت أستطيع أن أرى أن هناك فتحة تمر عبر المنصة بالكامل؛ لو لم تكن الشفرة مربوطة بحبل، لاخترقت المنصة تمامًا ووصلت إلى الأرض. كان إطار المقصلة نفسه، تحت الطلاء الذي يشبه خشب البلوط، مصنوعًا من خشب البلسا الرخيص. مقبض صغير على الجانب كان يرفع الشفرة إلى الأعلى بواسطة نظام بكرة. لففت يدي بقميصي وأدرته، ظهرت الصفيحة الفضية الملطخة بالدماء.

«ورقية؟». قلت وأنا ألتفت إلى شون، الذي كان يمسح فمه بظهر يده: «حقًّا؟».

كان شون شاحبًا لدرجة أنه بدا وكأنه فقد ثاني أكبر كمية من الدماء على المسرح. لقد ذكَّرت نفسي أن كل الأشخاص لم يروا العديد من الجثث كما رأيت أنا، وانتظرت حتى يتمالك نفسه ويسير نحوي. عندما فعل ذلك، مد يده وأمسك بالشفرة من الجانبين، حريصًا على

لمس جزء غير مغطى بالدماء. لا بد أنه لاحظ دهشتي، لأنه التفت إلي وقال: «بصماتي موجودة عليها على أي حال، أنا من صنع هذا الشيء اللعين. بالإضافة إلى أنها ليست أداة الجريمة. الطلاء المعدني والإضاءة يجعلانِها تبدو حقيقية، لكن هذا الشيء لن يُحدث حتى جرحًا ورقيًّا». مزق الشفرة لبضع بوصات بسهولة: «أرأيت؟».

«لقد رأيت أنه سبب له جرحًا ورقيًّا».. قلت وأنا شارد الذهن، أنظر إلى جثة رايلان: «أخبر ذلك لإصبعي». كان رايلان قد صاح بذلك في الثواني الأخيرة. كنت أظن أنه مجرد غضب، لكنه كان يشكو أنَّ الشفرة كانت حادة.

صرخت تيريزا: «هذا ليس مجرد جرح ورقي في الإصبع، لقد قطع رأسه اللعين!».

رفع شون يديه في الهواء وقال: «لا أعرف ماذا أقول لكِ! لقد رأيتِ ما رأيت. لقد أحدثت له جرحًا ورقيًّا. لكنه ما يزال مجرد ورق. كان رايلان يعلم ذلك، ومع ذلك دخل في الخدعة».

قلت لتيريزا: «لقد فحصت الجهاز قبل العرض. رأيتُكِ على شاشة تلفاز غرفة الانتظار».

اتسعت عينا سام خوفًا على أختها. وضمت تيريزا ذراعيها بغضب وقالت: «ما اتهامك لي؟».

قلت برحابة صدر: «لا شيء. سؤالي فقط هو إذا كنتِ شعرتِ أن هناك خطأ ما عندما فحصت الجهاز قبل العرض؟».

أشارت تيريزا بإصبعها نحو شون: «الفحص ليس وظيفتي. إنها وظيفته، أنا فقط أمسح الغبار عنه، لكني لم أعبث به».

أخذ شون خطوة نحو تيريزا: «وأنتِ تقولين إنني من فعلتها؟».

قفزت للتدخل بينهما بالتزامن مع فتح أبواب المسرح بصوت عالٍ ودخول ضابطَي شرطة، مصحوبين بموجة من الحرارة الشديدة. كان الضابط المسؤول يرتدي ملابس مدنية، وبحكم وجنتيه المتوردتين، يبدو أنه قد تم استدعاؤه من حانة، ربما كان قد بدأ عُطلته بالفعل. أما الضابط الذي كان يتبعه فكانت امرأة، وكونها ترتدي زيًّا رسميًّا في هذا الوقت، وبالتالي تعمل في فترة قريبة من عيد الميلاد، كان هذا دليلًا على رتبتها الدنيا.

وكأنهما جزء من العرض، توقف الضابط المسؤول مباشرةً تحت ضوء الكشاف المسلط من الأعلى. قرع بأصابعه فهرعت الضابطة الصغيرة نحو جوش فيلمان. لم أستطع سماع ما كانت تقوله، لكنها كانت تشير إلى كاميرا «جو برو» (GoPro) الخاصة به، ويمكنني تخمين أنها كانت تطلب منه المشاهد المصورة.

الرجل المسؤول وضع يديه على وركيه، وأخذ نفسًا عميقًا من أنفه. كان لديه وجه مليء بالندوب وكأن العديد من الأشخاص أطفأوا سجائرهم على وجهه عدة مرات. قال: «الرقيب الأول سوليفان. كنت سأقول إني مسرور بلقائكم جميعًا، لكن جريمتي قتل في يوم واحد أمر مبالغ فيه في مدينتي». كافحت لئلا أدير عينيَّ استياءً، إنه من نوع رجال الشرطة الذين يعتبرونها **مدينتهم**. «الآن، تفصلنا أربعة أيام عن عيد الميلاد، وهذا القدر من الفوضى سيجعل زنزاناتنا تشهد ضغطًا. لحسن الحظ، قاتلُنا يحترم البصمة الكربونية لقوات الشرطة، حيث ما يزال فريق الأدلة الجنائية من سيدني هنا منذ جريمة القتل التي حدثت هذا الصباح. إنهم في الطريق إلى هنا ونحن نتحدث. لذا في الوقت الحالي، ليخلي الجميع المسرح. لا يمكن لأحد المغادرة حتى أحصل على إفاداتكم وبصماتكم وأي شيء آخر ترغبون في الإدلاء به. وسأحتاج إلى

تقرير عن التذاكر لتتبع الجمهور الذي كان هنا. كابيشي[1]؟». نطقها بشكل خاطئ، أقرب إلى كيفيشي. «ما عداك أنت، كانينجهام. أوه، لا تتظاهر بالتفاجؤ، أعرف من أنت. وذلك الصحفي». أشار بإصبعه إلى الجزء الخلفي من الغرفة، نحو جوش: «اخرج».

فتحت فمي للاعتراض، لكنه ضم ذراعيه. أدركت أن النقاش التالي سيكون حول التدخل في مسرح الجريمة.. مسرح جريمته. اخترت عدم المتابعة ونزلت عن المسرح.

قلت: «لقد رأيت ما رآه أي شخص هنا، حتى إنني حاولت إيقافه».

قال سوليفان بازدراء: «أعتذر. لم أدرك أنه قد أُصيب برصاصة في الرأس كما اعتقدت. كنت أفترض أنه مقطوع الرأس». ثم حول بصره بشكل مسرحي نحو الكتل المغطاة على المسرح: «أوه! حسنًا، ما الذي تعرفه؟».

قلت بعناد: «يمكنني المساعدة. شركة رايلان كانت تقدم عرضًا على الجانب التجاري من المؤسسة؛ العقارات، هذه المسارح. وهذه صفقة هائلة. قد يربط هذا بين جريمتي القتل».

- قد يحدث ذلك. لحسن الحظ، لدينا بالفعل قاتل في زنازيننا. أعتقد أنك تعرفها جيدًا بالفعل.

- لماذا بحق الجحيم تريد إيرين إيقاف صفقة عقارية؟

- وظيفتي هي اكتشاف ذلك، وليست وظيفتك.

---

(1) كابيشي – capiche هي أحد الكلمات الإيطالية المشهورة في الافلام البوليسية الأمريكية القديمة وأفلام المافيا الإيطالية الأمريكية بمعنى (فهمت أو فهمتم) وكتابة الكلمة الأصلية هي capisce. (المترجمة)

فكرت في خياراتي، واخترتُ الطريق الأقل مقاومة. وافقت: «مدينتك، مشتبهيك». كنت أميل لإضافة انحناءة احترام صناعية، لكنني اعتقدتُ أن ذلك سيكون مبالغًا فيه.

بينما كنت أمر بجانبه، كان جوش يتشاجر حول تسليم تسجيلاته، لذا كنت أول من خرج. كانت الليلة حارَّة خالية من أي نسيم للراحة. حرارة الشمس شيء، لكن الليل الهادئ كان يشبه البطانية المضغوطة فوقك شيء آخر. شعرت وكأنني محبوس في جلدي. كانت حشرات السيكادا الصيفية تصدر طنينًا بخشخشتها الورقية على قمم الأشجار، وتملأ الهواء بالضوضاء. كانت النجوم كالجواهر في السماء البحرية.

كان موقف السيارات مليئًا بالفجوات بسبب وجود السيارات الثمانية المتبقية، بما في ذلك سيارة الشرطة. توقفت، وعددت السيارات مرة أخرى. تسعة مشتبه بهم محتملين، باستثناء الشرطة وبما في ذلك جوش. بافتراض أن سام وتيريزا كانا يتشاركان سيارة، كان عدد السيارات في الموقف تنقُصه سيارة.

شخص ما غادر.

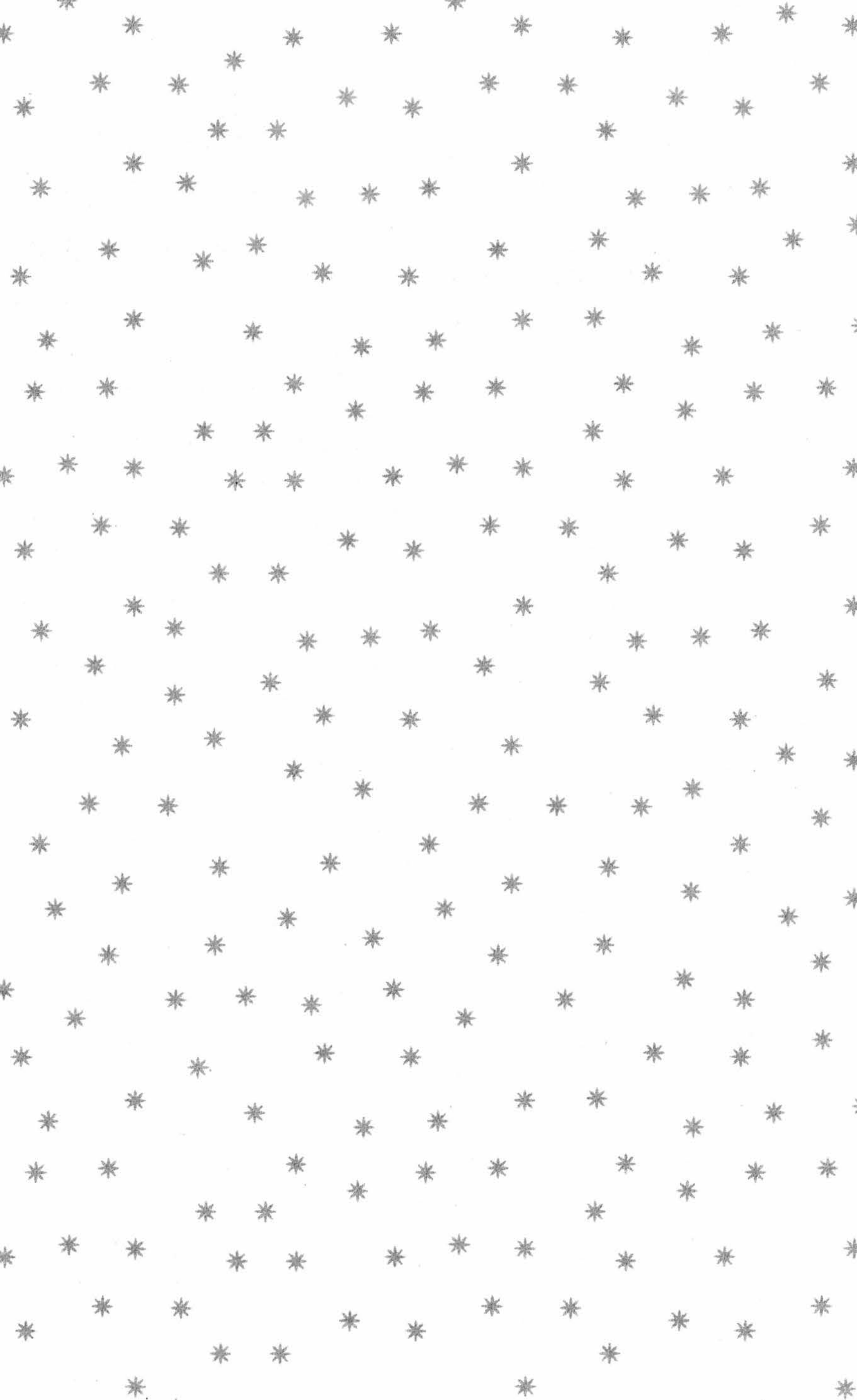
أدركت أنه بعد رؤيتي الكشاف وهو يتدلى، لم يدخل دينيش القاعة. لم أكن أرغب في القفز إلى الاستنتاجات، ولكن حقيقة أنه غادر بسرعة كانت منذرة بالسوء. خططت لسؤاله عن ذلك، المشكلة كانت أنني لم أكن أعرف أين يعيش دينيش، وعلى الرغم من أنني حللت بعض جرائم القتل في السنوات الأخيرة، لم أضطر قط للبحث بجدية عن شخص مفقود، لم يكن هذا ضمن مهاراتي.

ثم رأيت دراجة مربوطة بشجرة، وهذا يعني أن عدد المركبات كان صحيحًا بالنسبة لعدد الأشخاص. دينيش كان ما يزال هنا، لكنه لم يكن داخل المسرح.

بينما كان سكون الليل يمثل عذابًا بسبب الحرارة، إلا أن هذا كان يعني أيضًا أن الصوت ينتقل لمسافات بعيدة.

لهذا السبب كان من الواضح جدًّا سماعي صوت صرخة في أعماق الأدغال.





الفصل الرابع عشر

اندفعت نحو الأدغال بأقصى سرعتي. وصلت أطراف الأغصان المدببة إلى ذراعيّ، فيما عاملت الأرض الصخرية غير المستوية كاحليّ كما لو أنهما في مباراة تنس، تضربهما ذهابًا وإيابًا. من المعروف جيدًا أنه لا ينبغي الدخول إلى الأدغال دون خطة. يكفي أن تخطو بضع خطوات حتى تُغلق الفروع المقوسة السماء فوقك، وتبدو كثافة الأشجار كأنها تقتلع جذورها، وتتحرَّك لتكوِّن متاهة تدور جدرانها كلما استدرت. لا أمل، لا وجهة محددة، فرق البحث عثرت على جثث ماتت من الجفاف، على بعد أمتار من الطرق السريعة. تخيل أن تموت وأنت تعتقد أن لا أحد سيعثر عليك، بينما أنت على بعد أمتار من موقف سيارات ماكدونالدز والبرغر بالجبن.

كل هذا لأقول إنه إذا كان الضياع في النهار مخيفًا، فإنه يكون أكثر رعبًا بشكل مضاعف في الليل.

ضوء مصباح هاتفي ارتد عن أشجار الكافور بينما كنت أتحرك في الاتجاه الذي كنت آمل أن يكون نحو مصدر الصرخة. ليس فقط الاتجاه الجسدي الذي يضيع في الأدغال، بل إن الصوت أيضًا يخدع أذنيك. هناك سبب لتسمية المكان نقطة الصدى، حيث يرتد الصوت عن الصخور والأودية.

يمكن لشخص ما أن يقول لك شيئًا في وجهك وستظن أنه خلفك. تحركت بسرعة بقدر ما أثق بنفسي. كان ضوئي يمرُّ أحيانًا فوق شيء يشبه حيوانًا يندفع بعيدًا إلى الأدغال مع حفيف الأوراق. عشرات النقاط اللامعة -أعين الحيوانات الجرابية- تتألقُ من فوق. كان المكان كله ينبض بالحياة. انعكاسٌ لامع في ضوء مصباحي لفت انتباهي. شيء معدني، مصنوع بيد الإنسان.

ناديتُ وأنا أتقدم بحذر: «دينيش؟». كان عليَّ أن أكون حذرًا؛ فقد أكسر ساقي أو أجرح رأسي إذا تعثرت. والأسوأ من ذلك، قد أجد نفسي أسير مباشرةً نحو حافة منحدر. الانحدارات من هضبة كاتومبا تصل إلى 300 متر. لن تدرك حتى أنك ميت حتى تسمع الرياح تصفر بجانب أذنيك.

الأرض تحولت من تراب إلى صخر، وبدأت أتحرك ببطء، معتقدًا أنني أقترب من الحافة. الطبيعة والليل قد يخفيان قمم المنحدرات والثعابين، لكنهما قد يخفيان أيضًا البشر. قد يترك دينيش شيئًا على حافة منحدر وينتظرني لأنحني وألتقطه. الأمر لا يتطلب سوى يدين من خلفي. حسب المنحدر، قد يستغرق الأمر سنوات حتى يتم اكتشاف جثتي.

اهتزاز في الأشجار خلفي، وسقوط الأوراق والمكسرات، أعاد لي وعيي. استدرت بسرعة، كشافي أظهر فقط أشجارًا وأعين.

عدت ببطء واقتربت أكثر. كان الشيء اللامع زوجًا من النظارات، كان موضوعًا على زوج من الأحذية المربوطة بإتقان. كان هذا التكوين الغريب مستندًا إلى الصخر، قبل أن تسقط الأرض إلى هاوية عميقة لدرجة أن كشافي اختفى في السواد.

سحبت نفسي بعيدًا عن الحافة، وساقاي ترتجفان من الارتفاع، لكنني لم أعد خائفًا من التعرض لهجوم من الشجيرات. الأحذية الموضوعة بشكل أنيق، والنظارات، مائلة لتعكس الضوء. كان الأمر واضحًا. كان

هذا هو الهدف كله. تخيلت دينيش، وجهه الملطخ بالمخاط، وهو يربط حذاءه بهدوء، يضع نظاراته برفق، واقفًا، شامخًا، مائلًا إلى الأمام ليقدم نفسه للفجوة أسفله.

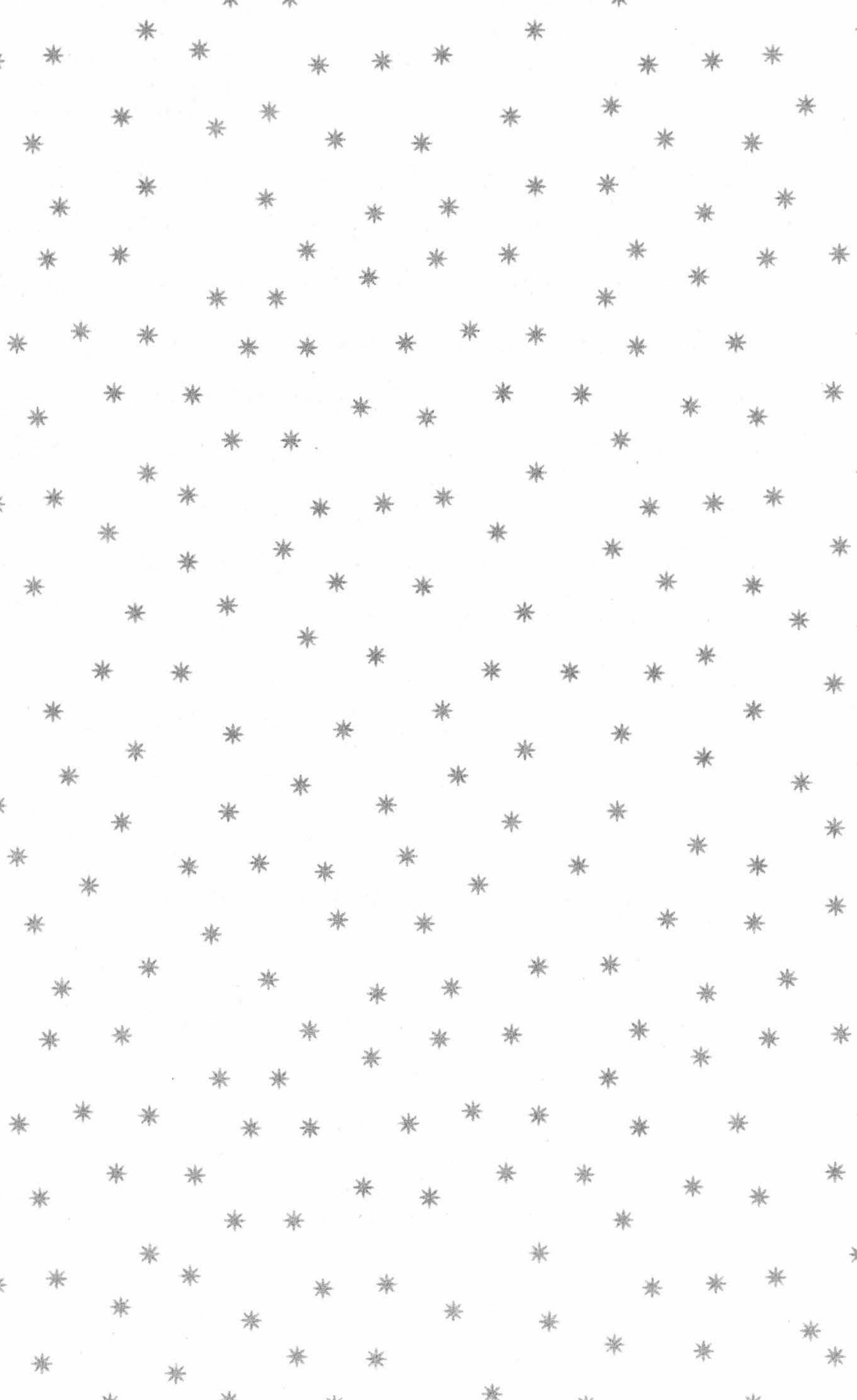
لكن المحققين وقرَّاء الألغاز يجب أن يتذكروا دائمًا شيئًا: لا جثة، لا موت. إذا لم ترَ جثة، يمكنك الوثوقَ بأن ذلك الشخص سيعود. لقد حدث ذلك لي مرتين في قضايا سابقة، وبالتأكيد لن أقع في الفخ مرةً أخرى.

«دينيش». التفتُّ لأواجه مجموعة الأشجار الهادئة. «الرجال المذنبون يقفزون، الرجال الخائفون يختبئون». لم يكن هناك أي رد وسط كثافة الأدغال. كررت المحاولة. السرد كان واضحًا جدًّا. في عام 1957، ترك رجل يُدعى فيري جوردون شيلد قبَّعته وبوصلته وغليونه وكأسه على قمة منحدر في جبال بلو، وسقط إلى حتفه. كان دينيش يقلد هذه القصة. من الذي سيدبر جريمة قتل جريئة وعلنية ثم ينهار ويلقي بنفسه نحو نهايته؟ السبب الذي جعلني أعلم أنه خائف هو الوجه الآخر للعملة: من سيتظاهر بالانتحار فقط لتجنب بعض الأسئلة من شخص ليس حتى محققًا حقيقيًّا؟، «أنت لا تهرب مني، أليس كذلك؟ من الذي تخاف منه؟».

جاء صوت من الظلام، لم أستطع تحديد ما إذا كان من اليسار أو اليمين أو من أمامي.

- لا أعلم، لكن هذا هو المغزى من الأمر.





الفصل الخامس عشر

ظهر وجه دينيش الممزق بالأسى من بين الشجيرات على يساري. كان يرمش بعينيه بشكل مستمر دون نظارته. كان حافي القدمين، وتعلقت أوراق الشجر والطين بأصابعه.

قال ممتعضًا: «اتركني خارج هذا الأمر، أنا لم أقتل أحدًا».

أجبته: «لا أظن أنك فعلت، ولكنك قلِق من أن تكون الهدف التالي لشخص ما. أعتقد أن لايل قُتل لأنه كان يعرف شيئًا عن اليوم، وأعتقد أنك تخشى أن تكون الطرف الآخر الذي يجب التخلص منه. لهذا السبب صرخت، وجعلت الأمر يبدو وكأنك قفزت».

من خلال تجربتي، فإن الأشخاص الذين تواجههم بكذبة غالبًا ما يكونون عدوانيين. ولكن يظهر عليهم دائمًا بريق من الارتياح، لأنه لم تعد هناك حاجة للاستمرار في التظاهر. دينيش، مع ذلك، كان يظهر فقط الجانب الأخير. لقد كان لينًا. قال: «انظر، أنا لا أعرف ما حدث لـلايل. ولا أعرف ماذا حدث بحق الجحيم مع المقصلة. أليست من المفترض أن تكون مصنوعة من الورق؟ لا أعرف أي شيء».

- ومع ذلك، هربت؟

- هناك شخص يقتل الأشخاص الذين يعتقد أنهم على معرفة بشيء ما.

- ما الذي يعتقد أنك تعرفه؟

- ليس بقدر ما كنت أظن. لا أعرف من قتل رايلان، إذا كان هذا سؤالك التالي.

- كنت تهرب من شخص ما، ولم تكن تعرف من هو؟

- كنت أفتح قفل دراجتي عندما سمعت أحدهم يخرج من المسرح. فكرت، من الأفضل أن أكسب بعض الوقت، أيًّا كان هذا الشخص. إذا كان القاتل، فلا فائدة من مطاردة رجل ميت، لم أعلم أنه أنت حتى خطوت إلى ضوء القمر عند الحافة. أنت الشخص الذي أوقف العرض. من أنت؟

ترددت: «أنا....» ماذا أكون بالضبط؟ أنا بالكاد محقق خاص. «أنا محقق بوليسي عام للغاية».

- كيف عرفت عن الرصاصات؟

قلت بصدق: «لم أعرف». رغم أن سام قد وجهتني في الاتجاه الصحيح. لقد كانت قلقة، أتذكر ذلك. لكن هل كان هناك ما هو أكثر من ذلك؟ الخوف؟! هل كانت تحاول مساعدتي في القبض على القاتل للسبب نفسه الذي دفع دينيش إلى الهرب؟ «كنت محقًّا بشأن عملية القتل لكنني أخطأت بشأن الطريقة». كان دينيش يبدو متوترًا. لم يكن من النوع الذي يسترسل في الحديث، لذا قررت أن أفعل ذلك نيابة عنه: «أعتقد أن لهذا علاقة بالثاني عشر من ديسمبر. لقد تم سحبك من الجولة. سام أخبرتني أنها استأجرت طائرة خاصة لجلب رايلان إلى هنا واللحاق بالعرض تلك الليلة في توومبا. أنت، رايلان، ولايل عقدتم

اجتماعًا في ذلك اليوم. والآن، اثنان من ثلاثة أشخاص حضروا ذلك الاجتماع قد ماتوا».

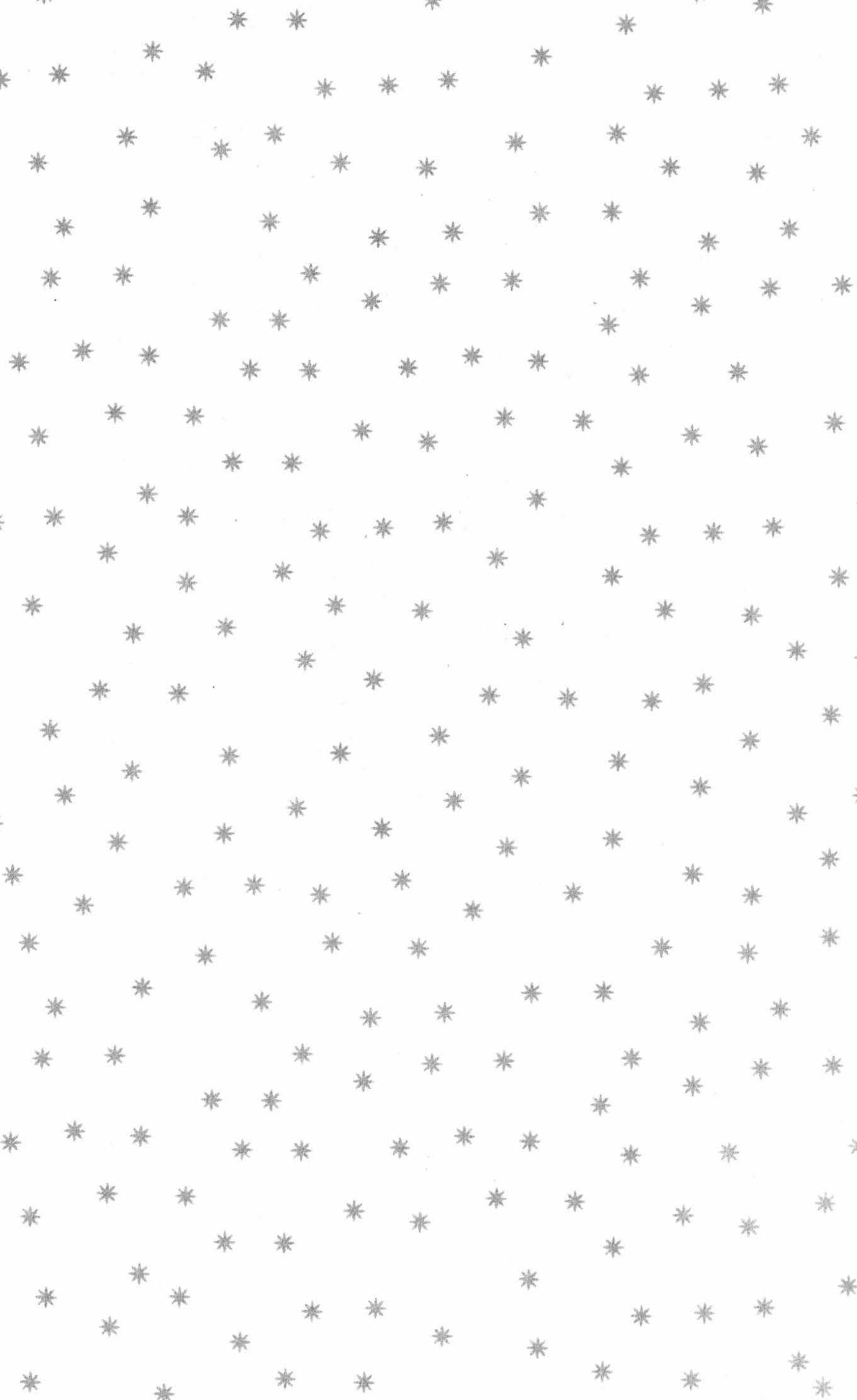
نظر دينيش إلى الأرض.

- المحقق الرائد سوليفان ظهر للتو ثم هربت أنت. دعني أتأكد ممَّا إذا كنت محقًّا: أولًا، كأس الهرم الثقيل الخاص بلايل ليس في محاذاة مع باقي المعروضات، وهناك ثقبٌ في جدار مكتبه. ثانيًا، رايلان بليز أخبرني أن الموظفين هنا لصوصٌ بغضاء. ثالثًا، سبق أن واجهت مشكلة مع الشرطة من قبل.

رميت لدينيش نظارته، فوضعها على وجهه. كان يبدو منهكًا، ما يعني في مصطلحات التحقيق أنه مستعدٌّ للحديث. قررت أن أسأله مباشرة.

- لقد طردك لايل بيرس في الثاني عشر من ديسمبر، أليسَ كذلك؟





إلى:

شون مارتن

من:

سانتا

الفصل السادس عشر

كان بإمكانك استبدال جميع الزخارف اللامعة على أي شجرة عيد ميلاد بالطريقة التي لمعت بها عينا موظف الاستقبال في البنسيون، الذي يعمل على مدار الأربعة وعشرين ساعة عندما أخبرته أنني بحاجة إلى حجز في اللحظة الأخيرة وسأدفع نقدًا. تظاهر أنه يحاول إيجاد مكان لإدخالي، وسحب قلمه على ورقة الحجز الفارغة وهو يتأوه، وأديت دوري في هذه التمثيلية، فدفعتُ السعر المرتفع بامتنان مزيف بالقدر نفسه.

كنت سأدفع مبالغ زائدة مقابل الغرفة لو كان الموظف قد حاسبني بصدق، هذا ما فكرت فيه وأنا أستلقي على البطانية المسببة للحكة والمصنوعة من جلد الحيوانات، والتي كانت رقيقة جدًّا لدرجة أنها بدت وكأنها تفتقد دورها الحقيقي كطرحة عروس. لكن هذا لم يكن يهم في ظل هذا الحر. كان مكيف الهواء قد نفث الكثير من الغبار الأسود في الغرفة، حتى اضطررت إلى إيقافه. وبدلًا من ذلك، وضعت منشفة شاي مبللة بالماء على جبيني. كان من المتوقع أن يكون يوم عيد الميلاد حارقًا للغاية، وبدأت درجة الحرارة في الارتفاع. كنت آملُ العودة إلى المنزل بحلول ذلك الوقت. في رأيي، يمكنُ أن تذهب أعياد الميلاد البيضاء إلى

الجحيم. أعطني مسبحًا في الفناء الخلفي، وسلة إعادة التدوير، مع أعمدة لعبة الكريكت المرسومة بالرش في أي يوم.

الحقيقة هي أنني كنت أحلم بعيد ميلاد عادي، لأن عقلي أفرط في الحماسة بسبب كل ما حدث. لم أكن في المدينة سوى ست ساعات، ورأيت بالفعل جثتين -مع العلم أن إحداهما كانت في صورة-. كان هذا، حتى بالنسبة لي، قدرًا كبيرًا من المذابح.

لكن هذه هي القضية الثالثة التي أحقق فيها وأنا مستلقٍ على السرير، ما زلت أتأمل في مغزى كل ما رأيته، شعرت بالتواضع أمام حقيقة حتمية: في كل مرة أحاول فيها حل جريمة قتل، يموت شخص آخر في الطريق. بالطبع، هذا جزء أساسي من روايات الغموض: جريمة القتل في منتصف الأحداث أو «جريمة القتل التي تحدث بعد الفاصل الإعلاني الثاني» إذا كنت تفكر في التلفزيون، تخدم اهتمام القارئ وتحرك الحبكة. لكن في الحياة الواقعية، لم يكن الأمر عادلًا. لم أستطع التخلص من الشعور بأن الناس كانوا يموتون لأنني لم أكن أحلُّ القضايا بالسرعة الكافية، رغم أنني كنت أحلها في النهاية.

ظلت الصور عالقة خلف جفوني: هدية كبيرة زرقاء غير مفتوحة من سانتا السري لرايلان بليز؛ أربعة أبواب غير مفتوحة للايل بيرس. مشروعات نصف منتهية من حيوات نصف مكتملة. لم أستطع النوم، حاولت أن أعيد التفكير فيما قاله لي دينيش، ومعظم ما قاله كنت قد خمنته بالفعل وقد أكده هو فقط. كان يهز رأسه ببطء عندما سألته عن طرده. على ما يبدو، رايلان بليز قد أبلغ بيرس بأن دينيش قد سرق شيئًا، وسرعان ما عُثر على خاتم مرصع بحجر الزبرجد الكريم، انتقل الخاتم عن بعد من غرفة ملابس رايلان إلى حقيبة دينيش، إذا كان

يجب تصديق ما يقوله دينيش. فقد طرد بيرس دينيش على الفور، رغم احتجاجات دينيش ببراءته.

«لم أكن أعرف حتى ما الذي أُتهمت به. لم أكن أعلم أن خاتم رايلان قد وُجد بين أغراضي إلا عندما أخبرتني فليك لاحقًا أن ذلك كان السبب. مدمن الكوكايين هذا ربما فقده، إذا كنت تسألني -ولم يسألني أحد بالمناسبة- لا يوجد شيء اسمه جلسة استماع عادلة لمتعاطٍ سابق. قالوا لي إنه حان **الوقت لأبحث عن فرصٍ أخرى**. لقد بالغت في رد فعلي عندما رميت ذلك الكأس اللعين، وطردني الأمن». ركل حجرًا، سمعت قرقعة اصطدامه بجرف الجبل، وارتطامه برؤوس الأشجار أسفلنا بعد سبع ثوانٍ كاملة. شعرتُ بمعدتي ترتفع وأنا أتخيل الارتفاع. «هذا ما يحدثُ للفرص الثانية».

سألتُه: «لماذا كنت تعمل الليلة؟».

- الشخص الجديد كان مريضًا. أنا الوحيد الذي يعرف التعليمات، وأستطيع أن أرى ما تفكر فيه. كنت سأحب معاقبتهم، لكنني لم أحصل على تعويضِ نهاية الخدمة. طلبتِ من فليك ثلاثة أضعاف الأجر مقابل الليلة، ووافقت. لم أسرق شيئًا، لكنني أخذت أموالهم.

كان لدى دينيش بالفعل دوافع لارتكاب الجريمتين: الرجل الذي طرده، والرجل الذي كان السبب في ذلك. ومع ذلك، صدقته. لم أعتقد أن خوفه، عندما طاردته عبر الأدغال، كان من الممكن أن يكون مصطنعًا.

وضعت مسألة طرد دينيش ورمي الكأس في خانة المهام المعقدة على مضض، وأرسلت بريدًا إلكترونيًّا لجوش. كنت أرغَب في معرفة المزيد عن علامة الإبرة على ذراع لايل، وآمل أن يكون لديه اتصال في الشرطة يقبل رشوته للحصول على تقارير فحص الدم الخاصة بلايل وإيرين. بعد أن أُرسل البريد الإلكتروني، شاهدت مقاطع على يوتيوب

تظهر لايل وهو يتلقى الجوائز ويلقي خطب تخرج الجامعات. تحدث عن وفاة أخيه، وعن رغبته في مساعدة الناس على تجاوز توقعات المجتمع منهم، وكان يختم كل خطاب بعبارة: «**الشغف يخلق التغيير**». حاولت التوفيق بين هذا الرجل وعلامة الإبرة في ذراعه.

وصلني بريدٌ إلكتروني من جوش: **سأحاول الحصول على تلك التقارير. تفقد هذا.** ضغطت على الرابط الذي أرفقه. امتلأت الشاشة بمشهد من القاعة. تمكَّن جوش من تحميل لقطاته قبل أن تصادرها الشرطة.

كانت هناك فوضى عارمة على المسرح. أنا وشون نتجادل، ورايلان يصرخ من داخل المقصلة. سام تضع نفسها أمام فوهة البندقية. تيريزا تسحبها بعيدًا. ثم بدأ أعضاء من الجمهور، جنبًا إلى جنب، مع شون وكريستوفر، يحاولون كسر المشهد. أعدت تشغيل لقطة سقوط الشفرة مرتين بالحركة البطيئة، ثم أوقفت الفيديو بشكل مريب، عند اللحظة التي أراد رأس رايلان -ولكي أعبر بلطف- أن **يستكشف فرصًا أخرى** بعيدًا عن جسده.

كانت هناك شفرة ورقية مدفونة في المقصلة، أزلتُها، وشون مزقها لاحقًا. أسفل المقصلة كانت هناك فجوة من الهواء الصافي، يمكنني من خلالها رؤية بقية جسد رايلان قبل أن يصل إلى أرضية المسرح. تساءلت إذا كان من الممكن أن تكون هناك شفرة ثانية مخفية. لكن أين ذهبت؟ لم أتمكن من رؤية أي شيء في اللقطات، رغم تقديم الفيديو وإرجاعه مرارًا، ناهيك بأي شيء يمكن أن يكون قد قطع رقبة رايلان.

وأنا أكتب هذا كله في يوم عيد الميلاد، أشعر بشعور غريب وكأنني أنظر إلى نفسي من الأعلى، وأنا أتصبب عرقًا على سرير السجن ذي الطابقين في غرفة ذلك البنسيون، في حالة من البؤس والحيرة، مع قليل

من الوحدة. أراقب نفسي وأنا أرسل رسالة نصية إلى جولييت. أراقب نفسي وأنا أخيرًا أستسلم للنوم، فقط لأستيقظ على وقع الصوت الهائل المتخيل لسقوط المقصلة.

أتمنى لو كنت أستطيع أن أضفي على حكايتي هنا بعض الطمأنينة، وأخبر نفسي أنني سأحل الجريمة بالفعل، وهو إنجاز سيصاحبه تعرضي لطلق ناري في الصدر ورؤيتي لحالة وفاة أخرى. سأخبر نفسي أنني سأجدها في النهاية تكتب كل هذا بيد تحمل قطعة من الكعك الاسكتلندي، والأخرى تمسك بالقلم.

لكنني، أنا الموجود في البنسيون في ساعات الفجر من الثاني والعشرين من ديسمبر، لم أكن أعرف بعد الحل لاثنتين من جرائم القتل المستحيلة: امرأة مغطاة بالدماء لا تتذكر كيف وصلت إليها. ورجلٌ مقطوع الرأس... بواسطة قطعة من الورق.

بينما كانت الجريمة الأولى محيرة، كانت الثانية خيالية تمامًا. لم يكن هناك إنكار لما رآه الجميع في المسرح: لقد سقط النصل، وفصل رأس رايلان عن جسده. ثم رفعتُ شخصيًّا النصل نفسه، لأكتشف أنه ليس سوى ورقة هشة، تمزقت بسهولة في يد شون. لقد رأيت ذلك بأم عيني.

لكن مرة أخرى، كان هذا هو جوهر الحيلة السحرية، أليس كذلك؟

الضوضاء الصادرة من هاتفي أيقظتني. سحبت الشاشة دون أن أنظر، وفوجئت بسماع صوت إيرين على الطرف الآخر. كان الخط مليئًا بالتشويش، والإشارة مشوشة بسبب أعماق الفولاذ والخرسانة التي أُجري منها الاتصال.

قالت: «سمعت عما حدث لرايلان بليز».

- هل يسمح لك بإجراء مكالمة في هذا الوقت المبكر؟

«الضابط سمح لي باستخدام هاتفه لحالة طارئة. بالإضافة إلى ذلك، إنه عيد الميلاد». كان صوتها مفعمًا بالحيوية. شخص مختلف تمامًا عن المرأة المرهقة والمغطاة بالدماء التي جلست أمامي في اليوم السابق. «جريمة قتل أخرى، والتي من الواضح أنني لم أرتكبها. هذا يعني أنني بريئة، أليس كذلك؟».

ترددت. كنت أستطيع تقريبًا سماعها وهي تشعر بالإحباط.

سألت مرة أخرى: «أليس كذلك؟».

مسحت النوم من عيني: «آسف إيرين. أتمنى لو كان الأمر كذلك، لكن هذا يبرئك فقط إذا تمكنًا من التأكد من أن لايل ورايلان قُتلا على يد الشخص نفسه». سمعت صوت ضربة على الهاتف، وتخيلت إيرين وهي تضرب السماعة على جبهتها. «يبدو أن موت رايلان تم تدبيره مسبقًا. كان من الممكن التلاعب بالمقصلة في أي وقت أمس، أو حتى قبل ذلك. أتمنى لو كان بإمكاني الكذب عليكِ وأن أقول إنه خبر جيد. أنا آسف. ولكنني أحدثك بصدق». أغمضت عيني بإحكام. كان زواجي من إيرين كارثة. لم تبدأ المشكلات مع أول جثة عثرت عليها مغطاة بشِباك العنكبوت منذ سنوات، لكنها كانت جزءًا من الأمر. ثم جاءت جرائم القتل التي تلت ذلك، أعاقها اسم كانينجهام كمرساة. لايل ساعدها على ترك كل ذلك خلفها. والآن، بعد رحيله، ها أنا ذا أسحبُها مرة أخرى، والجثث تتراكم كما لو أن شيئًا لم يتغير. قلت في النهاية: «ربما لست مناسبًا لهذا الأمر. لست محترفًا. قد ينتهي بي المطاف بزيادة الأمور سوءًا».

قالت بهدوء: «أتعرف لماذا اتصلت بك؟ لن أقول لك إنني لم أتمكن من فعلها. لم أقل ذلك بالأمس، ولن أقول ذلك الآن. لأنه بعد ما حدث على الجبل، بعد جرائم القتل. كل ذلك الموت...». أصدرت صوتًا يدل

على الغثيان: «أفرك يدي حتى تتشقق، أشعر وكأنني الليدي ماكبث[1]، قذرة».

«ربما لا يجب عليك الاستشهاد بالليدي ماكبث عندما تحاولين إثبات براءتك». حاولت أن أمزح، لكنني فشلت فشلًا ذريعًا.

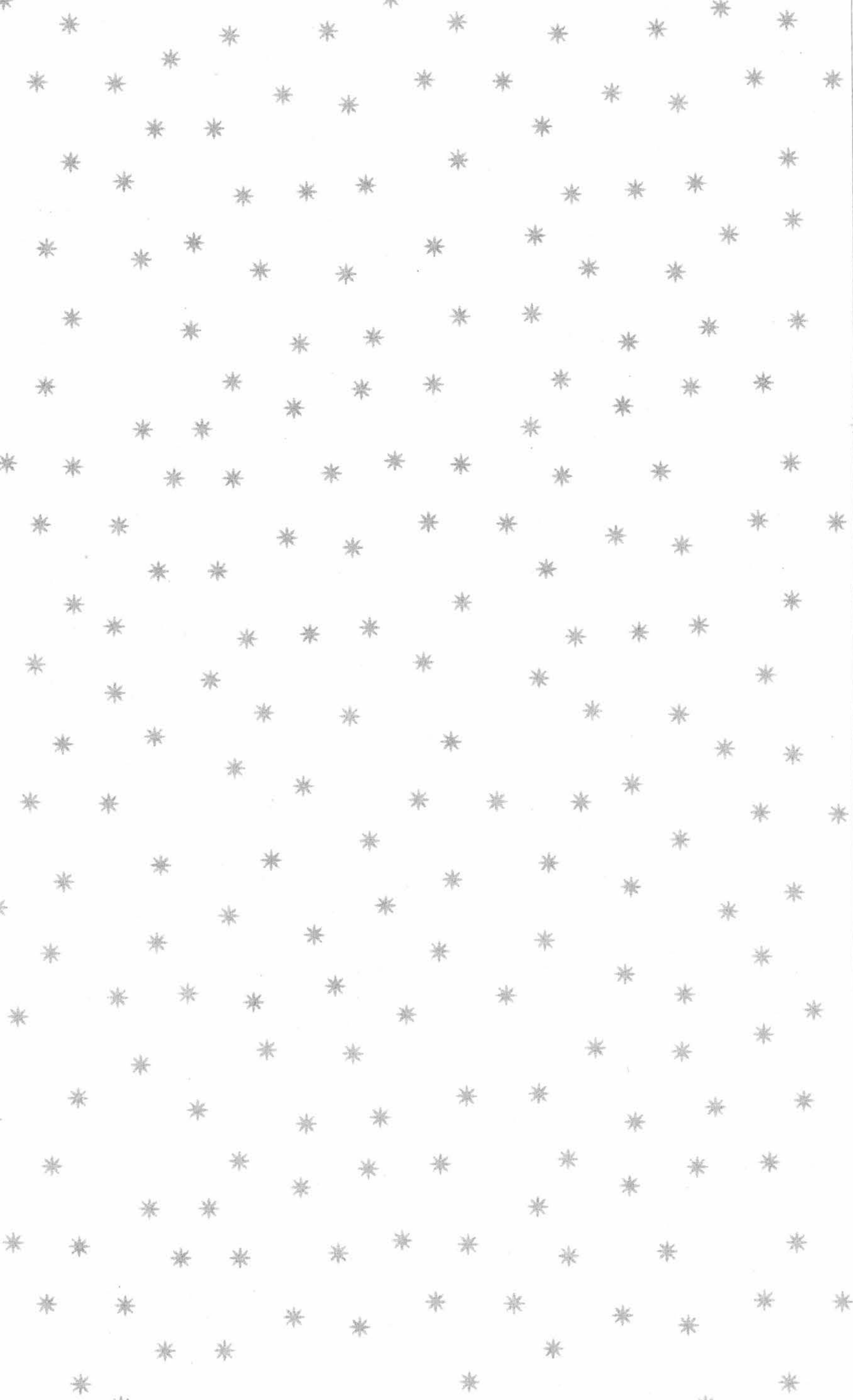
«أنا لا أحاول إثبات أي شيء. ماذا لو... كل الأشياء التي رأيتها. ماذا لو انكسر شيء داخلي؟ ماذا لو كنت قد فعلت هذا حقًّا؟ اتصلت بك ليس لأني أردتك أن تثبت براءتي». كان الصوت مشوشًا. «أتمنى أن تفعل. كل خلية في جسدي **تأمل** أن تفعل. لكنني استيقظت مغطاة بالدماء، إرنست. وأنا... لا أعلم إن كنت قد قتلته أم لا. هذا ما أريدك أن تكتشفه. هل أنا قاتلة؟ هل أنا قادرة على فعل هذا؟».

قلت برفق: «أنتِ لست كذلك. أنا أعرفك».

كانت تحاول كبح دموعها: «هذه هي المشكلة. كيف يمكنك أن تعرفني؟ أنا لا أعرف حتى نفسي».



(1) هي إحدى الشخصيات الرئيسية في تراجيديا ماكبث للكاتب الإنجليزي وليم شكسبير، فهي زوجة بطل المسرحية الذي يُدعى ماكبث، وهو رجل اسكتلندي. أصبحت ليدي ماكبث ملكة اسكتلندا بعدما دفعت زوجها ماكبث إلى قتل الملك لأخذ الحكم، لتُعاني بعدها الشعورَ بالذنب لكونها جزءًا من الجريمة، وتصارع الموت في المشهد الأخير والذي بدا كأنه حالة انتحار.(المترجمة)



الفصل السابع عشر

كانت كاتومبا عالية جدًّا لدرجة أنها تقع فوق الغيوم الصباحية. في هذا الوقت المبكر، قبل الساعة السابعة بقليل، كانت توجد خصلات من الضباب وقطرات ندى معلقة في الهواء. سبحت كويكبات صخرية بين غيوم تشبه حلوى المرينغ القطنية. كانت الشمس قد بدأت رحلتها لحرق الغيوم وتحويلها إلى بخار، لكنها لم تنتصر بعد، لذا كان الصباح حارًّا.

كان منزل لايل وإيرين أقرب إلى المدينة من المسرح، بجوار مصح قديم تحول إلى فندق يُدعى هايدرو ماجيستيك. إنه لمن المضحك أن العقارات الحديثة الأكثر قيمة تقع فوق عظام الصدمات النفسية. كنا نرسل المجانين إلى الجبال بينما نبقى نحن في المدن. الآن، المُدن تصيبنا بالجنون ونحاول الهروب إلى الجبال.

كان وجود جوش فيلمان فعالًا، عليَّ الاعتراف بذلك. بينما كنت أسير في الممشى، اهتز هاتفي بوصول بريد إلكتروني منه، مرفق به بعض المستندات: تقارير السموم عن إيرين ولايل، وقائمة بالأغراض التي أخذتها الشرطة من المنزل كأدلة. كان نص البريد الإلكتروني رسالة قصيرة: «كلاهما نظيف. يا للخسارة. **كانت لتكون قصة جيدة**».

استبعدت تلك النظرية، لكن لدي الآن سؤالٌ مختلف: إذا كان بيرس نظيفًا، فلماذا كان لديه أثر إبرة في ذراعه؟

كما كنت منزعجًا، بطريقة غير نزيهة، من مدى مساعدة جوش فيلمان اللعينة. هذا أكثر من اللازم بالنسبة لعدو لدود.

كان منزل إيرين ولايل قصرًا على شكل مكعب، يبدو وكأنه مكوَّنٌ من منشورات مستطيلة باللون الرمادي الداكن، متراصة فوق بعضها بعضًا بطريقة أصفُها بغير المستقرة. مثل ممثل أجرى الكثير من عمليات التجميل، بدا المنزل باهظ الثمن بشكل كبير، ولكنه قبيحٌ بشكل مذهل. الشريط الأزرق والأبيض الذي وضعته الشرطة على الباب أضاف على الأقل بعض الشخصية للمكان.

تقدمت نحو المدخل الأمامي، ونظرتُ إلى المصباح المثبت بالقرب من مستوى الرأس، وبدأت أتحسَّس الجزء العلوي منه حتى وجدت مفتاحًا متسخًا، تمامًا في المكان الذي اعتدت أنا وإيرين إخفاء مفتاحنا الخاص فيه. لم تكن هناك أي علامات على اقتحام الباب بالقوة. لم تُكسر أي نافذة في واجهة المنزل. كما أن اتساخ المفتاح يعني أنه لم يُستعمل، سواء بإذن أو دون إذن. وهذا يعني أن القاتل قد سُمح له بالدخول إلى المنزل، أو أنه كان يعيش فيه. فتحت الباب.

إن الحرارة لا تتعامل مع الدم أو الأنف بلطف، فقد ضربتني الرائحة فور أن فتحت الباب، رائحة متعفنة وفاسدة، كما لو عدتَ إلى المنزل بعد إجازة واكتشفت أن الثلاجة معطلة. أمامي، في نهاية الردهة، تعرفت على السلم من صور الطب الشرعي، ملطخًا ببقع تقود إلى الأعلى أو الأسفل، تمامًا كما وصفت إيرين. الفارق الوحيد هو أن الدم أصبح أقدم، فقد زال منه اللون الأحمر الناصع بسبب نقص الأكسجين، وتحول الآن إلى لون بني لزج كالدبس.

من الرائحة عرفت أن المطبخ يقع إلى اليمين، لذا اتجهتُ إلى اليسار، عبر غرفة الطعام وصولًا إلى غرفة المعيشة، حيث كانت شجرة عيد ميلادٍ بلا أوراق تقف كالحارس، مطليةً بالذهب دون لمسة خضراء أو زينة: من ذلك النوع، من النهج الاعتدالي الذي يعتاد عليه الأغنياء. أربع هدايا صغيرة كانت موضوعة تحت الشجرة، مغلفة بعناية، ولم تكن أيٌّ منها أكبر من حجم قبضتي. كان الطابق الأرضي يحتوي أيضًا على قبو للنبيذ، وغرفة للجبن التي، بصراحة، كانت رائحتها أسوأ من الدم، وغرفة ضيوف ومصعد. من الواضح أن حياة إيرين اكتسبت ترقية كبيرة.

أخذت طريقي إلى المطبخ، وفوجئت على الفور بمدى الحفاظ على مسرح الجريمة. كانت إيرين محقة: ينظف فريق الطب الشرعي مسرحَ الجريمة، ثم يسلمونه لصاحبه لينظفه هو بنفسه. الجرائم الأخرى التي حققت فيها، ببساطة، سريعة كالوجبات الجاهزة. لذلك، شعرت بالدهشة والارتياح لرؤية أن كل شيء كان كما في الصور، باستثناء جثة لايل.

خطوت بحذر حول بركة الدم -كانت أكبر من دم رايلان، لكن لايل كان شخصًا أكبر حجمًا، هل يجعلك ذلك تنزف أكثر؟ لا أملك أدنى فكرة- وشخبطاته، رسالته الأخيرة المكتوبة بالدم: «الكريسماس-Christmas». تلك الحروف المألوفة ذات الأحجام العشوائية -الحرف H الضخم، والحرف t القصير- مثل ملصق لوحة مدرسية لطفل بدأ بكتابة الحروف بحجم كبير بحماس مفرط، ثم نفدت المساحة. ومع ذلك، لم يكن لهذا معنى بالنسبة لي. لماذا تضيع لحظاتك الأخيرة في كتابة العيد؟ لماذا لا تكتب شيئًا مفيدًا؟ مثل: «إيرين بريئة». أو، كما أعلم أن بعضكم ربما يفكر في هذا ولكنه لم يخطر ببالي بعد، «كلمة مرور جهاز الكمبيوتر الخاص بك».

مجموعة السكاكين كانت مفقودة. تفحصت بريدي الإلكتروني: كانت ضمن قائمة فيلمان للأدلة التي أخذتها الشرطة. سلاح الجريمة كان بالفعل سكين إيرين، وسيكون مغطىً ببصماتها بغض النظر عن براءتها. تفحصت الطاولات، الحوض، سلة القمامة -فارغة، وقد أخذها قسم الأدلة الجنائية-، والثلاجة، حيث التصقت عليها ملاحظة ورقية لاصقة (خبز+ حليب) بخط يد لايل، والذي عرفته فقط لأنني لم أتعرف عليه كخط إيرين. بينما كنت أحاول تحديد ما إذا كانت الملاحظة تعتبر دليلًا (وهي كذلك). فتحت الثلاجة: في الواقع، لم يكن لديهما حليب. رغيف خبز شبه منتهٍ كان بالقرب من المحمصة. إذًا، هذا دليل، لكنه ليس شفرة سرية أو شيئًا من هذا القبيل. الخبز يعني خبزًا والحليب يعني حليبًا.

عدت إلى الردهة، وصعدت السلم بخطوات جانبية متجنبًا ملامسة الدم. كانت هناك بقعة أكبر على بسطة السلم، حيث كان السكين ملقى. بدا واضحًا من آثار قطرات الدماء أن السكين قد حُمل إلى الطابق العلوي بعد ارتكاب الجريمة، بدلًا من أن يكون لايل قد تعرض للطعن في الطابق العلوي ثم تهاوى إلى المطبخ. وهذا لا يدعم النظرية التي تقول إن إيرين قتلت شريكها في المطبخ، ثم ببساطة عادت إلى الفراش وأسقطت السكين في طريقها.

لم أعتقد أن إيرين كانت تكذب بشأن عدم تذكرها. وجدتُ نفسي أتساءل إن كان بإمكان أي شخص ارتكاب جريمة كهذه، ومع ذلك لا يتذكرها على الإطلاق. رسالة جوش الإلكترونية ذكرت أن دمها كان نظيفًا وكذلك دم لايل، وأكد تقرير السموم ذلك: كان يوجد مهرجان من جملة «لم يتم الكشف عنه» في كلا النموذجين، وكانت الصفحة الأخيرة تتضمن عبارة «لا مهدئات». كيف يمكنك إذًا محو ذكرياتِ شخص ما؟

جوش أخبرني أن إيرين كانت تعاني الكوابيس والمشي في أثناء النوم كأحد أعراض اضطراب ما بعد الصدمة. وقد أخبرتني بنفسها أن تجربتنا في الثلج قد تركت فيها أثرًا عميقًا. بالكاد أستطيع أن أتناول الطعام دون أن أفكر في الجثث، والرائحة، ووجوههم. تساءلت ما إذا كان هناك شيء مثل فقدان الذاكرة الناتج عن الصدمة. هل يمكن أنها قد رأت أو فعلت شيئًا مروعًا للغاية لدرجة أنها عمدت إلى محوه من ذاكرتها؟

كانت غرفة النوم في الطابق العلوي قد جُردت من غطاء السرير، الذي كنت أعلم أنه كان ملطخًا بالدماء وببصمات إيرين. ولم تتبق على المرتبة الفارغة سوى بضع نقاط بنية صغيرة كإشارة إلى الفوضى. على الطاولة، يوجد مشروب غير مكتمل من الشوكولاتة الساخنة الخاصة بإيرين. تحولت بقاياه إلى اللون الأبيض الطباشيري، وكانت على بعد يوم من التعفن. التقطت الكوب، معتقدًا أنه لا يجب على إيرين أن تضطر إلى تنظيف الدم والعفن في اليوم نفسه الذي سأُخرجها فيه. **إذا استطعت إخراجها**، فكرت بسوداوية. هززت رأسي لتبديد الفكرة.

غسلت الكوب في الحمام. لم يكن هناك صابون، لذا بذلت قصارى جهدي بالماء وأطراف أصابعي. الحمام كان مغطى بالبلاط الأبيض من الأرض إلى السقف، وكانت الجدران ملطخة ببقع بنية صغيرة، متناثرة مثل رذاذ عطسة. حاولت تشغيل مفتاح الإضاءة بلا جدوى. بالطبع، إيرين كانت قد أخبرتني ذلك بالفعل: **لقد أضأت ضوء الحمام الداخلي ولكنه كان معطلًا، لم يعمل**. نظرت إلى السقف. الإضاءة لم تكن معطلة فحسب، بل لم تكن موجودة في المقبس أساسًا.

انتظر. ماذا قالت إيرين أيضًا؟ إنها لم تُشغِّل ضوء غرفة النوم قط عندما ذهبت إلى الحمام، لذا لم تكن تعرف ما إذا كان لايل في

السرير عندما استيقظت بعد الساعة الواحدة. فكرت في ذلك للحظة، ثم تفحصت مفتاح الإضاءة. لم يكن هناك دم عليه.

وهذا يعني شيئًا واحدًا، والذي سأخبرك به كحقيقة: لم تغطَّ يدا إيرين بالدماء عندما ذهبت إلى الحمام. عقلي كان ما يزال يدور بين الاحتمالات، اضطراب ما بعد الصدمة، فقدان الذاكرة. حاولت تخيل إيرين وهي تحمل سكينًا في يدها، وفوجئت بمدى سهولة ذلك. أدرت المشهد في ذهني: إيرين تطعن لايل خمس مرات، ثم تصعد السلم وهي في حالة من الذهول، والسكين تنزلق من يدها. تستلقي، تسحب الملاءات الملطخة بالدماء. في أحد السيناريوهات كانت نائمة بعمق، وفي الآخَر كانت عيناها مفتوحتين. واعية.

أخافني هذا قليلًا، لكن حتى مع تخيلي لها وهي تحمل السكين، راودتني فكرة مظلمة أخرى: إنها كانت من عائلة كانينجهام. كل فرد في عائلتي قتل أحدًا ما. إذا كانت قد فعلت ذلك، فلماذا لم تقم بعمل أفضل لتفلت من العقاب؟



الفصل الثامن عشر

سأعتبر أن ما حدث بعد ذلك كان معجزة عيد الميلاد. نزلت إلى الطابق السفلي لوضع كوب إيرين على حوض المطبخ. عندما دخلت المطبخ، كانت أشعة الشمس تخترق النوافذ، مما جعلني أغمض عيني بشكل جزئي عندما انعكست على أسطح الرخام الأبيض. على الأرض، بعد الدم، استقر شعاع الضوء في زاوية، وهناك رأيت بريقًا صغيرًا.

كان دليلًا خاطفًا وسريع الزوال. التقطت مربعًا من ورق المطبخ، وسحبتُ بلطفٍ الجسم من الزاوية. كان قطعة صغيرة من الزجاج، رقيقة وهشة. رقيقة جدًّا لتكون زجاجة ماء عادية، أشبه بكأس شمبانيا فاخر أو كأس نبيذ. أو -فكرت في علامة الإبرة على ذراع لايل- حقنة. كما فكرت في أنبوب عقار الميثامفيتامين المخدر المعروف باسم «زجاج الشواء».

أخرجت هاتفي، وتفقدت قائمة الأدلة من التقرير الجنائي. لم يُذكر وجود أي قطعة زجاجية في أي مكان ضمن الأدلة التي تم جمعها، سواء مكسورة أو سليمة. لقد فوتَ فريق الأدلة الجنائية هذه القطعة، وهذا ما جعل الأمر أكثر حيرة. كان القاتل شخصًا لم يحاول إخفاء مسرح الجريمة. لقد ترك جثةً ممددة في المطبخ، وسلاح الجريمة على الدرج،

ودماء متناثرة عبر طابقي المنزل. فلماذا بحق الجحيم يتوقف وينظف شيئًا مثل كأس نبيذ مكسور؟

تحصل سيارات الفان المغلقة على سمعة سيئة، كونها المركبة المفضلة للإرهابيين والمعتدين، لكنها في الحقيقة كالنسور في عالم السيارات: إذا رأيت مجموعةً منها، فأنت تعلم أن مأساةً ما قريبة. لإثبات نظريتي، تم إخلاء موقف سيارات المسرح من السيارات المدنية، وامتلأ بسيارات الفان الإخبارية، بالإضافة إلى سيارةٍ سوداء تابعة للطبيب الشرعي. بالطبع، قيامُ ساحر بقطع رأسه بنفسه سيكون خبرًا محليًّا، وربما دوليًّا أيضًا. أدركت أن جوش كان على الأرجح مستعدًّا لجني المال ببيع لقطاته السرية لمن يدفع أعلى سعر.

تبددت خيوط السحاب، وأصبح الجو مشرقًا للغاية لدرجة أنني لم أستطع النظر إلى البهو الزجاجي اللامع دون إغماض عيني من شدة السطوع. كان يوجد وهجٌ يتصاعد من القار الأسود في موقف السيارات. تسللت حول جانب المسرح، غير راغب في محاولة التحدث للمرور عبر الشرطة. الكود الذي أعطتني إياه سام (4183) عمل على باب المسرح الخلفي، فدخلت بسرعة، ممتنًّا لتيار التكييف البارد الذي لامس عنقي. في المرة الثانية، كنت قد اعتدت أكثر على متاهة الكواليس، وتوجهتُ نحو الطابق العلوي. كنت أسمع أصواتًا على المسرح، فمشيتُ بسرعة.

في مكتب لايل، أغلقتُ الباب وأسدلت الستائر. كل شيء كان كما تركته، ولم يفاجئني ذلك. سيكون لايل في أسفل قائمة المشتبه بهم. كيف يمكن للشرطة أن تشتبه أنَّ رجلًا ميتًا ارتكب جريمة قتل؟

تجمعت العديد من الأفكار خلال الاثنتي عشرة ساعة الماضية: إحداها من مشاهدة سلسلة خطابات ولقاءات منصة تيد الخاصة بلايل

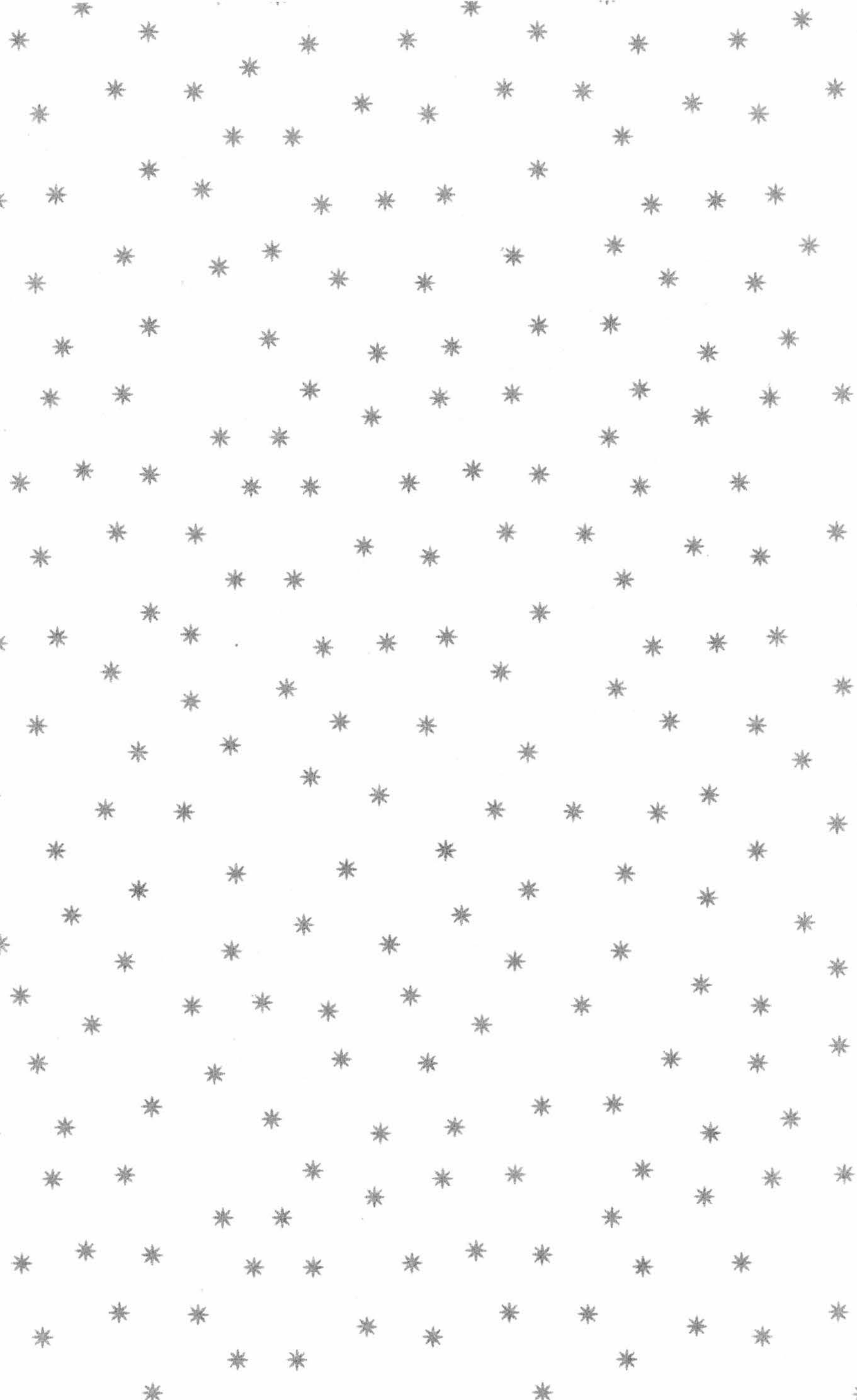
الليلة الماضية، والأخرى في أثناء النظر إلى بركة دمائه في المطبخ هذا الصباح.

توجهت إلى الكمبيوتر، حركت الفأرة، ورحبت بي شاشة تسجيل الدخول المألوفة. آسف لتخييب آمال القراء الذين يتوقعون مني أن أميل إلى الأمام وأهمس بكلمة «**الكريسماس**» في الميكروفون. بدلًا من ذلك، أخرجت هاتفي، فتحت يوتيوب، وسرَّعت الفيديو حتى وصلت إلى الجزء المناسب. ثم رفعت الهاتف، وتركته ليقول بنفسه: «**الشغف يخلق التغيير**».

أصدر الكمبيوتر صوتًا خافتًا يدل على قبول الدخول، وتمكنت من تسجيل الدخول. ثم فُتح باب مكتب لايل محدثًا صوت نقر، ودخل كريستوفر سليت.

قال: «بحق الجحيم ما الذي تفعله هنا؟».





الفصل التاسع عشر

تراجعت بعيدًا عن الكمبيوتر، وصببت تركيزي على رأس كريستوفر وهو يميل نحو الممر، بينما كان يقرر ما إذا كان سينادي أحد الضباط من الطابق السفلي أم لا. لن أكون مفيدًا لإيرين إذا كنت في الزنزانة بجوارها. ثم أغلق كريستوفر الباب، وأطفأ الضوء، وسار نحوي.

قال: «يمكن رؤية الضوء حتى مع إغلاق الستائر، هكذا عرفت أنك موجود هنا. الشرطة عديمة الفائدة بالكامل، لكن حتى هم كانوا سيكتشفون ذلك». نقر بأصابعه على المكتب بجانبي: «لقد أعادوا الجميع لاستجوابهم، لكنني انتهيت. كيف استطعت الدخول إلى الكمبيوتر؟».

عادة ما كان فضوله سيثير انتباهي، ولكن كان هذا الفضول معتدلًا بحقيقة مفادها وبغرابة أن كل شخص من المشتبه بهم يريدني أن أكون قريبًا منه. فليك دعتني للدخول، فيلمان أعطاني ملفات الشرطة، وسام حاولت تحذيري من الجريمة. سأكون أحمق إذا اعتقدت أن كل هذه المحاولات، بعيدًا عن جريمة القتل نفسها، لم تكن لها دوافع خفية. كريستوفر لم يكن مختلفًا. بصفته مستشار المؤسسة، توقعت أنه ربما يعرف أكثر من غيره عن بقية المشتبه بهم، لذا كان من المفيد التظاهر

بالتجاوب معه. بالإضافة إلى ذلك، لم يستدعِ الشرطة ولا يبدو متحمسًا لقتلي، وهما صفتان أعتبرهما ضروريتين لأي محادثة. عدت إلى الشاشة وقلت: «أضيف اختراق الكمبيوتر إلى مهاراتي التحقيقية. لم تتح لنا فرصة الحديث بشكل صحيح بعد. أواجه صعوبة في فهم من كان لايل حقًّا، خلف كل أعمال المؤسسة. إلى أي مدى كنت تعرفه؟».

- لقد كنت أعرفه جيدًا، لقد أنقذ ...

أكملت عنه: «حياتك، نعم، تبدو أن حالتك هذه شائعة هنا».

«هذا لأن الأمر صحيح. لقد كنت من أوائل خريجي مؤسسة بيرس. لايل وأنا أصبحنا صديقين حميمين، حتى خارج نطاق تلك..». ضم يديه كمتسول: «العبادة، أو الشعور بالإنقاذ. ولهذا السبب، بعد أن حصلت على شهادتي الجامعية -والتي دفع تكاليفها بالمناسبة- عرفت أنني سأعود وأعمل معه».

تمتمت: «نادرًا ما يكون شخص مُحسِن بهذا الشكل ضحية جريمة قتل». كان سطح مكتب حاسوب لايل منظمًا ومرتبًا، تمامًا مثل مكتبه الفعلي. فتحت بريده الإلكتروني. على عكس الاعتقاد السائد، فإن الولوج إلى كمبيوتر شخص ما لا يجعل المعلومات المطلوبة تتساقط على الفور في حضن المحقق. كان بريد لايل الإلكتروني مليئًا بالرسائل بعد يوم واحد فقط من المشرحة، كنت أفكر في وضع رسالة خارج المكتب، لكن لم أكن أعرف ماذا أقول. «**شكرًا على رسالتك، معذرةً لكنني متوفى حاليًّا**».

- ما الذي تقصده بكلامك؟

- أنت تخبرني أن هذا الرجل ليست لديه عيوب أو أعداء؟ دينيش لا يعتقد أنه تم التعامل معه بكل هذا العدل.

تردد كريستوفر: «للتوضيح، أعتقد أن هذا كان قاسيًا بعض الشيء».

- لكن هل تثق ببيرس؟ هل كنت تؤمن به؟ أم تشعر فقط بالالتزام لأنه دفع تكاليف شهادتك؟

قال كريستوفر بغضب: «بالطبع كنت أثق به، لقد كان ولائي له مستحقًّا، ولم يُشترَ. أنا هنا لأمنح الناس فرصًا ثانية، كما فعل بيرس».

- كما كان بيرس يفعل.

- كان يفعل؟

أدرت الشاشة نحو كريستوفر ليقرأ البريد الإلكتروني الذي وجدته للتو.

من: *AGarritt@EnigmaEntertainment.com*

إلى: L.Pearse@ThePearseFoundation.org

التاريخ: 20 ديسمبر 2024، الساعة 11:16 صباحًا

الموضوع: العرض النهائي

أخبرني رايلان أنك بدأت في تغيير رأيك. من الجيد سماع ذلك.

17 مليون، العرض النهائي. جميع المواقع، المجمعات، والأراضي. تحتفظ بالاسم.

وكما هو الحال دائمًا، نحتفظ بالحقوق.

أيدان

ونعم، قبل أن تشكو هذا القبح البصري، كان عليَّ أن أطلب إعادة طباعة هذا البريد الإلكتروني بالضبط كما رأيته. هكذا تصبح لعبة غامضة نزيهة. أثار ذلك ضحكي حينها، لأن لايل بيرس كان بالتأكيد أول رجل أعمال ناجح أراه يستخدم خطًّا سخيفًا كهذا. وكما اتضح، فإن الأمر في غاية الأهمية. ووفقًا لإطار غير مقصود -قضيتي الأولى كانت تدور حول نقطة، والثانية حول فاصلة- قد تكون هذه أول جريمة تُحلُّ بواسطة خط «كوميك سانس» (comic sans).

كنت آمل أن أثير رد فعل كريستوفر عندما أعرض البريد الإلكتروني عليه، لكنه لم يبدُ منزعجًا. قال: «جيد».

- ألن تشعر بالاستياء إذا باع المؤسسة؟

- بالعكس تمامًا. سأكون مسرورًا. اقرأ البريد الإلكتروني مرة أخرى. إنهم يتساومون على العقارات فقط. بيرس يستطيع الاحتفاظ باسم المؤسسة، ويمد عمله الحقيقي بمبلغ 17 مليون دولار. يبدو السعر معقولًا للطرف الآخر؛ فريق رايلان سيحصل على مسارح حديثة في جميع أنحاء البلاد وعقارات متميزة. يبدو لي أنها فكرة رائعة، فليك هي الشخص الذي يعارضه.

أخبرني رده الآتي؛ بالرغم من معرفته بعملية البيع المحتملة، فهو لم يكن على معرفة بالتفاصيل. شعرت بشيء من الارتياح. من الصعب أن تقتل شخصًا ما من أجل عقد لا تعرف محتواه. «الآن، بعد أن أصبحت فليك المسؤولة، هل من المحتمل أن تعرقل عملية البيع؟».

هز كريستوفر كتفيه: «ربما».

اقترحت: «يبدو أن بيرس **كان يعارض** فكرة البيع في البداية، لكن حدث شيء جعله يغير رأيه».

- سبعة عشر مليونًا كفيلة بتغيير الرأي، إذا سألتني.

بالطبع، رقم مثل هذا كان يستحق أن تقتل من أجله، سواء في هذه القضية أو أي لغز آخر، لذا لا تستبعده تمامًا. لكن هذا لم يكن ما أقصده.

فتحت مجلدًا بعنوان «ملاحظات صوتية». كانت الملفات مصنفة حسب التاريخ والوقت. قمت بالتمرير حتى وجدت ملفًّا يحمل عنوان «12 ديسمبر- 13:48»، وضغطت زر التشغيل. كنت مدركًا وجود كريستوفر بجانبي، ولكن إذا كان هذا التسجيل يحتوي على تفاصيل عن طرد دينيش كما توقعت، فقد أحتاج إلى رأيه.

محتوى الرسالة الصوتية:

«كما توقعت، لم يتقبل دينيش الأمر بشكل جيد. كانت نصيحة فليك بإنهاء الأمر بسرعة صائبة، إذ لم أطرده فورًا، لا أعتقد أنني كنت سأتمكن من قول الكثير. لم أتمكن حتى من توجيه الاتهام إليه. قدم تقريرًا عن الحادثة إلى قسم الموارد البشرية بخصوص العنف. احجز مقاولًا لإصلاح الثقب في الجدار. تحقق من مستحقات إنهاء الخدمة مع فليك، وتأكد مما إذا كان انتهاك سياسة السلوك يعتبر سببًا لإلغاء المستحقات». تبعت ذلك تنهيدة. «كنت أظن أنه واحد من الأشخاص الجيدين. أعتقد أنك لن تعرف ذلك أبدًا».

نظرت إلى كريستوفر مرة أخرى: «فليك لم تعطِني رمز الدخول أمام سام في ذلك اليوم، ثم طرد بيرس دينيش دون حتى محاكمة عادلة. لم ألاحظ الكثير من خريجي المؤسسة في الحفل، فقط أنت وتيريزا كنتما هناك كقصص ناجحة. لم يكن أي من الطلاب الحاليين مدعوًّا كضيف. هل المؤسسة حقًّا تطبق ما تدعو إليه؟».

كان وجه كريستوفر يبدو وكأنه يعاني ألمًا في الأسنان. فكرة أن لايل قد فقد إيمانه بمؤسسته كانت صعبة الهضم. قال: «فليك تؤمن أن

المتبرعين يُفضلون رؤية ما ساعدوا في تحقيقه، وليس ما هم بصدد مساعدته، وهذا صحيح». تردد قليلًا: «أنا أختلف معها، بالطبع. نحن نستخدم مصطلح خريج، لكن الجميع يعلم أن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد. الإدمان يلاحقك في كل يوم لعين. وإذا كانت الأمور السيئة بجانبك، فمن المفترض أن تظل المؤسسة أيضًا. الجميع يحتاج إلى فرصة ثانية. بيرس كان يؤمن بذلك، أنا متأكد، لكنه ربما شعر أنه بحاجةٍ إلى موقف حازم مع المشتري عندما كان الأمر على المحك. فليك تأتي من عالم مختلف. كانت تهمس في أذن بيرس بأشياء من هذا النوع».

توافق هذا مع ما أخبرتني به فليك سابقًا: «تعامل مع العمل الخيري كأنه عمل تجاري، ومع الأعمال التجارية كأنها عمل خيري».

إذا كان هذا هو الحال، لماذا لم تكن ترغب في البيع؟ سبعة عشر مليون دولار بدت لي كقرار تجاري جيد.

ربما كانت سرقة الخاتم من قبل دينيش القشة الأخيرة بالنسبة للايل، تابعت. شخص ترك بصمته، ووجد شغفه، ثم انتكس. أن يرى لايل عمله الجاد، والتغيير الذي كان يعتقد أنه يحدثه، لم يكتمل بهذا الشكل؟

نقرت على مذكرة صوتية أخرى، تعود هذه إلى تاريخ العاشر من ديسمبر. عاد شبح لايل المسجل مجددًا: «**أحتاج فقط إلى ترتيب أفكاري. هذا الصباح، تلقيت مكالمة من فليك. لقد وجدت خاتمًا مرصعًا بالجواهر يعود لرايلان في حقيبة دينيش». (صوت أصابعه وهو يقرع على الطاولة). «أكره أن يكون رايلان على حق. ولكن... (تنهيدة). عليّ أن أتركه يذهب. سام نظمت ترتيبات السفر. كنت أفضل القيام بذلك شخصيًّا. (تشوشت التسجيلات، كان صوت لايل عاليًا جدًّا، وقريبًا من الميكروفون). «في هذه الأثناء، لا يزال عرض إنجما قائمًا. قال رايلان إنه فرصة للخروج**

قبل أن أُسرق حتى آخر فلس. هذا، بالطبع، بعد أن أخبرته أنه إذا رأيته مرة أخرى مع أي مادة مخدرة حول خريجي...».

بيرس بدا مختلفًا هنا. أكثر إشراقًا، حتى مع تردده الصغير الذي يشير إلى عدم اليقين. المذكرة الصوتية التي سجلها في الثاني عشر -بعد أن ألقى دينيش إحدى جوائزه عبر الجدار- كشفت عن رجل أكثر قهرًا وخيبة أمل. يمكنني أن أفهم لماذا لم يكن في مزاج لتناول الشوكولاتة.

تصفحت قائمة الملفات الصوتية. كنت أبحث تحديدًا عن أي شيء سُجل في الساعات الأولى من فجر الحادي والعشرين، عندما اشتبهت في أن لايل قد دخل مكتبه سرًّا. لكن بخيبة أمل، كانت آخر مذكرة صوتية تعود إلى تاريخ العشرين، في فترة ما بعد الظهر. نقرت عليها.

«إيميل إلى فليك»، أملى بيرس. بدا أبعد حتى من الرجل الذي سمعته في التسجيل الأول: منهارًا ومرهقًا. كان هناك توقف، تردد في التنفس: كان قريبًا من الميكروفون. «**سأبيع. ما بنيته... أعلم أنكِ لا تريدين ذلك، وأنكِ ما تزالين تعتقدين أننا نؤدي عملًا جيدًا، لكنني رأيت البذرة الفاسدة. أعلم أن هذا أمر من الصعب سماعه. نحن لا نساعد أحدًا، لذا حان الوقت لمساعدة أنفسنا. بالطبع ستحصلين على أرباح. العرض سخيٌّ جدًّا كما هو، لكنني أعتقد أنني أستطيع تحسينه.. إرسال». كان هناك صوت مكتوم بينما تحرك بيرس. ثم تحدث مرة أخرى، هذه المرة من مسافة أبعد عن الميكروفون: «مرحبًا.. نعم، سأنتظر»**. أدركت أنه كان يتحدث عبر الهاتف، ولم يكن يعلم أن المذكرة الصوتية ما تزال تسجل: «**أود الإبلاغ عن جريمة قتل وشيكة**».

انقطع التسجيل. بدا كريستوفر مرعوبًا: «هل هو يبلغ عن... هل كان يعرف...؟» وأخيرًا استقر على: «هل تعتقد أن لايل له علاقة بما حدث لرايلان؟».

قلت، مبتعدًا عن الكمبيوتر على أمل أن يجعل حديثنا لا يبدو وكأنه مناظرة قضائية: «أنا لا أستبعد أي شيء، أخبرني عن بيرس. كان يحمل ضغينة، أليس كذلك؟».

- ما الذي تقصده؟

أشرت إلى الجدران: «لا شهادات، لا دبلومات. معظم الناس يستعرضون تعليمهم في مكاتبهم. هو يعوض عن ذلك بتوظيف مهندسين معماريين مشهورين عالميًّا، وبناء مسارح باهرة، وتوظيف مواهب باهظة الثمن. ربما كان يثبت نفسه لأولئك الذين نظروا إليه باستصغار عندما كان صغيرًا. لقد صنع نفسه بنفسه، كما فهمت. لم يكن من عائلة ثرية».

أومأ كريستوفر برأسه: «طُرد من المدرسة في الصف العاشر. الإجابة نعم، إذا أردت تفسير الأمر بهذا الشكل، أعتقد أنه كان يحاول إثبات أنه ناجح حتى دون تعليم».

قلت: «أنت المستشار». مررت أصابعي على الجوائز. هذه الجوائز تمثل عرضًا آخر لنجاحه: «لماذا طُرِد؟ هل هناك شيء غير عادي؟ مخدرات؟».

بدت على كريستوفر الدهشة: «لا، أبدًا. بيرس كان... آسف، كان أفضل منا. حسنًا، مني على الأقل. لماذا تسأل هذا السؤال؟».

قلت، بعد أن اخترت عدم ذكر أن تحاليل الدم كانت نظيفة: «كان لديه أثر إبرة على ذراعه».

لم يتردد كريستوفر حتى في التفكير في الأمر: «ليس بعد ما حدث لأخيه. ربما كان يعاني مشكلة طبية؟ أو تبرع بالدم؟ لا يمكن أن تكون مخدرات، بالتأكيد لا. العلة الوحيدة التي كان بيرس يعانيها هي الإفراط في شرب النبيذ الأحمر. لقد قضيت ما يكفي من الليالي على أريكته بعد بضع زجاجات لأعرف ذلك».

بدت صداقتهما حقيقية. «قصر مثل هذا، ولا يمتلك لايل غرفة ضيوف؟». سألت بعدما رأيت بالفعل أن هناك غرفة ضيوف في الطابق السفلي.

ضحك كريستوفر: «منزل فاخر، سباكة لعينة. الأنابيب في الطابق العلوي تحدث ضجيجًا في غرفة الضيوف، من الصعب النوم إذا استخدم الناس الحمام. وإيرين منتظمة مثل الساعة. وإذا شرب لايل أيضًا بعض الزجاجات، يكون الأمر مثل النوم في بطن سفينة. لذلك سأختار الأريكة، شكرًا جزيلًا».

- هل تستطيع النوم في غرفة الجبن؟
- ها. أتمنى أن يرى معلموه في الصف العاشر ذلك. انظر، أعتقد أن هذا هو السبب الذي جعله يساعدني، كما تعلم، المدرسة لم تكن مناسبة له. لم يستطع المواكبة. في ذلك الوقت كانوا يطردونك إذا كنت متأخرًا. في هذه الأيام، ربما يكون تقييمهم أكثر دقة، ويحاولون المساعدة.

مسح كريستوفر عينه بظهر يده: «قد لا يكون قد واجه المخدرات، لكن بيرس كان يعرف ما يتوقعه الناس منه بسبب نقص تعليمه. كان يريد أن يتجاوز ذلك. وعندما تعرض لهذه الفئة من الناس، التي تم تجاهلها وعدم دعمها بشكل كافٍ، أعتقد أنه رأى أنني ضحية للتوقعات نفسها».

التفتت نحو رف الكتب: «على حد علمك، هل توجد أي كؤوس مفقودة؟ خاصَّة المصنوعة من الزجاج؟».

فحص الرفوف: «ليس فيما أستطيع رؤيته. لماذا؟».

قلت: «مجرد فضول. سؤال أخير، إذا سمحت. هل كان لدى بيرس شغف خاص بعيد الميلاد؟».

قال كريستوفر: «لا أعرف، ليس أكثر من حقيقة أن.. حسنًا، أليس الجميع يحبونه؟ لديه ذلك التقويم الخاص بعيد الميلاد، ويشارك في تبادل الهدايا السرية. حتى أنا لا أفعل ذلك. أعتقد أنه غريب أن يضطر أي شخص لشراء هدية لمستشاره».

- لايل يتلاعب بالأمر حتى يحصل دائمًا على فليك على أي حال.

ضحك كريستوفر: «هل يفعل ذلك؟ هذا منصف. النقطة هي، أنا متأكد أنه كان يحب عيد الميلاد».

قلت بنبرة قاتمة: «في معظم السنوات». ثم تحركت نحو الباب: «سأرى إن كان بإمكاني إلقاء نظرة على كيفية عمل هذه المقصلة. قلت إن الجميع في الأسفل مع الشرطة؟».

قال كريستوفر: «صحيح. رأيت شون يعرض المقصلة للشرطة في وقت سابق. على الأغلب سيكون في ورشته».

«مثل القزم». تحققت من أنَّ الطريق خالٍ، ثم توجهت إلى الغرفة الخضراء. «إذا كان القزم هو من بنى الآلة التي قتلت سانتا».

نزلنا السلم ثم دخلنا المسرح بسرعة، مختبِئَين خلف ستارةٍ سوداء ضخمة لعبور المسرح. تبعت كريستوفر عبر ممر آخر نحو باب مغلق عليه علامة خطر، وصورة لنظارات واقية، وسماعات أذن. طرق

كريستوفر الباب بمفصل إصبعه، ولم يكن هناك أي استجابة. التفت نحوي وقال: «هل ما زلت تحمل تلك البطاقة؟».

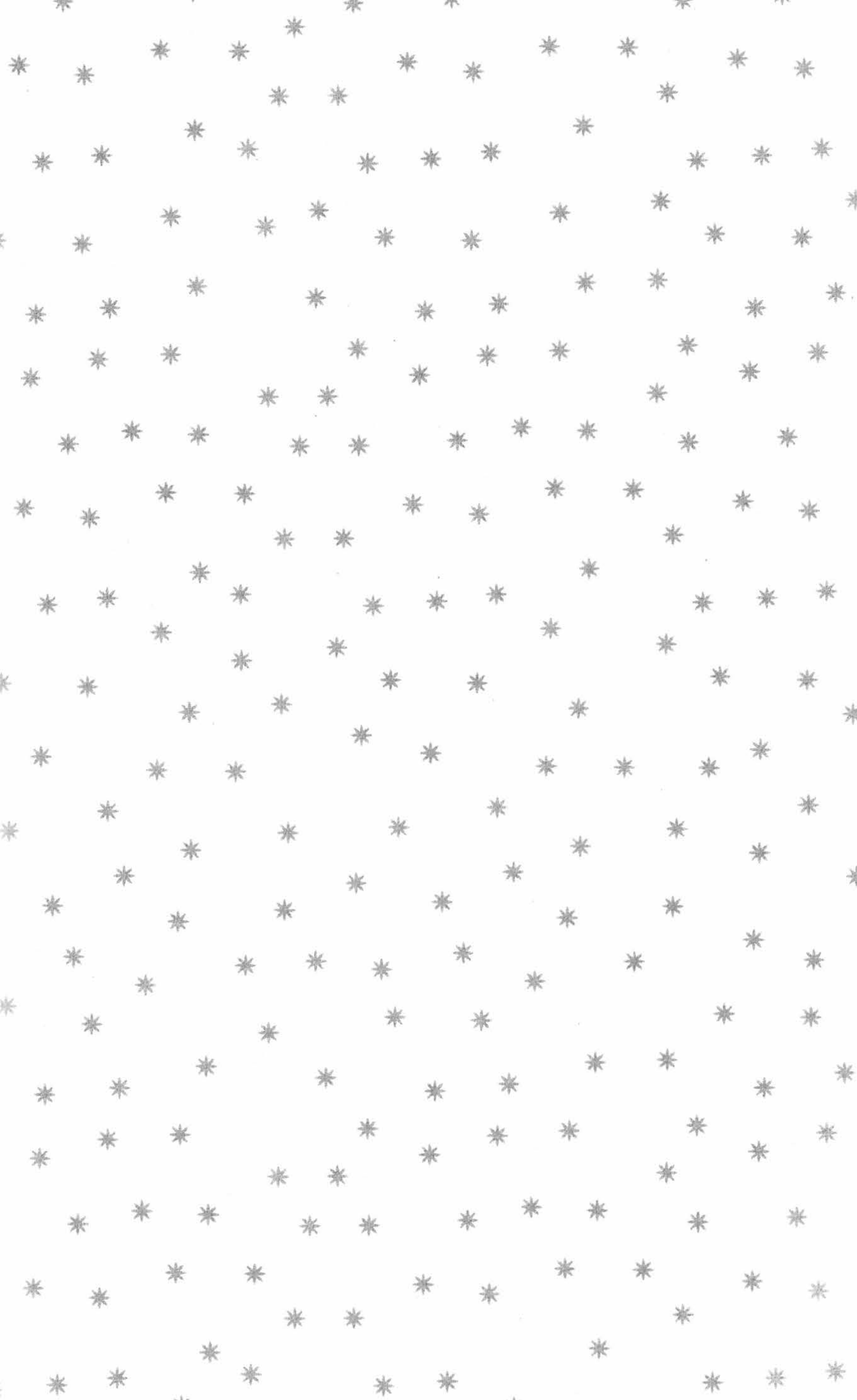
رفعتها باتجاه الماسح الضوئي، فصدر صوت همهمة وفتح الباب. تراجع كريستوفر للخلف بينما فتحت الباب قليلًا. سأل: «هل تعتقد حقًّا أن تلك الآلة قتلت رايلان؟ كانت مجرد ورقة».

- وكذلك إعلان الاستقلال. الكتاب المقدس. الورق قتل أناسًا أكثر من أي شفرة.

- من الناحية الأكاديمية، بالتأكيد. لكن الورق لم يقطع رأس أحد.

دفعت الباب: «توجد مرة أولى لكل شيء، وهذا ما جئت لأكتشفه».





الفصل العشرون

ذكرتني الورشة بحصة الأشغال المعدنية في المدرسة الثانوية. كانت المقاعد الخشبية السميكة الملطخة بالطلاء مثبتة بمناجل، بينما كانت المرايا وألواح الزجاج وخشب البلسا مُثبتة في كل مكان، وعُلقت على الجدران أنواع مختلفة من المطارق والمناشير والسلاسل. كان المسدس الذي لم يطلق النار من خدعة الإمساك بالرصاصة موضوعًا على أحد المقاعد. وكانت هناك مخرطة وضاغط هيدروليكي ومنشار دائري يكملون الفكرة المثالية للقاتل المتسلسل. وفي نهاية الغرفة كان هناك باب دوار يفتح مباشرةً على الخارج.

استدار شون عندما سمعتُ صوت نقر المزلاج خلفي. كان يرتدي قفازات سميكة مهترئة ومغطاة بعلامات الحروق، ومريولًا من الجلد البني، ودرعًا واقيًا للوجه ملوثًا بالأوساخ. كان يمسك في إحدى يديه مكواة لحام، وكان طرفها ما يزال متوهجًا. خلفه كانت كرة حمراء لامعة مثبتة في منجل. وعلى طاولة بجانب ذلك، كان هناك دفتر ملاحظات.

رفع شون الدرع الواقي عن وجهه. كان شعره ملتصقًا بجبهته، وخدَّاه محمرَّين. قال: «هل ضعت يا صاح؟». ثم أدرك هويتي: «أنت الرجل من العرض. هل أنت نوعًا ما من المحققين؟».

شمل هذا السؤال جميع الاحتمالات تقريبًا، فقلت: «نعم». وأشرت إلى مشروعه خلفه: «وقت غريب للقيام بالعمل».

رد شون وهو يدير عينيه: «لا بد لي من البقاء هنا في حال فكرتُم في أي أسئلة أخرى، أليس كذلك؟ وربما من الأفضل أن أبقِي نفسي مشغولًا».

التقط شون الشيء، ورأيت أنه كان غطاء الرأس الخاص بغزال تيريزا من العرض، قرون مثبتة على عصابة رأس، والذي كانت بدورها مثبتة بحزام ينزل فوق جسر الأنف مثل خوذة رومانية. كان هناك مصباح أحمر للأنف يكمل هذه الأداة. هزه شون فأضاء الأنف. «مستشعر الحركة تعطل. إن إصلاحه سهل».

قلت: «أردت أن أسألك عن المقصلة».

هز رأسه: «لقد أخبرتكم كل شيء بالفعل، ولكن هذا ليس مهمًّا بالنسبة لكم. أعرف الأعين غير المبالية عندما أراها».

- أنا مهتم أكثر بما لم تخبر به الآخرين. بصراحة شون، أنت في ورطة.

تشنجت كتفاه: «لقد كنت أساعدكم». كانت شكوته كالطفل، تظهر إحساسه بالظلم تجاه كل ما يحدث.

«أحاول معرفة ما إذا كنت حقًّا لا تعرف، أم أنك تحمي شخصًا آخر. وأيضًا، كيف لم تأخذ الشرطة، أقصد، **زملائي** -كانت هذه المرة الأولى التي أكذب فيها صراحة، لكنه بدا مستجيبًا للسلطة- هذا كدليل؟» وأشرت إلى المسدس.

«هل قتل أي شخص؟» وضع شون مكواة اللحام جانبًا، وخلع قفازًا واحدًا. أعتقد أن سوليفان كان يظن الشيء نفسه. لقد فحص المسدس

وهذا يعني أنه سيأخذ نصيحة مني، وأنا مجرد هاوٍ. «ما تزال الرصاصة في داخل المسدس إذا أردت عرضًا. لا أعرف أي هراء آخر».

لوَّحت بذراعي حول الورشة: «لقد صنعت كل هذا، لذا أنت تعرف بعض الهراء». اندفعت إلى الأمام وخطفت الدفتر من فوق الطاولة. حاول شون ضربي بيده، لكنني تراجعت بسرعة ورفعت الدفتر في الهواء. لست سريعًا جدًّا، لكن شون كان بطيء الحركة بسبب ملابسه الخاصة بعمال المناجم.

- يا رجل، أعطني إياه.

قلبت في الدفتر. كان مليئًا بالرسومات والتصاميم لحيل متنوعة. بعضها رأيته في العرض، وبعضها لم أره. كانت هناك صفحات مشطوبة بعلامات X كبيرة. كما أن إحدى الصفحات كانت ممزقة بعنف.

توقفت عن التقليب عندما وصلت إلى الصفحة التي تحتوي على المقصلة، والتي كانت عليها علامة X كبيرة. رفعتها ليستطيع شون رؤيتها: «هذه التصاميم رائعة. كيف تشعر بدعم شخص مدمن على الكوكايين لا يستطيع حتى تمييز رصاصاته المصنوعة من الشمع؟ هذه كلها لك، أليس كذلك؟ الحيل التي يستخدمها رايلان؟». احمر شون خجلًا ونظر إلى حذائه، وهو رد الفعل الذي كنت أتوقعه. لم أضغط عليه: «الآن تحتاج أن تُخبرني شيئًا. خدعة المقصلة تحتوي على باب سري في الأرض، أليس كذلك؟».

- لا أستطيع إخبارك أسرار الساحر...

«دماء، دماء، دماء. كل شيء ينحصر فيها. مشتبه به مغطى بها ورسالة مكتوبة بها». بدا شون مشوشًا، لأنه لم يكن يعرف جميع الأدلة التي أعرفها، لكنني لم أرد أن يؤثر ذلك على المونولوج الجيد. «لكن دماء رايلان قد أزعجتني طوال الوقت. لم أكن متأكدًا لماذا. الآن أعتقد أنني

أعلم. **ليست هناك كمية كافية منها**». رفعت حاجبي: «لا يهمني إذا كان لديكم أنتم السحرة عهد أو رمز أو أي شيء آخر. فقط قل لي: يوجد باب سري في المسرح، أليس كذلك؟ يجب أن تكون الدماء قد تسربت من الشق في الأرضية».

أعطى شون أخيرًا إيماءة غير راضية. مشى نحوي، وانتزع الدفتر مرة أخرى. بدلًا من أن يهرع بعيدًا كما توقعت، رفعه وبدأ بتتبع الرسم بإصبعه: «لقد رأيتَ بالفعل أن ظهر رايلان وعباءته متماثلان، مجرد قشرة يدخل فيها شخصه الحقيقي. نعم، هناك باب سري تحته. الغرض من الخدعة هو أن تسير بشكل خاطئ. من المفترض أن تقطع رأسه». تردد قليلًا: «ليس رأسه الحقيقي، بالطبع».

- إذًا، عندما ينطلق المؤقت، أفترض أن رايلان يسقط إلى الأرض، ويتدحرج رأسه المزيف، ثم يظهر ثانيةً على الجانب الآخر من المسرح أو شيء من هذا القبيل؟

«تقريبًا. يظهر ثانيةً فوق المسرح وينزل تدريجيًّا. هذا هو الوقت الذي **أفقد فيه السيطرة**». قالها مشيرًا بعلامات الاقتباس في الهواء إلى المسدس، وكل تلك التروس والأشياء التي تدير الجهاز. «نقوم ببعض الهراء حول أنه مقفل ببصمته الجينية، ولهذا تم تثبيته في المسرح ليتمكن من التحرك على القضبان. بوم. الرصاصة الشمعية تذوب في الهواء دون أذى. رايلان يبصق غلاف الرصاصة الذي أطلقه سابقًا». أشار بأصابعه بتكاسل، وصوته كان رتيبًا: «تا دا. إنه السحر. مثل ألغاز القتل، عندما تعرف كيف تعمل، يصبح كل شيء.... -ظهر الاستياء والاستهجان على وجهه- مبتذلًا».

- كيف يمكن أن تسير الأمور بشكل خاطئ إذًا؟

- لا يمكن... حسنًا، لا **يجب** أن تسير بشكل خاطئ. كل شيء في خدعة المقصلة آمن. الأقفال ماهي إلا أقفال مخادعة. الشفرة مصنوعة من الورق، والدعائِم نفسها بها آلية تحرر. يمكن لرايلان أن يقف ويخرج من الخدعة في أي وقت.

ذكرته: «إلا أنك لم تدعه يفعل ذلك». كان رايلان قد حاول رفع الدعامة، وكان شون هو من شجعه على البقاء في مكانه. قاله له: «استرخ، **الورق**، **تذكَّر**».

نفخ شون صدره: «حسنًا، هذه غلطتك. لقد أخبرتني أن هناك رصاصة حقيقية في المسدس. إطار المقصلة يحتوي على ليزر، وعندما يُكسر، يطلق الجزء التالي من الخدعة، وهو تحريك المسدس وآلية الإطلاق. عادةً ما تقوم الشفرة الساقطة بكسر الليزر، ولكن يمكن أيضًا أن يتم إطلاقه عن طريق رفع الدعائم مبكرًا. تبين أن تحريك الطاولة كان **كافيًا** لعدم إطلاق المسدس، لكنني لم أكن أعرف ذلك في ذلك الوقت. عندما أبعدنا الطاولة عن رايلان، ظننت أن الأمر قد يتغير. كان لدينا أفراد من الجمهور على المسرح. أردت أن يبقى رايلان في الدعائم ليحافظ على **سلامة الجميع**. تلك الرصاصات هي خطأ رايلان السخيف. لا أفهم لماذا يصر على وجود رصاصة حقيقية يتم فحصها من قبل الجمهور، وهو نفسه لا يستطيع تمييزها. لقد حذرته، لكنه أراد عنصر الخطر».

قلت وأنا أنظر حول الغرفة: «لقد حصل على ما أراده».

وضع شون يديه على وركيه: «كل هذا لا يخبرني لماذا تريد رؤية ما تحت المسرح».

ربتُّ على ظهره: «كما قلت، عندما تعرف كيف يعمل كل شيء، يصبح السحر مبتذلًا. من الواضح أن ما فصل رأس رايلان عن جسده لم

يكن مجرد قطعة ورق، لأن هذا مستحيل. ربما لم تأتِ الشفرة من الأعلى على الإطلاق. ربما جاءت من الأسفل».

وافقني شون ببطء وهو يفكر في الأمر، ثم أومأ برأسه: «ستحتاج إلى ضوء هناك».

- لدي هاتفي.

«إنه ساطع للغاية، سيرونه من خلال الفجوات في المسرح». ثم أدار عينيه: «هيا، أعلم أنك لست شرطيًّا حقيقيًّا».

أعطاني ضوءًا خفيفًا، رفعته ولم أكن مندهشًا.

- حقًّا؟ أعتقد أن هذا الضوء يعطي مصداقية أكثر لحبكة الكريسماس.



الفصل الحادي والعشرون

ارتطم أنف رودولف الأحمر المتوهج بأنفي بينما كنا نشق طريقنا أسفل المسرح. ضاق الممر مع نزولنا درجات السلم، إلى أن ألقانا أخيرًا في أعماق قاعة العرض. كان الجو أبرد بعدة درجات. كنت أسمع وقع الأقدام يدق على ألواح الأرضية فوقنا، والأصوات تتسرب إلى الأسفل. أنف رودولف[1] لم يكن يضيء إلا مسافة متر أو نحو ذلك، وكان يخلط رؤيتي باللون الأحمر. كانت أعمدة الظلال تقسم الظلام.

أدركت على الفور أننا في المكان الصحيح. كنت قد بدأت أعتاد على رائحة الدم الجاف.

فوقي، كانت هناك شريحة من الضوء المتعامد في السقف، تبدو كأنها حدود الباب السري للمسرح. استدرت لأشير إلى شون بذلك، لكنه لم يعد خلفي، لقد اختفى في الظلام.

فيما يتعلق بموضوع استعداد المشتبهين للإجابة عن استفساراتي، خطر لي أن أحد أسباب هذا قد يكون بهدف استدراجي إلى مكان أكون فيه بمفردي.

---

(1) رودولف هو غزال سانتا كلوز، يتميز بأنفه الأحمر الذي يضيء لسانتا رحلته في الثلج.

تقدمت بحذر، متتبعًا خط الضوء الرفيع حتى أصبحت تقريبًا تحته. مرَّ ظل بسرعة بين الأعمدة على يساري تمامًا عندما سحقت قدمي شيئًا ما. تنفست الصعداء وأنا أتخيل أنه ربما كان جزءًا من رايلان بليز، أو قطعة من عظامه. جثوت على ركبتي.

لقد خطوت فوق قطعة زجاج خشنة.

كانت هذه القطعة أكثر سمكًا من الزجاج الذي وجدته في مطبخ لايل، سمكها نصف سنتيمتر على الأقل. وكانت قطعة كبيرة أيضًا، حيث شطرتها قدمي إلى نصفين. انحنيت أكثر، آملاً أن يضيء أنفي الطريق. كان هناك زجاجٌ متناثر في كل مكان على الأرض، بدا وكأن أحدهم قد كسر مرآة.

همس صوت في أذني: «إنها جريمة قتل باهرة، أليس كذلك؟». كان شون. ارتبكت، وجهه كان يضيء باللون الأحمر من الضوء الضعيف المنبعث من أنفي. كان يحمل في يده المغطاة بالقفاز خنجرًا كبيرًا مثلث الشكل مصنوعًا من الزجاج، وكان يقلبه، ويفحصه: «ذكي».

لم أستطع أن أشيح بنظري عن الشظية في يده: «كيف؟».

- يستهان بالزجاج عندما يتعلق الأمر بقوته. ليست لديه صلابة جانبية، ولهذا نعتبره هشًّا وسهل الكسر. ولكن بالنسبة لحافَّته، فهي قوية مثل المعدن. إذا ثبت قطعة زجاج خلف شفرة ورقية، فستكون غير مرئية تقريبًا عند تشغيل الخدعة، حتى لو نظرت إلى الفخ من الخلف. من المفترض أن رايلان حسب السيناريو سيمسك بأسفل الشفرة الورقية، وأعتقد أنك تستطيع...

تذكرت: «لقد قطع إصبعه. **قل ذلك لإصبعي**. كنت أظن أنه مجرد جرح بسيط من الورق، لا بد أنه اعتقد الشيء نفسه، لذلك استمر في تنفيذ السيناريو، لكنه قطع إصبعه بالزجاج المخفي».

أومأ شون برأسه: «رايلان لم يعرف قط خدعه الخاصة. كان هنا فقط من أجل التصفيق».

- إذًا **كلا** الشفرتين تسقطان، لكن واحدة فقط، الورقية، تبقى في مكانها. الشفرة الزجاجية تنفصل وتخترق رايلان، ثم تسقط من خلال الفجوة في المسرح. يجب أن تكون العملية دقيقة، لكن كل شيء على مسرح الساحر دقيق. كلما فكرت في الأمر أكثر، زادت قناعتي به. سواء عند مشاهدة الأمر بشكل مباشر أو عند تثبيته في فيديو جوش، بدت الشفرة غير مرئية. ليست غير مرئية تمامًا، بل شفافة. كان تحت المسرح، وسط الفوضى أعلاه، مع وقت مناسب لتنظيف الزجاج المكسور والتخلص منه. الشرطة ستبحث عن الشفرة. فكرت: لا بد أن القاتل تمت إعاقته بطريقة ما، ليترك هذه الفوضى هنا. ركزت مجددًا على شون: «هل ستكون حادة بما فيه الكفاية؟ هناك الكثير من **القذارة** في عنق شخص ما».

«الجسم البشري هو واحد من أكثر الأشياء مرونةً وإعجازًا في العالم الطبيعي، ولكنه أيضًا مجرد كيس لحم إسفنجي قد يتعطل بضحكة قوية جدًّا. نعم، أعتقد ذلك. الجاذبية تقوم بمعظم العمل. إذا كنت حذرًا، يمكنك استخدام حافة الزجاج على صنفرة أو مخرطة لصقلها، فقط لإزالة أي احتمالات. أو يمكنك تشكيله كـمثلث بنقطة متجهة للأسفل، بحيث تخترق نقطة الرقبة أولًا». توقف شون للحظة، ثم أضاف بنبرة جافة: «أدرك أن تلك الأدوات موجودة في ورشتي، ولكن لا فائدة من الكذب عليك، على ما أعتقد».

كان على حق: كنت على وشك أن أشير إلى أن الآلات تعود إليه.

«كما قلت». لمعت الشظية في يد شون. كان يحدق إلى الزجاج المكسور والدم. بدا، لعدم وجود كلمة أفضل، منبهرًا، وقال: «باهر».

لقد فاض بيَ الأمر، لم أعد أتحمل الأماكن المظلمة المليئة بالقتلة المحتملين. وتعثَّرنا في طريقنا للعودة نحو الباب. لم أستطع إلا الاتفاق مع شون. لقد كانت جريمة قتل **باهرة**. باهرة لدرجة أن القاتل لم يكن بحاجة حتى لأن يكون في المبنى لتنفيذها.

اللعنة، لم يكن حتى بحاجة لأن يكون على قيد **الحياة**!



21

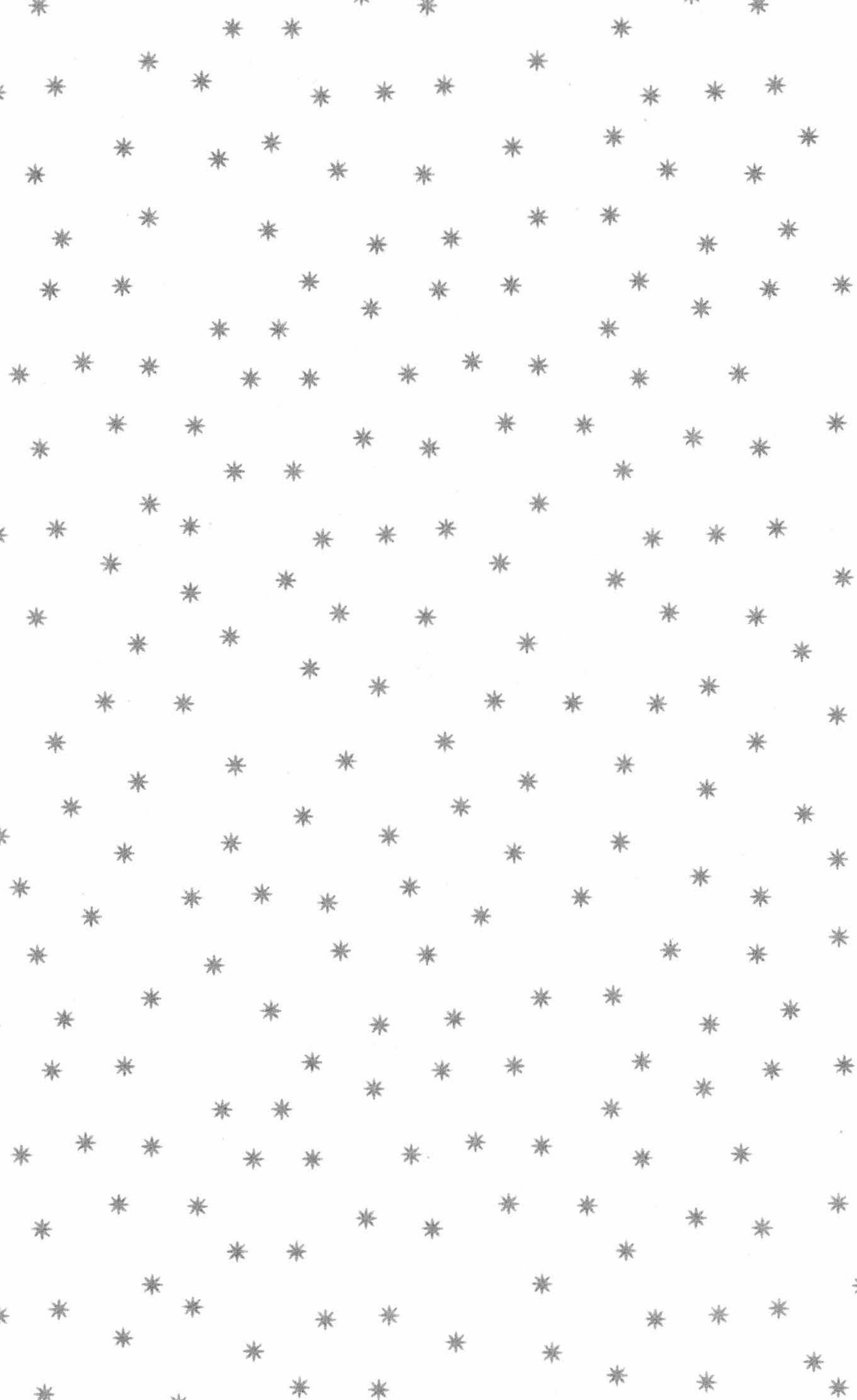
غير مرئية

عزيزتي:

تيريزا لين

من:

هذا سر!



الفصل الثاني والعشرون

كانت سام مستلقية على الأريكة تتصفح هاتفها عندما طرقتُ، ثم فتحتُ باب غرفة تبديل ملابس أختها. بدأت أتمكن من التمييز بين التوأمين، إن لم يكن من الناحية الجسدية، فعلى الأقل من حيث الاختلاف في الثقة. عرفت أن المرأة الجالسة على الأريكة كانت الأخت الصغرى من خلال اتساع عينيها عندما رأتني، ونظرتها حول الغرفة بحثًا عن المساعدة.

جلست بجانبها: «أريد فقط أن أتحدث إليكِ لدقيقة، إذا كان هذا مناسبًا لك يا سام». تراجعت بعيدًا حتى التصقت بظهر الأريكة، ورفعت ركبتيها ولفّت ذراعيها حولهما. أومأت برأسها بخجل. «كنتِ تعرفين عن المقصلة، حاولتِ أن تخبريني. آسف لأنني أسأت الفهم».

أومأت برأسها قليلًا.

«أعلم أنكِ خائفة». تذكرت همسها في المسرح: **ليس بيرس**. وكيف هربت سريعًا، تمامًا مثل دينيش. «إذا أخبرتني، سيكون كل شيء على ما يرام».

همست: «لقد أخبرتُ شخصًا بالفعل، وانظر ماذا حدث».

استغرق الأمر لحظة حتى أدركت ما تعنيه. كنت سعيدًا أنني كنت جالسًا: «لايل؟ هل أخبرتِ لايل؟»

أومأت سام ببطء.

- أخبرته ماذا تحديد ...

«هيه!» اقتحمت تيريزا الغرفة بعصبية. كانت ترتدي ملابس غير رسمية: جينز وسترة. «أنت، فلتبتعد عن أختي، لقد مرت بما يكفي». وقفتُ، وجلست تيريزا في مقعدي، وضعت يدها على ركبة أختها. كانت تيريزا تصوب إليّ نظرات كالخناجر: «ألم تكتفِ بعد؟».

حاولت ألا أظهر انزعاجي. مرتين الآن كانت سام على شفا إخباري شيئًا، ومرتين وشعرت بالخوف. أدركت من الطريقة التي نظرت بها سام إلى تيريزا أنها لن تقول شيئًا دون موافقة أختها. «أنا فقط أحاول المساعدة».

وقفت تيريزا وقادتني إلى الممر: «حسنًا، نكأ الجروح القديمة لن يساعد أحدًا. انظر إليها، إنها لا تقدر على تحمل المزيد من هذا. هل تعلم مدى قربها من الانتكاس؟ ستفقد كل العمل الشاق الذي قامت به». أدركت أنها كانت تتوسل إلي: «ألا يمكنك فقط، كما تعلم، ألا تجعلها طرفًا في هذا؟».

«أنتِ خائفة من أنها قد...». وقعت عيناي على الندبة على الجانب الداخلي من معصمها. تيريزا، التي حصلت على الإشادة لتجاوزها البرنامج بسرعة أكبر من أختها، كانت لديها صراعاتها الشيطانية الخاصة.

سحبت تيريزا كمها إلى الأسفل: «هذا ليس كما يبدو. عندما كنت أصغر، كنت بحاجة إلى بعض المال الإضافي». تنهدت، مدركة أنها ستضطر إلى التوضيح: «كل مدمن نفذ عملية سرقة في مكان ما. كلنا

نعرف مدى حدة الزجاج. هذا هو قصدي: هذا... هذا... الشيطان يدفعك إلى الحافة. لا تأخذ سامانثا إلى هناك».

قلت: «أنا فقط أبحث عن الحقيقة»، بدا هذا وكأنه شيء قد يقوله محقق حقيقي.

قالت: «إليك بعض الحقيقة، سأفعل أي شيء لحماية أختي». مدت يدها وأمسكت بذراعي بقوة. كانت قبضتها صلبة، شعرت بأطراف أصابعها الخمسة تتشكل ككدمات. نظرتها كانت تشبه التنويم المغناطيسي. «**أي شيء**. لذا فكر في ذلك قبل أن تجعلها جزءًا من هذا».

أقنعتُ تيريزا بأن تترك ذراعي وتنضم إلي لتناول كوب من الشاي، من خلال وعدي بعدم اتهام أختها بأي شيء آخر. صعدنا إلى الطابق العلوي نحو المطبخ الصغير، بجانب غرفة الانتظار. فشلت كومة الهدايا الموجودة تحت الشجرة، في هذه اللحظة، في أن تمنحني أي شعور بروح عيد الميلاد. وبينما تنقع أكياس الشاي، سألتها عما كنت أنوي في الأصل سؤالها عندما فتحت باب غرفة تبديل ملابسها ووجدت سام بدلًا منها: «هل التنويم المغناطيسي يعمل؟».

بدت متفاجئة من السؤال: «سيد لعبة الألغاز النزيهة -نعم، لقد قرأت كتبك- يريد أن يعرف إن كان التنويم المغناطيسي حقيقيًّا؟ كنت أعتقد أنك لا تسمح بأي «دلائل إلهية»». وأشارت بعلامات اقتباس وهمية حول الجملة الأخيرة.

قلت: «أعتقد أن عرضك يعتمد على علم النفس بقدر ما يعتمد على ما هو خارق للطبيعة، لذا بالنسبة لي، هذه لعبة نزيهة. لهذا السبب أسأل: هل يعمل؟».

- هل تؤمن بالسحر؟

- لا.

رفعت كتفيها بلا مبالاة: «إذن لن يعمل عليك. يجب أن تكون قابلًا للإيحاء».

قلت مازحًا: «أنا قابل للإيحاء بشدة».

«متأكدة أنك كذلك». نفخت بخار الشاي من فوق كوبها وأعطتني الكوب الآخر: «لكن ليس للتنويم المغناطيسي».

- هل نوَّمتِ أختكِ يومًا؟

هزّت تيريزا رأسها: «لن أفعل ذلك. الجمهور يمنح الموافقة، كما تعلم».

«لأولئك سريعي التأثر...». أخذت رشفة ساخنة للغاية، واسترجعت مشاهد العرض في ذهني: تيريزا تنقر بأصابعها والمتطوعون يعودون إلى وعيهم، يجلسون في مقاعدهم دون أي فكرة عن الإحراج الذي تعرضوا له للتو». هل يمكن حقًّا أن يكون سببًا في نسيانك للأشياء؟

طقطقت بلسانها: «ليس نسيانًا، ليس تمامًا. ما يزال هناك في عقلك، لكن أجل، أعتقد أنني أغطيه أكثر من أن أحذفه. بوب من قسم الحسابات وهو يؤدي رقصة الدجاج بملابسه الداخلية، لن يكون هذا مضحكًا إذا تذكره». وغمزت لي: «من الواضح أن هذا العرض ليس مناسبًا للعائلة».

- هل تعتقدين أن رايلان كان يعرف التنويم المغناطيسي؟

هزت كتفيها: «أغلب السحرة يعرفون المبادئ على الأرجح، لكن ما إذا كانوا يستطيعون تنفيذها بنجاح فهذه مسألة أخرى».

- إنه مجال فريد. كيف أصبحتِ مهتمة بهذا العمل في الأساس؟

- تعلم أنهم يستخدمونه للإقلاع عن التدخين، أليس كذلك؟ حسنًا، كانت مؤسسة بيرس تستخدمه في الماضي لمساعدتنا على

التعامل مع أعراض الانسحاب. لم يعد الأمر كذلك الآن، فقد أصبحت تقنية عتيقة. لكنني وجدتها تقنية ساحرة، وقررت دراستها. لقد كنت أؤدي في النوادي والمهرجانات لفترة من الوقت. ولكن عندما أعلنت المؤسسة أن رايلان سيكون في جولة هذا العام، رأيت أنها فرصة جيدة لأخذها في طريقي. سألت لايل إذا كان بإمكاني أن أقدم العرض المساعد.

«ولكي تعتني بسام». هذا لم يكن سؤالًا.

«كانت الشائعات تقول إن رايلان يحب تناول كأس صغيرة من نوسيه Nose -نطقتها كما يُنطق اسم النبيذ: نوز إيه-. أعتقد أن الشهرة تتفوق على السخرية عندما يتعلق الأمر بمقدار المال الذي تريد فليك جمعه. عذرًا، أقصد زيادته». دحرجت عينيها: «هذا يشبه توظيف دب لحراسة العسل».

كنت قد سمعت مذكرة بيرس الصوتية: **إذا رأيته مع أي مادة بالقرب من خريجي مرة أخرى...** «كان لدى بيرس بعض المخاوف...» تركت الجملة معلقة، كأنني أغريها بالطُّعم.

كما اتضح، كانت تيريزا جائعة. «سام تحاول، حسنًا؟ هي فقط، حسنًا، تستسلم بسهولة للإغراء. لا أعتقد أنها أخذت أي شيء. أعني، لقد أخبرتني أنها لم تفعل. وهي صادقة جدًّا معي على أي حال». بدا عليها بعض التفاخر. كنت أراهن أنها تمتلك كوبًا مكتوب عليه «أفضل أخت في العالم»، وربما تحتفظ بالإيصال أيضًا. «أنا سعيدة لأنه كان واضحًا بالنسبة إلى لايل كما كان واضحًا لي أن رايلان كان يعوق تقدمها».

- يعوق تقدمها؟

أدارت عينيها: «في تعافيها. يا إلهي، توقف عن هذا التلهف: ليس اعترافًا».

«أعتقد أنكِ ولايل متشابهان». ارتعش طرف فمها، رغم أنني لم أقدم أي إطراء بعد. «كلاكما يدافع عن الضعفاء، أليس كذلك؟».

«بكل تأكيد». بدت مسرورة: «عندما اكتشفت أن رايلان عرض على أختي الكوكايين، واجهته. فقدت أعصابي تمامًا. قلت له أنني سأ...». توقفت فجأة، مدركة أنها خرجت عن السياق، وقطعت جملتها.

- تقتلينه؟

«شيء من هذا القبيل». تغير صوتها ليصبح دافئًا وملطفًا، مثل العسل. مثل الصوت الذي تستخدمه على المسرح. تساءلت عن مدى قابليتي للتأثر. لن أكون محققًا جيدًا إذا اعترف أحدهم بجريمة قتل، ثم نقر بأصابعه وجعلني أنسى الأمر تمامًا. ربما فعلوا ذلك بالفعل. قد تكون هذه هي المرة الثانية، أو حتى الثالثة أو الرابعة، التي أحقق فيها في هذه الجرائم.

قلت: «أنتِ صريحة جدًّا بالنسبة لمشتبه بها في جريمة قتل. في الواقع، الجميع كذلك».

- هذا لأنك تستطيع أن تستمر في تحليل دوافعنا كما تشاء، لكننا لم نفعل شيئًا. خاصة سام، وأنا متأكدة **من ذلك.**

كررت: «هل أنت متأكدة تمامًا؟ هل لديها حجة غياب لم تخبريني عنها؟».

ضيقت عينيها: «لماذا تستهدفنا نحن تحديدًا؟ لأنك تظن أن أختي **ضعيفة؟** هي ليست ضعيفة لمجرد أنها تنتكس. حقيقة أنها لم تستسلم مئات المرات للعادات السيئة، وحقيقة أنها ما زالت مستمرة، تجعلها أقوى امرأة أعرفها. أقوى منك».

وافقتها: «هي كذلك، وهي تريد أن تفعل ما هو صحيح. لكنني في مأزق. كيف **عرفَت** أن شيئًا سيحدث لرايلان؟ كيف عرف دينيش؟ هل كنت **تعلمين**؟».

ضحكت تيريزا: «أليس هذا ما يحدث في ألغازك؟ لكل شخص دافِع، كل شخص لديه سر».

حاولت تلطيف الأجواء، مشيرًا إلى شجرة عيد الميلاد: «في الواقع، كل شخص لديه سران. إذا أضفتِ سر سان...».

فجأة نسى فمي كيف يصدر الأصوات، توقف فكي.

الهدايا!

ركضت نحو الشجرة، غالبًا انزلقت على ركبتيَّ مثل لاعب كرة قدم بعد تسجيل هدف، وأمسكت بالصندوق الأزرق الكبير الذي يحمل البطاقة: «إلى: **رايلان بليز**، من: **ك. ك**». كانت بسهولة أكبر هدية في المجموعة. لكنني أدركت فور إمساكي بها أنها كانت الأخف وزنًا.

مزقت الورق الأزرق اللامع، ثم استخدمت مفاتيحي لفتح الصندوق.

لقد كان فارغًا.

بعض المحققين، ربما يحلون الجرائم مثل الألعاب النارية: فتيل مشتعل ينفجر بكل شيء دفعة واحدة. أما أنا، فأحل الجرائم مثل حادث اصطدام من عشر سيارات على طريق سريع مزدحم: سيارة تصطدم بالأخرى، ثم أخرى، وهكذا حتى النهاية.

كان الصندوق فارغًا.

تحطيم.

لماذا ستشتري هدية لرجل ميت؟

تحطيم، تحطيم، تحطيم.

نظرت إلى تيريزا: «لقد حللت جريمة قتل».

وقفت مستقيمة تمامًا: «جريمة قتل؟ واحدة فقط؟».

- نعم.

- أي جريمة؟

وقفت: «واحدة لم تحدث قط».



الفصل الثالث والعشرون

عدنا من حيث بدأنا، إلى إيرين.

كانت تجلس أمامي في نفس زنزانة الاحتجاز. كان خداها أقل احمرارًا قليلًا، وجفناها قد ارتاحا من فرك الدموع، وأخيرًا سمح لها قسم الطب الشرعي بغسل يديها وشعرها. سيكون من المبتذل القول إنها بدت أنحف، لأن الوصف الأكثر دقة هو أن هناك جزءًا فُقِد منها. لم يكن الأمر فقدانًا جسديًّا بقدر ما كانت عينيها دون حياة. أصبحت تشغل مساحة أقل من الغرفة.

بحلول الوقت الذي هرعتُ فيهِ خارج المسرح، كانت المحطة قد توقفت عن استقبال الزوار، لذلك اضطررت للانتظار حتى صباح اليوم التالي للدخول. وهذا منحني ليلة أخرى مغمورة بالعرق وأنا أرتب الأمور في ذهني. لقد حللت لغز جريمة قتل افتراضية، والتي ربما تبعتها وارتبطت بها الجريمتان الأخريان (الجريمتان الحقيقيتان)، لكن كل ما كنت أملكه مجرد افتراضات. من الناحية القانونية، لم أكن أملك شيئًا على الإطلاق. فقط امرأة مغطاة بدماء صديقها، دون أي ذاكرة عن كيفية حدوث ذلك. كنت ما أزال أنتظر لحظة الاستنارة.

قلت بعد أن أخبرت إيرين أمر الصندوق الفارغ وكل ما رأيته: «لدي نظرية بالفعل، وقد شاركتها بالفعل مع الرقيب سوليفان». أملت رأسي باتجاه قضبان الزنزانة. «من الواضح أنه لا يصدق تلك النظرية، وإلا لَكُنتِ في الجانب الآخر من هذه الزنزانة». أطلقت عطسة قوية عبر الطاولة بيننا، ومسحت أنفي: «لا تُعلِّقي آمالًا كبيرة. دون أي دليل قوي، كل الأمور حاليًا عبارة عن مجرد نظرية».

أخذت إيرين منديلًا، ومسحت الطاولة حيث عطست. أصدرت قطعة الألومنيوم اللامعة صوت صرير حاد بسبب فركها. وقبل أن تفكر في الأمر، نعم، كان ذلك جزءًا من تقنيات الاستجواب المتقدمة الخاصة بي.

قالت: «سأقبل بالنظريات، أخبرني ما لديك».

- ماذا لو كان رايلان بليز ولايل بيرس قد قتلا بعضهما بعضًا؟

شرحت: «أنتِ لا تتذكرين ما إذا كان لايل موجودًا في السرير بجانبك عندما نهضتِ لاستخدام الحمام، لذلك من المحتمل أنه خرج إلى المسرح وقضى الليلة في تجهيز المقصلة الزجاجية. هذا قد يفسر لماذا فتح تقويم المجيء الخاص به في اليوم الذي مات فيه. أعتقد أنه ربما خدش إصبعه بالزجاج، وهذا ما يفسر قطرات الدم على جدار حمامكِ عندما عاد إلى المنزل وغسل يديه». رفعت إيرين عينيها للأعلى، متخيلةً لايل وهو يجرح إصبعه ويهز يده المصابة ذهابًا وإيابًا من الألم. جرح صغير كان من الممكن أن يُفتح مجددًا بسهولة بعد ساعات. «لهذا كانت بحوزته الصفحة من دفتر شون، كان يدرس تقنيات الخدع».

كانت إيرين تهز رأسها ببطء. كنت أراها تربط كل ما أقوله في مقابل الأدلة التي أخبرتها بها سابقًا. ارتجف وجهها، غير قادر على الاستقرار

على تعبير معين. كان شعور الحماس للحرية يتلاشى أمام الرعب من احتمال أن يكون لايل نفسه قاتلًا.

مضيت قدمًا: «يكتشف رايلان أن لايل يخطط لقتله. ربما يبقى في المسرح لوقت متأخر ويفاجئه في أثناء التحضير، أو يتبعه إلى المنزل. ربما يرتبان لقاءً لمناقشة بيع أصول المؤسسة. هذا مجرد تخمين. إذًا، يصل رايلان إلى منزل لايل. والآن، بناءً على تخميني السابق، إما أنه يتبعه إلى الداخل، وإما أن لايل ينتظره. رايلان يعلم أن لايل يخطط لقتله، لكنه لا يدرك أن الخطة قد بدأت بالفعل، لذلك يعتقد أنه يجب عليه أن يوجه ضربته قبله. رايلان يقتل لايل بسكين من سكاكين مطبخك. وينسق المشهد لإلصاق التهمة بك».

تجعد جبين إيرين بقلق: «كيف؟».

قلتُ بتردد: «أمم، حسنًا، هو بارع جدًّا في خفة اليد، لذلك تخميني هو أن حيل الورق وما شابهها تتطلب لمسة دقيقة، دقيقة بما يكفي لئلا تستيقظي عندما يضع الدم عليك. وأنت تضعين سماعات الأذن وتستمعين لضجيج مرور طوكيو أو أي شيء آخر. حتى لو استيقظتِ، هو ساحر وربما لديه بعض المعرفة بالتنويم المغناطيسي. لذا، رتب رايلان المشهد لتوريطك، ويعتقد أنه أصبح في مأمن تمامًا، غير واعٍ تمامًا أن فخ لايل كان جاهزًا له في الليلة التالية. وأنت تعرفين كل شيء بداية من ذلك».

كانت إيرين تقيمني بنظراتها. مشاعرها المضطربة استقرت، ولكن للأسف على الحيرة: «الدوافع؟».

- بجانب رغبة رايلان في استباق خطة لايل لقتله، كان رايلان يريد شراء مؤسسة بيرس، لكن لايل كان يماطل. أما بالنسبة للايل، فقد كان رايلان يعرض الكوكايين على خريجيه، وخاصة سام. لقد طار عقل لايل، فقد كان ضعيفًا بعدما طرد دينيش -شخص كان يفخر بنجاحه، ويجسد ما تسعى المؤسسة لتحقيقه-. أعتقد أن لايل رأى أن المشكلة تكمن في بذرة واحدة فاسدة: رايلان.

إيرين كانت تهز رأسها: «هذا ليس طبعك، إرن. لقد ذكرت خمس تخمينات. أنت لا تخمن. أنت تربط كل جزء صغير. هذا ما تفعله. أي جريمة قتل أبلغ عنها لايل؟ مقتل رايلان أم مقتله هو؟».

- أعتقد ...

- ست تخمينات.

وضعت رأسي بين يدي. بصراحة، هناك بعض الثغرات. لم أقترب حتى من ربط رسالة الدماء الخاصة بالكريسماس أو علامة الإبرة على ذراع لايل، فضلًا عن الهدية الفارغة لرايلان. لكن هذا أفضل ما لدي. ما أعرفه لم يكن يتناسب مع بعضه بعد. ناهيك بأن جدولي الزمني بأكمله يعتمد على استهلاك الشوكولاتة.

قالت إيرين: «تريد أن تؤمن بأنني بريئة». نظرتُ إليها. كانت تحدق إلى يديها، وكان بإمكاني رؤية أنها تتخيل بقع الدم عليها. «لكنني لا أحتاج إلى إيمانك. أريد الحقيقة. حتى لو كانت الحقيقة هي -رفعت كفيها- ما يمكن لهذين اليدين أن تفعلا. سأتحمل مسؤولية ما...».

رفعتُ يدي ونقرتُ بأصابعي أمام جبهتها. تردد صوت النقر العالي والواضح عبر جدران الزنزانة. حلَّ صمت مربك للحظة.

قالت إيرين: «ما كان ذلك؟ هل هذه واحدة من تقنيات استجوابك الغريبة؟».

تمتمتُ: «كانت محاولة تستحق التجربة».

أعلم. أعلم. لغز ضعيف نوعًا ما إذا كان مسح العقل بالتنويم المغناطيسي في مركز هذا اللغز. كنت غاضبًا من نفسي لمحاولتي ذلك، لكنني كنت يائسًا.

انحنيتُ إلى الأمام: «اسمعي، لدي نصف نظرية فقط وهي عن مقتل رايلان. ولا أستطيع أن أضعك أنت ولايل في الصورة. أعلم أنك بريئة، لكنني لا أعرف كيف. الطريقة لإخراجك هي أن نلقي باللوم على رجلين ميتين كانا يسعيان لتدمير بعضهما بعضًا. لهذه الأغراض، ستنجح هذه النظرية».

مدت إيرين يدها ولمست خدي: «والقاتل الحقيقي يفلت من العقاب؟ هذا ليس أنت أيضًا».

من المفترض أن أكون راويًا موثوقًا، وها أنا قبض علي وأنا أكذب على نفسي. هل يعني ذلك أنني أملك عدوًّا لدودًا بعد كل شيء؟ العدو اللدود لا يحتاج إلى عدد من الجثث أو خطة رئيسية، يكفي أن يجعل المحقق يغير من نفسه. لقد خذلت نفسي، لذا خسرت.

قالت إيرين: «تعرف، إنه أمر سخيف»، ثم ضحكت بحزن: «ما زلت أجلس هنا، على أمل أن تكتشف كل شيء. كما فعلت في الجبل. كما قرأت ما حدث في القطار. ماذا تسميه في كتبك؟ تمنيت حقًّا تلك اللحظة».

«أنا أيضًا». بالكاد استطعت أن أنطقها. كانت عيناي مضطربتين، مبتلتين: «إنها تُسمى لحظة الإلهام».

ثم تجمدت، تراكمت السيارات على الطريق السريع.

همست: «لقد حدثت لي واحدة للتو».

- ماذا؟

انفجرت ضاحكًا، وعندما أفكر في الأمر الآن، لقد كان ضحكًا أشبه بالجنون. نهضت واقفًا فقط لأخفف من طاقتي. «**إنها لحظة الإلهام!**». كنت أتحدث بسرعة، أفكار متطايرة كأنها شظايا بندقية: «لايل لم يغادر منزلك تلك الليلة. لم يكن لديه الوقت ليجهز المقصلة بحلول الوقت الذي... وكان يجب أن يكون قد مات بالفعل...» أشرت نحو إيرين: «أعرف كيف وصل الدم إلى...».

صوت دق على الباب: «هل أنتما بخير هناك».

نادت إيرين وهي تنظر إلي: «نعم، نحن، أممم.. بخير».

جلستُ ووضعت يدي على كتفيها: «أحتاج أن أسألك سؤالًا آخر عن لايل. إذا كان جوابك كما أعتقد، فقد أكون على وشك الإمساك بالقاتل».

سأخالف هنا مبادئ الألغاز النزيهة، وأخفي عنكم السؤال الذي طرحته على إيرين. فقط لبضع صفحات، أعدكم. بالإضافة إلى أنكم تملكون جميع الأدلة لتكتشفوا الجواب بأنفسكم، لذا أنا لا أخفي شيئًا فعليًّا. فقط أزيل عجلات التدريب.

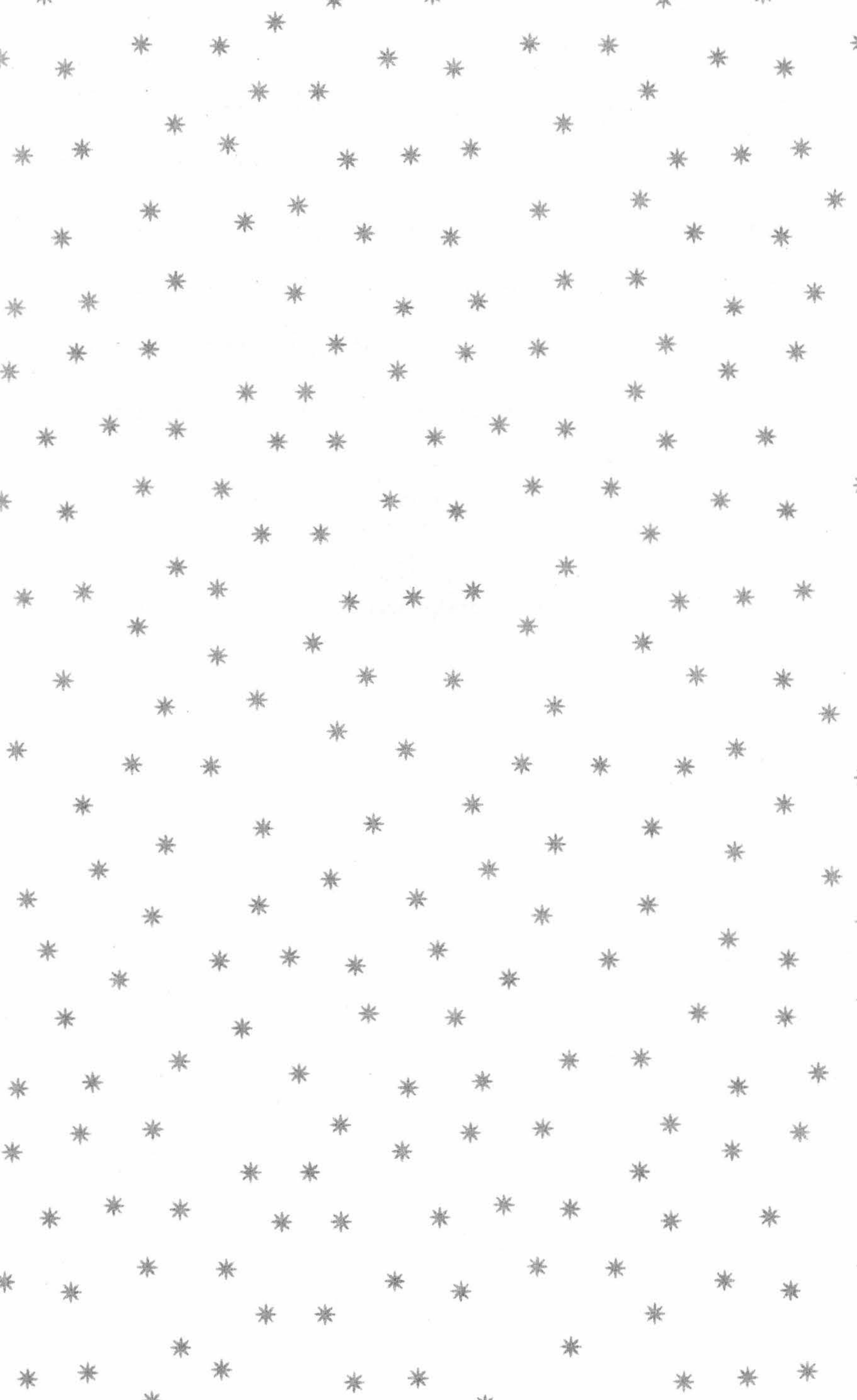
طرحت عليها السؤال.

أجابت إيرين على الفور وهي مشوشة: «نعم، كانت لديه طقوسه. كانت تظهر عندما يشعر بالتوتر».

لا بد أنها رأت ابتسامتي وكأنها تكاد تشق جمجمتي. كنت قد نهضت من مقعدي واتجهت إلى الممرات قبل أن تتمكن من أن ترمش. لم يتبعني سوى صوتها المتعجب إلى الممر.

- بحق الجحيم، كيف يُفترض لهذا أن يُخرجني من السجن!





19 خط كوميك سانس	11 إبرة	9 رصاصة من الشمع	14 أهرب	1 إيرين
5 أبلغ عن جريمة قتلك	23 لحظة الإلهام	12 ورقية	16 الشغف يخلق التغيير	8 الـ 12 من ديسمبر
13 وحل	20 دفتر	7 صندوق أزرق كبير	3 1:30 صباحًا	21 غير مرئية
2 متلبسة	17 خبز + حليب	22 هدية رجل ميت	15 مطرود	18 زجاج
24	4 عذر سيئ	10 الكريسماس	6 الارتجاف	

الحياة ليست عادلة

لا يوجد باب لتفتحه في هذا القسم، للأسف. كما يقول آندي: «لا يمكن لجميعها أن تكون شوكولاتة».

لقد اكتشفت الأمر. لكن، مثل كل غداء عيد ميلاد جيد، لا بد من إجراء التحضيرات النهائية. قضيت باقي اليوم الثالث والعشرين وأنا أضع ست رسائل تحت أبواب غرف تبديل الملابس في المسرح. جميع الرسائل كانت تقول: «ولخدعتي الأخيرة». أسفل ذلك كان هناك عنوان ووقت: الثامنة صباحًا، الرابع والعشرون من ديسمبر. لقد أرسلت أيضًا بريدًا إلكترونيًّا إلى صحفيِّنا المفضل. كنت متأكدًا أنه سيرغب في الحصول على الخبر الحصري.

كنت أتحسن بشكل ملحوظ في التسلل حول ضباط الشرطة، رغم أن عددهم قد تضاءل في المسرح. لم يلاحظ أحد أنني تركت الأظرف، تمامًا كما لم يلاحظ أحد أنني غادرت ورشة شون بشيء ملفوف في معطفي.

الألغاز لعبة جماعية، ودائمًا ما أؤمن بذلك. باستثناء مخالفتي الصغيرة في الفصل الأخير، لديكم جميع الأجزاء الثلاثة والعشرين لمعرفة ما يوجد خلف الباب الرابع والعشرين.

يجب أن يكون لديكم كل ما تحتاجونه، معذرةً على التلاعب بالكلمات، لتجربوا حظكم في حل اللغز.

لذا ها نحن هنا. الباب الأخير.

الفصل الرابع والعشرون

بعد ثلاثة أيام من الحر الشديد، كانت البلدة قد احترقت تمامًا. بهتت الألوان من بتلات الزهور البرية المتساقطة. أحسست بأوراق الشجر اليابسة وكل قصاصات العشب تتكسر تحت حذائي وأنا أشق طريقي إلى محطة التلفريك في إيكو بوينت، مدركًا الوزن المحدد في حقيبتي وهو يرتطم بعمودي الفقري. كانت هناك لافتة أمام المحطة مكتوب عليها: مغلق من 24 ديسمبر حتى 26 ديسمبر ويوم رأس السنة. كان التلفريك كائنًا في محطته، وفوقه بوابة دوارة ضخمة يمتد منها سلك سميك ومشدود عبر الوادي المغطى بالضباب.

كنت قد وصلت قبل الموعد بخمس عشرة دقيقة، لكن شون وفليك سبقاني إلى هناك. بعد تحيات صادقة وخافتة، وقفنا بصمت مليء بالتفاهم. كانت فليك منشغلة بالنقر على هاتفها.

كان كريستوفر هو من وصل تاليًا، صافحني وربَّت على ظهري.

ثم وصل جوش فيلمان. قال وهو يعبث بعدة أزرار على سترته وتطبيق مزج الصوت على هاتفه الآيفون: «أسجل؟».

ألقى لي دينيش تحية صغيرة بإحراج وهو يمشي ببطء صاعدًا الدرج. في الساعة 8:05، كنت بدأت في القلق من أن يكون رهاني

النفسي –بأن الأبرياء سيأتون لإثبات براءتهم، والمذنبين سيأتون لأن غيابهم سيجعلهم يبدون أكثر ذنبًا– كان رهانًا خاطئًا، توقفت سيارة أجرة وخرجت منها سام وتيريزا. سام كانت تنظر إلى حذائها طوال الطريق، بينما اخترقتني تيريزا بالنظرة نفسها التي سبق أن أعطتني إياها: **إياك والعبث مع أختي.** في الحقيقة، كنت أعتمد على هذا السلوك، حياتي كانت تعتمد عليه نوعًا ما.

قال شون أخيرًا: «لماذا نحن هنا؟». كانت هناك همهمة ارتياح لأنه كسر حاجز الصمت للجميع.

قلت: «سترى ذلك».

بينما خرج رجل يرتدي مئزرًا أزرق من غرفة التحكم وفك الحبل أمام التلفريك، انفتحت الأبواب مثل مصعد، وأرشدت الجميع إلى الداخل. كانت المقصورة واسعة بما يكفي لنا جميعًا وأكثر، لكن كل شيء يبدو خانقًا عندما يكون هناك قاتل في الجوار. وقف الجميع متجاهلين المقاعد الموزعة على الجدران.

لا أملك موهبة جوش في الرشوة. لحسن الحظ، لم يكن العامل بحاجة إلى تذاكر حفلات أو رحلة طيران راقية. صندوقان من الجعة ومئة دولار كانت كافية لتكون دافعًا.

قلت: «هل حصل الجميع على ملاحظتي؟». فردوا جميعًا بهمسات قلقة: «صديقنا في الكشك هنا وافق على أن يأخذنا ذهابًا وإيابًا عبر الوادي عدة مرات، حتى نحصل على الخصوصية المطلوبة».

قالت فليك بنبرة فيها بعض الانزعاج: «ولكيلا يتمكن أحد منا من الهرب».

«بالضبط. عند كل محطة، سأقوم بإنزال أولئك الذين استنتجت أنهم أبرياء، حتى نصل في النهاية إلى الجاني أو الجناة. نعم، الأمر يحمل

بعض الدراما، لكنني متأكد أنكم ستتفقون معي بأنه الإجراء المناسب». اهتزت الأرض تحت أقدامنا عندما بدأت عربة التلفريك بالتحرك. سام وشون تشبثا بالسياج الذي كان فوق رؤوسنا. كانت العربة ذات قاع زجاجي، وانحدر الجرف أسفل أقدامنا. «من أين نبدأ؟ ستة منكم أنتم السبعة أرادوا قتل رايلان بليز. اثنان منكم حاولا. وواحد منكم نجح».

«كل واحد منكم لديه دافع». فكرت أن أبدأ من قمة المنظمة، فتوجهت إلى الرئيسة المؤقتة: «فليك».

بدت منزعجة لكونها كانت الاختيار الأول: «لننه الأمر بسرعة»، قالت وكأنها كانت متأخرة على اجتماع. وهذا -ولأكون نزيهًا- كان أسلوبها المعتاد.

- فكرت أنه من الممكن أنكِ قتلتِ لايل للحصول على منصب الرئيسة المؤقتة لمؤسسة بيرس. أعلم أن رغبتك في البيع كانت أقل من بيرس، خاصة عندما بدأ بيرس يميل إلى قبول العرض. لذا من المحتمل أنكِ قتلتِ بيرس أولًا، ثم اكتشف رايلان الأمر، وكان يجب القضاء عليه أيضًا. لكنني كنت أتوقف دائمًا عند نقطة البيع. كنتِ ستحصلين على أرباح كبيرة جدًّا. **لماذا** لم تريدي البيع؟

قالت فليك بسخرية: «عدم أخذ المال بالكاد يُعتبر دافعًا».

سنصل إلى تلك النقطة: «سام»، التفتُّ إليها. كنا الآن في منتصف المسافة عبر الوادي. كان الدوار مزعجًا إذا نظرت إلى الأسفل. لقد حلق صقر من تحتنا: «بليز كان خطيرًا على تعافيكِ. وتيريزا، كنتِ ستفعلين أي شيء لحماية أختكِ الصغيرة. أخبرتِني أن رايلان كان عقبة في طريقك».

كانت عينا تيريزا تشتعلان غضبًا. أما سام، فما زالت تنظر إلى الأرض.

- دينيش، أنت تعتقد أن رايلان هو من تسبب في طردك. تقسم أنك لم تأخذ الخاتم، ما يعني، إن كنت صادقًا، أن شخصًا ما وضعه في حقيبتك ليتسبب في طردك. رايلان كلفك وظيفتك وثقة بيرس.

قال دينيش: «لا أستطيع إنكار الدافع، لكنني أستطيع إنكار كل شيء آخر».

أومأت برأسي: «لحسن حظك، ستحصل على فرصة ثانية للانتقام ممن دمر حياتك».

تجعد جبين دينيش، لكن شون هو من تحدث: «هل تقصد أن رايلان ما يزال...»

قلت: «رايلان ميت بالفعل. ليس ساحرًا ماهرًا بهذا القدر. لكنه ليس من تسبب في طرد دينيش. فليك، أنتِ من تسببتِ في ذلك».

ضغط دينيش على فكه بإحكام لدرجة أنني اعتقدت أنه كسر أسنانه. استدار نحو فليك. رغم أنه كان بعيدًا جدًّا ليأتي بأي رد فعل، فقد رفعت يديها في وضع الدفاع.

تلعثمت: «أستطيع أن أشرح».

زمجر دينيش: «من الأفضل أن تفعلي».

قاطعتهما: «سأفعل ذلك بنفسي، هذا عملي نوعًا ما. فليك، رايلان أخبرني أن لايل كان يبالغ في تقييم الشركة بمقدار نصف مليون دولار. قال إن رجله لم يتمكن من مطابقة النفقات الصادرة. وبما أنك كنتِ المديرة المالية، أفترض أن فريق رايلان أخبركِ ذلك. هو لم يشك فيكِ، ربما اعتقد ببساطة أنه كان خطأً حسابيًّا بسيطًا دون أهمية، لذا لم يكن

يعرف حتى ما كان يفعله. لكنكِ أدركتِ أنكِ على وشك أن يتم اكتشافك: لقد كنتِ تختلسين مئات الآلاف من الدولارات من المؤسسة الخيرية. لديك ذوق باهظ. قد لا أعرف مورتغارت، لكنني أعرف ماركة ماكوين، التي أخبرتني أنكِ كنت ترتدينها في العرض».

الآن التفت باقي الأشخاص في العربة نحو فليك. تنوعت التعابير بين الاشمئزاز (سام وشون) والغضب المميت (دينيش، كريستوفر، وتيريزا). وبالطبع، الحماس (جوش).

شرحتُ لفليك مباشرة: «كان عليكِ إلقاء اللوم على شخص آخر. دسست الخاتم في حقيبة دينيش، ثم أخبرتِ لايل أنه سرقه. كلٌّ من رايلان ولايل كانا يعلمان أن الاجتماع الذي دعيتِ إليه كان للتعامل مع سرقة. فقط ظن كل منهما أن دينيش سرق أشياء مختلفة. لايل اعتقد أنه كان يتعامل مع سرقة ممتلكات، بينما رايلان ظن أنه يسد الثغرة في الحسابات». كانت خطة محفوفة بالأخطار، تعتمد على أن فقدان دينيش أعصابه بسرعة سيقطع الحديث، وهذا ما أخبرتِني به عندما أريتِني صورته لأول مرة، ونصيحتكِ للايل بأن ينهي الأمر بسرعة، ويتأكد من أن تكون له الكلمة الأولى. لكن كل ما كان لديكِ هو فرصة أخيرة مع فرصة ضئيلة للنجاح، وقد نجحت. فقد دينيش أعصابه، وبدأ برمي الكؤوس قبل أن تتاح له الفرصة للدفاع عن نفسه ضد اتهامات لم يكن حتى يعرف ما هي». أخبرني دينيش هذا في الأدغال المظلمة: **لم أكن أعرف حتى ما الذي اتُّهمت به.** «دينيش، لقد أخبرتك فليك عن الخاتم لاحقًا في أثناء مساعدتها لك في حزم أمتعتك». التفتُّ نحو فليك: «هذا هو دافعك للقتل. منذ البداية اعتقدت أنه كان غريبًا أنك منحتني هذا القدر من الوصول إلى العمل. كنت هاويًا، ولم أكن سأتعمق في الأمور الجنائية كما تفعل الشرطة، وخاصة في الحسابات. قلت إنك أردت حلًّا سريعًا،

مع أقل ضرر ممكن للسمعة. أخبرتك أنني دائمًا أفعل العكس. واتضح أن هذا ما ترغبين به: تشويه سمعة الشركة بما يكفي لجعل المستثمرين يتراجعون. بيع الشركة كان سيستلزم تدقيقًا في الحسابات بشكل أكثر تفصيلًا. كان سيتم اكتشافك بالتأكيد حينها، ولهذا السبب لم تتمكنِي من البيع».

توجهت إلى الجميع مرة أخرى وقلت: «لنحفر أعمق. كان إنهاء عمل دينيش هو بداية أزمة الإيمان لدى لايل، وأول شرخ في اعتقاده بعمله. ذلك الشرخ سيتسع، ما سيؤدي إلى تآكل ثقته بمن حوله، ويؤدي في النهاية إلى قراره ببيع الشركة، ومن ثم إلى موته».

تحدث جوش قائلًا: «إذًا، عندما قرر بيع المؤسسة، قتلته فليك».

قلت مستهجنًا: «دون دليل، هذا مجرد دافع. لم أنتهِ بعد. شون. (فتح شون ذراعيه على وسعهما عندما التفتُّ إليه، وكأنه يقول: **أرني ما لديك**) لقد كنت تلعب دور الرجل الثاني خلف بليز طوال هذا الوقت. تصاميمك، وأعمالك، هي التي جعلته مشهورًا». جعلته غنيًا. بليز لا يعرف حتى أي رصاصة في عرضه الرئيسي هي الرصاصة الشمعية. وفي الوقت نفسه، أنت ما زلت تنظف فضلات الطيور عن حذائه. ليس من الصعب تخيل لماذا كنت تتخيل التخلص من بليز. أنت تمثل الموهبة الحقيقية في العرض، ومع ذلك قلص دورك إلى الرجل الثاني. ورايلان يحصل على كل المجد، وكل الثروات من حِيلك. لا بد أن ذلك يؤلم».

استند شون إلى نافذة جانبية، مما جعل العربة بأكملها تتأرجح على أسلاكها. تغير لون مفاصل سام حتى أصبحت بيضاء بسبب الضغط على السياج: «وماذا في ذلك؟ من لم يفكر في التخلص من رئيسه؟ هذا لا يعتبر جريمة. وإلا لكانت نصف البلد في السجن. أنا الذي جعلت ذلك

الرجل ما هو عليه الآن، ولم أحصل على شيء في المقابل. يحق لي أن أطلق العنان لخيالي».

الجميع تبادل النظرات. كنا على وشك الوصول إلى الجانب الآخر. قال كريستوفر وهو ينفخ خصلة شعر عن وجهه: «لا يمكنك منعنا من الخروج». قوبل هذا الرأي بالموافقة الجماعية. «لست مرتاحًا جدًّا لكوني محبوسًا في صندوق عائم مع قاتل».

تفحصت بعيني العربة: «لا أستطيع منعكم، لا. لكن ألا تريدون معرفة من هو المذنب؟ ألا يريد المذنب أن يعرف مدى ما أعرفه عنه؟».

هدأت الاعتراضات لتتحول إلى تذمر.

- الأمر كله يبدو... - لوّح جوش بإصبعه في الهواء- ظرفيًّا. أليس كذلك؟

- نعم، كذلك. فلنلتزم بالحقائق. جوش، في أي سنة تخرجت من المؤسسة؟

اتهام المشتبه بهم في غرفة -سواء كانت، من تجربتي، مكتبة، أو بارًا في قطار، أو حتى عربة تلفريك على ارتفاع يقارب 300 متر فوق قمم الأشجار- يشبه مشاهدة مباراة تنس. تتجه رؤوس الناس يسارًا ويمينًا حسب التهمة الموجهة. الآن التفت الجميع نحو جوش فيلمان.

كان، بالطبع، الصحفي الذي أعطى ظهره للكاميرا في الصورة المعلقة في مكتب بيرس.

- أنت تهاجمني في الصحف في كل فرصة تسنح لك، ثم تتبعني إلى هنا وتسلمني ببساطة مستندات حاسمة وغير قانونية تتعلق بالقضية؟ تقارير طبية، وملفات الشرطة. لم أصدق قط أنك كنت ترغب فقط في القصة. بالإضافة إلى ذلك، دخلت الحفل

الذي نفدت مقاعده بالكامل. مما يعني أنك كنت تعرف شخصًا معرفة جيدة لتطلب منه خدمة. (توقفنا بشكل مفاجئ في محطة التوقف). أنت لا تهتم بقتل رايلان، لكنك كنت تريد مني حل قضية بيرس، كنت تشعر أنك مدين له بذلك، أليس كذلك؟

تمتم جوش بالعبارة المألوفة نفسها: «لقد أنقذ حياتي».

«الشيء نفسه تقريبًا بالنسبة للجميع هنا، لكن ذلك لم يمنع شخصًا ما من قتله». ضغطت على الزر وفتح الباب. «لكن لم تكن أنت. شاركت المعلومات معي، لأنك أردت القبض على القاتل. لذا اخرج».

لقد أصبحوا ستة. تركنا جوش، كانت قبضتاه مشدودتين وغاضبًا للغاية، كطفل قصير لا يستطيع ركوب لعبة الملاهي. رأيت بعض الأعين تنظر نظرة متلهفة نحو أبواب الخروج، لكن لم يرغب أحد في أن يصنف كجبان، فوقف الجميع ثابتين بينما كان التلفريك يعبر مرة أخرى فوق قمم الجرف.

قلت: «الآن نحن في خضم الأمور الجيدة، خمسة منكم لديهم دوافع لقتل بليز، كما قلت سابقًا. ما لم أقله هو: أنكم جميعًا خططتم لذلك معًا».

بدأت سام بالبكاء.

انفجرت تيريزا: «هذا جنون، حتى مع منطقك، ليس لدي أنا وأختي أي شيء ضد لايل. ولا شون أيضًا. زوجتك السابقة يداها ملطختان بالدماء، وأنت تقف هنا لتتهمنا».

وعدت: «سأتحدث عن بيرس في وقته، أنتم الخمسة جميعًا قررتم أن رايلان كان شخصًا سامًّا ويجب التخلص منه. حسنًا، أربعة منكم،

وواحد أراد إخفاء اختلاسه. ربما بدأت كدعابة سوداء، ربما فكرتم كيف تجبرونه على الاستقالة، وتطورت الأمور إلى هذا. ربما أحدكم طرح الأمر كمزحة قبل أن يخرج الأمر عن السيطرة. لا يهم. النقطة هي أنكم الخمسة اجتمعتم وابتكرتم خطة. وشون، أنت الذي رسمت كيف سيتم الأمر. لايل كان لديه تصميم خدعة الرصاصة في درج مكتبه، ممزقًا من دفتر ملاحظاتك».

بدأ شون بقول: «لم أفعل...»

- تمامًا كما كنت تفعل مع كل خدعة لم تستطع أن تجعلها قاتلة، شطبتها وانتقلت إلى طريقة أخرى. لقد فكرت جيدًا واستبعدت العديد من الخدع، ولهذا كانت توجد الكثير من علامات الشطب في دفتر ملاحظاتك. هذه الرسومات لم تكن مجرد أحلام يقظة. دفتر ملاحظاتك ليس مليئًا بالخدع، بل مليء بالأسلحة.

أدرت حقيبتي إلى الأمام، فتحت السحاب، وسحبت المسدس الذي سرقته من المسرح: «في النهاية كان هذا هو اختيارك. كنت حقًّا ستبدل الرصاصات». (وضعت المسدس على الأرض). كان بيرس يمتلك في درج مكتبه المخططات، وتلك المخططات لم تكن لخدعة بل لجريمة قتل. هذا يعني أنه كان يعرف عن خطتكم. هذا ما كان يقصده عندما قال إنه رأى البذرة الفاسدة. كل التهم. كل أصدقائه. هم قتلة. لذلك في النهاية وافق على البيع. واتصل بالشرطة ليبلغ عن جريمة قتل لم تحدث بعد».

- ولكن إليكم الجزء الذكي حقًّا. من بينكم أنتم الخمسة، كان عليكم اختيار قاتل. في حال حدوث تحقيقات، كان لا بد من أن تبدو جميعكم مقتنعين بأنها كانت حادثة. والطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك هي ألا يعرف أحد من ارتكب بالجريمة إلا الشخص الذي وقع

عليه الاختيار. تصويت سري. وكيف تفعلون ذلك؟ الأمر سهل. معظم المكاتب تسحب الأسماء من قبعة في هذا الوقت من العام. أنتم استخدمتم لعبة سانتا السري.

أكدت فليك وهي تنظف حلقها: «تمامًا، من المضحك أنني لا أتذكر كيف انتقلنا من جلسة مشروبات بعد العمل إلى جريمة قتل، بصراحة لا أستطيع أن أقول لك من أثار الموضوع، ولكن في لحظة كنا نضحك على إحدى خدعه التي قد تنفجر به على المسرح، وفي اللحظة التالية كنا نخطط للأمر. بمجرد أن اتفقنا على خدعة الرصاصة، سحبنا الأسماء من سانتا السري. من سحب اسم رايلان كان عليه قتله».

صرخت تيريزا: «اخرسي!».

كانت فليك تبتسم الآن: «لقد تمكنت منكِ يا تيريزا. لم أسحب اسم بليز، لذلك لا أهتم إن كان إرنست يعرف الخطة بأكملها. أنا في مأمن».

قلت: «إذا كنتِ تقصدين بـ «المأمن» الاحتيال المالي والتآمر لارتكاب جريمة قتل، فبالتأكيد، أنتِ في مأمن، لا يهم من ضغط على الزناد، إذا كنتم جميعًا قد خططتم للجريمة، فما تزال جريمة».

قال دينيش ببطء: «ولكن لم يضغط أحد على الزناد؟ الرصاصات ليست المهمة».

- أنت متقدم عني. لنعد إلى ميكانيكية عمل المخطط. إنه مخطط رائع. كل واحد منكم يعرف فقط ما يخصه. بالنسبة للجميع باستثناء القاتل، كل شخص آخر ما يزال مشتبهًا به. هذا يمنحكم جميعًا إمكانية الإنكار. مثل فيلم «غرباء في القطار» (strangers on a train)، مع تحريف: لا يمكنك إدانة أي شخص إذا كنت لا تعرف من هو. إنه المبدأ نفسه الذي كان يُطبق في عمليات الإعدام غير القانونية التي تنفذها فرق الإعدام، حيث يتم إطلاق النار من

خمسة بنادق تقريبًا، ولكن بندقية واحدة فقط محملة برصاصة حقيقية حتى لا يتحمل أي فرد من الفرقة عبء الشعور بالذنب لإطلاقه رصاصة قاتلة. بالطبع، القاتل يعرف. لكن البقية منكم يشك في الآخر بالقدر نفسه، مما يجعل القضية شبه مستحيلة الحل. أنتم قتلة شرودنغر: أبرياء ومذنبون في الوقت ذاته. (تبادل الجميع النظرات). إذا كنتم تتساءلون كيف اكتشفت هذا، فذلك لأن الشخص الذي سحب اسم رايلان لف صندوقًا فارغًا كهدية سانتا السرية. عدم شراء هدية له كان سيكشف الأمر، لذلك كان عليه وضع شيء تحت الشجرة، لكن لماذا تشتري هدية لشخص تعلم أنه سيكون ميتًا قبل أن يفتحها؟

لن أشعر بالتعب أبدًا من تلك اللحظة التي يدرك فيها المتهم أين أخطأ بالضبط. ما يحدث هو تقلص الشفاه، وشد في الرقبة. يأتي ذلك قبل جزء من الثانية من إدراك المجموعة الأكبر، لأنه بينما يُشرح الماضي للجميع، هذا الشخص يتذكره، استطعت رؤيته على وجهها. نعم: لقد كتبت لها.

تابعت: «تم تبديل الرصاصات، واحد فقط منكم، القاتل المحتمل، كان يعلم من سحب اسم رايلان من القبعة، لكن الباقين توقعوا أن ذلك الشخص قد تصرف بالنيابة عنهم. أظهرت تصرفاتكم في تلك الليلة أنكم كنتم تعرفون الكثير. سام حاولت أن تجعلني أتدخل. في لحظة حدوث الأزمة على المسرح، لم يسمح شون لأي شخص بلمس المسدس لأنه توقع أن يكون محملًا برصاصة حية. تيريزا، لم تسمحي لسام بالوقوف أمام المسدس لنفس السبب. ودينيش، أنت أخبرتني بنفسك على قمة الجرف. **كيف عرفت عن الرصاصات**؟ لقد قال: «عرفت».

رغم أن المسدس لم يُطلق النار، وفي تلك اللحظة، بالنسبة للمشاهد، كانت استنتاجاتي ستبدو خاطئة تمامًا.

أشرت إلى المسدس: «لم يُلمس هذا المسدس منذ العرض. إذا كنت محقًّا، فهذا يعني أن هناك رصاصة حقيقية ما تزال بداخله. إذا أراد أي شخص أن يطلق النار عليّ فليفعل. لكن سيكون ذلك بمنزلة اعتراف».

قالت تيريزا: «أراهن أنه فارغ، هذه مجرد خدعة».

قال شون: «إنه مسدس دعائي، ليس حقيقيًّا، لكنه ما يزال يطلق النار، ولا يفتح إلا بعد إطلاق النار أو إذا كان لديك مفتاح للوصول إلى حجرة الرصاصات، وهو ما لا يملكه إرنست. قد تكون الرصاصة الخاصة بالعرض ما تزال بداخله».

استمرت لعبة التنس بين المشتبه بهم. الأفضلية للمحقق. الجميع كان ينظر إلى المسدس وإلى بعضهم بعضًا.

«أعتقد أنني أعرف من سحب اسم رايلان في لعبة سانتا السرية»، قلت بينما كنا نقترب من الرصيف مرة أخرى. فتحت الباب وقلت: «فليك، دينيش، شون: اخرجوا».

مع بقاء ثلاثة مشتبهين فقط، اتجهنا عبر الفراغ للمرة الثالثة. كانت الشمس أكثر بزوغًا الآن، وكان الجو في داخل جدران عربة التلفريك الزجاجية حارًّا بشكل حارق.

اشتكى كريستوفر: «أنا لا أشارك حتى في لعبة سانتا السرية».

«سام». تجاهلته، والتفتُّ نحوها. كانت تحدق إلى خارج النافذة، مُصرة على عدم الاعتراف بوجودي: «أعتقد أنكِ من سحبتِ القشة القصيرة، إن صح التعبير».

تقدمت تيريزا نحوي: «إياك أن تجرؤ على اتهام...»، ألقت نظرة على المسدس. توقف قلبي في صدري بينما انتظرت لأرى إن كانت ستلتقطه.

فجأة، اندفعت سام عبر المقصورة، لتضع نفسها بين أختها وبيني. اهتزت العربة بأكملها مع الحركة، وتمايلت قمم الأشجار في الأسفل بسرعة مشوشة: «استسلمي، تي!». تبادلت سام النظرات معي: «نعم، حسنًا! أعترف. كان عليّ قتل بليز، من المفترض أن تكون الرصاصات على الطاولة بترتيب معين. لقد بدلتها خلف الكواليس». انهار صدرها مع ارتياح الاعتراف. بدأت تلك اللمحة من الإدراك المشدود في عنقها -التي فضحتها عندما رويت كيفية تغليفها للصندوق الفارغ- في الارتخاء.

بالطبع، كنت قد رأيت هذا في الممر قبل العرض. سام وهي تتوسل إلى أختها لتبديل الهدايا السرية: «**هذا ليس عادلًا. أرجوكِ، بدلي**». والآن فهمت بشكل خاص سبب رد تيريزا الحاد: «لا تخبريني من الذي حصلت عليه، يا سام! يا إلهي! هذه هي الفكرة من الأمر كله». سام لم ترد القيام بذلك لكنها فعلت. ثم ندمت على ذلك، وحاولت أن تجعلني أوقفه. **ليس بيرس**.

أوضحت سام بعد أن أصبح لسانها أكثر ارتخاءً الآن: «بالرغم مما قالته، كانت فليك هي من بدأت الفكرة فعليًّا، كان الأمر كما قلت. تبادل الأمنيات السوداوية السخيفة حول الحوادث. كلها عبارة عن **ماذا لو** وضحكات. ثم يقول شخص ما لكن **بجدية**، و... حسنًا، تعرف الباقي. شون هو من جاء بفكرة جعلها تبدو وكأنها خدعة خاطئة، كان لديه الكثير من الأفكار في دفتر ملاحظاته. ودينيش هو من أتى بفكرة الهدايا السرية. كان لكل شخص دور، لكنني لا أضع الأمر على غيري. لقد اتفقنا جميعًا. نظرت إلى جانب الجرف، حيث كانت فليك ودينيش

وشون يراقبون، ثم التفتت إلى تيريزا التي كانت تهز رأسها: «أنا آسفة يا أختي، لكنه يعرف بالفعل».

قالت تيريزا من بين أسنانها: «أنتِ لا تعرفين حتى ما تعترفين به».

التفتت سام إليَّ مرة أخرى: «أن أحصل على رايلان، يا له من حظ سيئ، أليس كذلك؟ لكن لم أستطع خذلان الجميع. كان عليَّ أن أؤدي دوري. لقد عبثت فقط بالرصاص، لم أقترب من المقصلة. أقسم بذلك».

كنا نقترب من الجرف المجاور. نحو خمسين مترًا للوصول. بمجرد أن اكتشفت أن سام قد بدَّلت الرصاصات، عرفت أنها لم تكن القاتلة، على الرغم من أنها كانت تنوي أن تكون كذلك.

قلت: «أعلم أنكِ لم تفعلي ذلك، لكن حصولك على سانتا السري تسبب لك في الكثير من العذاب. كانت مسؤولية القتل أكبر مما تتحملين. لم تقولي ذلك مباشرة لأختكِ، لكنكِ توسلتِ إليها لتبديل الأسماء. وكان ذلك كافيًا لتدرك أنكِ حصلتِ على القشة القصيرة. وأنتِ تعرفين أنها ستفعل أي شيء لحمايتك».

«لا». الآن جاء دور سام لحماية أختها. كان صوتها باردًا وقاسيًا وواثقًا كما لم أسمعه من قبل. اهتزت السيارة عند وصولها إلى الرصيف لآخر عملية نزول. تمايلنا جميعًا. انزلق المسدس بضع سنتيمترات باتجاه تيريزا: «ما الذي تقصد؟».

قلت: «بعدما بدلتِ، أدركتِ ما فعلتِ، حاولتِ أن تخبريني لكي أوقف العرض. وعندما فشل ذلك، وقفتِ بنفسكِ أمام الرصاصة. هذه ليست أفعال شخص يخطط لتنفيذ جريمة قتل، لكن تلك كانت محاولات أخيرة. لقد حاولتِ الانسحاب من الأمر كله بالفعل. قبل أربعة أيام، أخبرتِ شخصًا تثقين به». عادت همستها في غرفة تيريزا إلى ذهني: **لقد أخبرت شخصًا بالفعل... وانظر ماذا حدث.** «لهذا كان لدى لايل الرسم».

اتسعت عينا تيريزا: «هل أخبرتِ **لايل**؟».

مسحت سام مخاط أنفها: «كان عليَّ ذلك، لم نكن في وعينا. كنت أحاول مساعدتنا جميعًا حتى لا نرتكب خطأً فادحًا. وانظري ماذا حدث للايل! أحدهم قتله كتحذير لي بأني لا أستطيع الانسحاب أو التحدث. لهذا السبب مضيت في الأمر». أصبح خوفها في المسرح منطقيًّا الآن. ودينيش هرب أيضًا. عندما سألته ممن كان خائفًا، قال: لا أعرف. ولكن هذا هو المغزى. لقد خرجت الخطة عن السيطرة، جثث إضافية وخطط مدمرة، ولم يكن أحد يعرف مَن القاتل. كانت سام تعتقد أن شخصًا ما كان يعيقها، ويهددها بالموت لتنفيذ الخطة. وربما كانوا جميعًا يعتقدون ذلك.

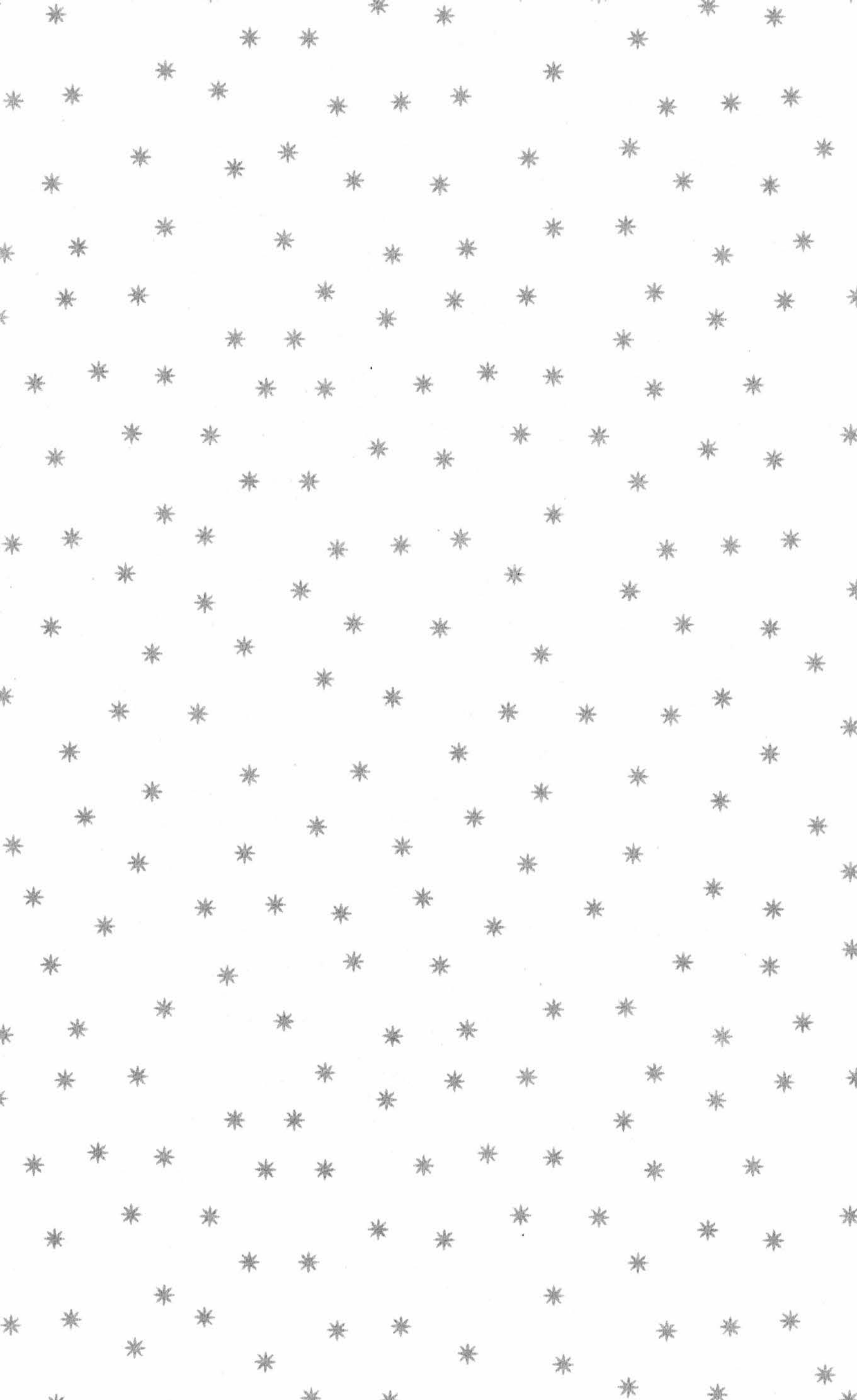
قلت عندما وصلنا إلى الرصيف: «لم يُقتل بيرس لتهديدك، لقد قُتل لإنقاذك».

عند هذه الكلمات، فرك كريستوفر كلا صدغيه، وهمس قائلًا: «لا أصدق». ثم التقط المسدس ووجهه مباشرة إلى صدري.

قلت دون أن أزيح نظري عن فوهة المسدس: «سام، تيريزا، حان الوقت لتغادرا».

تحركتا ببطء وطاعة، مصدومتين. ثم أغلقت الباب، وأبحرت أنا والقاتل فوق الوادي للمرة الأخيرة.





الفصل الخامس والعشرون

ارتجف المسدس في يد كريستوفر. رغم ارتكابه جريمتَي قتل، فإنه لم يكتسب المهارة بعد.

صرخ بصوت عالٍ: «لماذا تجبرني على فعل هذا؟». ترددت صرخته على الجدران الزجاجية.

- ليس لدي دليل قاطع، فقط استنتاجات. ولكن هناك امرأة بريئة قابعة في السجن بسبب جرائمك، وإذا كان تلقي رصاصة هو الثمن لإخراجها، فأنا مستعد لذلك.

تفوه كريستوفر بازدراء: «تخمينات؟ فعلت كل هذا بناءً على التخمينات؟».

صححت: «استنتاجات، لكنني كنت واثقًا. فبعد كل شيء، لقد كتب لايل بيرس أنك القاتل على أرضية مطبخه».

- هذا ليس دليلًا. لقد كتب كلمة **الكريسماس**.

شرحت: «كان لايل مصابًا بعسر القراءة، كان هذا آخر شيء سألته لإيرين في مركز الشرطة. كانت إجابتها: **كانت لديه طرقه الخاصة. كان يزداد سوءًا عندما يتوتر**. طُرد من المدرسة بسبب ما يُعتبر الآن

إعاقة تعليمية تحتاج إلى دعم إضافي. ليست لديه أي شهادات أو درجات علمية على جدرانه، لأنه بعد أن ترك المدرسة لم يتلقَ الرعاية المناسبة من أنظمة التعليم التقليدية. كان يستمع إلى الكتب الصوتية، وقد أعد مكتبه لتلبية احتياجات عقله. يتضمن ذلك برنامج الإملاء واستخدام «كوميك سانس» (Comic Sans) كخط افتراضي. تعتبر الخطوط من دون زوائد أسهل في القراءة للأشخاص المصابين بعسر القراءة، وبالرغم من أن كوميك سانس، موضوع سخرية في عالم الطباعة، فإنه في الواقع واحد من أفضل الخيارات. بيرس لم ينسَ تناول شوكولاتة التقويم في اليوم الثاني عشر، ولم يكن في المكتب في الساعات المبكرة من اليوم الحادي والعشرين. طرد دينيش في اليوم الثاني عشر تسبب له في توتر، وقد أخطأ في قراءة الأرقام. الأرقام 12 و21 هما الرقمان الوحيدان على تقويم العد التنازلي اللذين يمكن عكسهما».

قال كريستوفر بازدراء: «ما علاقة هذا بي؟».

وهنا تأتي الحقيقة: المعنى الحقيقي لكلمة **الكريسماس**. لقد أخبرتك أن هذا جزء مهم من أي مناسبة خاصة بالعطلات.

- رأيت قائمة تسوق على ثلاجة لايل تحتوي على الخبز زائد الحليب. لكل شخص أسلوبه الخاص في الكتابة، وكانت علامة الزائد واحدة من علامات بيرس المميزة: كان يفضلها على علامة العطف الواو. منذ البداية، اعتقدت أن حرف (t) في رسالته الدموية الأخيرة كان قصيرًا ومتعرجًا. وذلك لأنه لم يكن حرف (t) على الإطلاق. إنه رمز الجمع (+). كان يكتب كريس زائد سام. ولكن عسر القراءة لديه كان يزداد سوءًا عندما يتوتر، وأعتقد أن الموت أمر موتر للغاية: فانقلبت «سام» إلى «ماس». وضع اسمها لأنها اعترفت له. اتصل بالشرطة، ثم اتصل بك لطلب النصيحة، فجئت إلى

المكان. عندما طعنته، لا بد أنه ظن أنكما متورطان معًا، وأنك كنت تحميها. في كلتا الحالتين كتب: «كريس + سام».

«أنت لا تملك أي شيء». نظر كريستوفر إلى المسدس في يده: «وحمل هذا لا يثبت شيئًا». توترت، كنت مستعدًّا للتحرك. لم يكن المسدس موجهًا نحوي بعد الآن، لكن إذا أطلق النار، قد ترتد الرصاصة وتصيبني. أو، الأسوأ من ذلك، تصيب الأرضية الزجاجية.

قلت: «حسنًا، ليس لا شيء تمامًا. لم أخبرك قط عن الكلمة الدموية على الأرض. لا بد أنك رأيتها بنفسك». كنا فقط في ثلث الطريق عبر الوادي: «لايل وثق بك. سمح لك بالدخول إلى منزله. ذهبت إلى هناك لمناقشة كيفية إنقاذ الخريجين من الخطأ الذي كانوا على وشك ارتكابه، لكنك اكتشفت أن الأمر لم يكن مناقشة على الإطلاق. لقد اتصل لايل بالفعل بالشرطة. أراد تسليم الجميع وكشف الخطة بأكملها. وليس ذلك فقط، بل إنه أراد التخلي عن المؤسسة بأكملها، لأنه اكتشف **البذرة الفاسدة**. فهو لا يعتقد أن الناس قابلون للإصلاح بعد الآن. كيف شعرت حينها؟». تخيلت كريستوفر، الذي عمل بجد للخروج من الجحيم، وهو يستمع إلى صديقه المقرب السابق يخبره أن الناس لا يمكن تغييرهم أبدًا. «هل كان ذلك عندما أمسكت بالسكين؟».

كان كريستوفر صامتًا.

- بعد ذلك، أدركت ما فعلته، وكنت بحاجة إلى معرفة كيفية تحويل الانتباه إلى إيرين، النائمة في الطابق العلوي. هذه هي اللحظة التي يصبح فيها الأمر مثيرًا حقًّا. لقد وجدت قطعة صغيرة ورقيقة من الزجاج في ذلك المطبخ. لقد تركت الجثة ممددة لأنك أردت مسرح جريمة كإدانة، وتركت كلمة **الكريسماس** معتقدًا أنها بلا معنى، ومع ذلك بذلت جهدًا لتنظيف الزجاج المحطم.

لماذا؟ إلا إذا كنت تعتقد أن تلك الشظايا الزجاجية هي الشيء الذي سيوقعك.

قال كريستوفر: «هذا **هراء**». لكن المسدس توقف عن الاهتزاز وعاد ليشير إلى صدري.

- الزجاج كان من مصباح كهربائي. ذلك الذي أزلته من حمام بيرس الخاص. هكذا لفقت التهمة لإيرين. لقد أخبرتني إيرين عدة مرات عن مدى الصدمة التي تعرضت لها بسبب القاتل المتسلسل الذي استهدف عائلتنا. قالت لي إنها ما تزال تفكر في الجثث، وأنها تغسل يديها باستمرار. لقد أصبحت مهووسة تمامًا بالنظافة. لقد عطست أمامها فقط لاختبار ذلك، ولم تستطع الصمود سوى خمس ثوانٍ قبل أن تضطر لمسح الطاولة. وهذا ما يجعل الأمر أكثر غرابة؛ أنها لا تملك أي **صابون** في حمامها. خصوصًا عندما يكون تصريحها الوحيد، الذي يجعلها تبدو مذنبة، متسقًا مع حقيقة واحدة: أنها ذهبت إلى الحمام، **ثم غسلت يديها**.

بدأ كريستوفر يزدرد بصعوبة.

«دم لايل نظيف. لا يوجد مهدئ، وبالتأكيد لا توجد أي مخدرات. إذًا، لماذا يوجد أثر إبرة في ذراعه؟ بعد وفاته، تسللت إلى الطابق العلوي، وأخذت المصباح الكهربائي وزجاجة الصابون من الحمام الخاص. لم تسمعك **إيرين** لأنها تستمع إلى ضجيج المرور الأبيض في أثناء نومها. لكنها كانت ستستيقظ إذا لمستها، لذا كنت بحاجة إلى طريقة تجعلها تضع الدم على نفسها. لحسن حظك، قضيت العديد من الليالي بجوار مواسير غرفة الضيوف، فتعرفت على مدى تكرار استخدامها للحمام في وقت متأخر من الليل. في الطابق السفلي، فرغت زجاجة الصابون، ثم استخدمت حقنة لملئها بدم **بيرس**. في مكان ما على طول الطريق،

أسقطت المصباح الكهربائي، وكان عليك تنظيفه بالطبع. لأن كأس نبيذ مكسور عادي سيتناسب مع مسرح الجريمة، لكن مصباحًا كهربائيًّا سيجعل الناس ينظرون إلى المقبس الفارغ في الطابق العلوي. وكل ما تبقى هو إعادة زجاجة الصابون التي تعمل بالضخ إلى الحمام. تستيقظ إيرين في منتصف الليل، تحاول تشغيل الضوء لكنه لا يعمل، فتستخدم الحمام في الظلام، لذلك لن تلاحظ أنه ليس صابونًا. لقد استوحيت الفكرة من المرة التي قمت أنت وبعض الخريجين الآخرين فيها بصبغ شعر **فليك** باللون الأزرق عن طريق استبدال الشامبو الخاص بها. إنها الخدعة نفسها. ومن دون علم إيرين، تغسل يديها بدم حبيبها الميت. إنها فكرة مقززة بقدر ما هي عبقرية. تنفست. كنا الآن في منتصف الطريق فوق الوادي. ومع ذلك، كان كل ما أقوله مجرد نظريات. نظريات صحيحة، أؤكد لك، لكن قانونيًّا، ولكي أبرئ إيرين، كنت بحاجة إلى اعترافه. أو أن يطلق النار عليّ. كان لدي تفضيل واضح. «لا يمكنك ببساطة غسل الحمض النووي، ربما توقعت أن يغسل الماء معظم الدم، وأن تظهر آثاره فقط بشكل جنائي عندما تتحقق الشرطة من يديها. لكن الصابون يتبخر أسرع من الدم، ويغسل بسهولة أكبر، لذا من المحتمل أن إيرين اعتقدت أنها نظفت يديها، بينما كانت في الحقيقة تنشر الدم أكثر. والمفاجأة؟ كانت الليلة حارة وقتها. إيرين رشت وجهها وذراعيها، دون أن تدري أنها تغطي نفسها بالدم أكثر، ثم تركت الماء يجف في الهواء لتشعر بالبرودة. نفضت يديها لتجفيفهما، وهذا هو سبب وجود بقع على بلاط الحمام. لم تلمس مفتاح الضوء في طريق خروجها: لماذا لم تفعل ذلك؟ لأنه لا يوجد دم على المفتاح، مما جعلني في البداية أظن أنها تلطخت بالدم لاحقًا، لكنها لمسته مرة واحدة فقط في طريق دخولها. دخلت الحمام دون أي دماء، وخرجت مغطاة بالدم. لكنها لم تكن تعلم ذلك».

أقسم أن التلفريك كان أبطأ. بدا الجرف المقابل بعيدًا إلى ما لا نهاية.

- كان عليك فقط الانتظار حتى تعود إلى النوم، ثم تتسلل وتأخذ زجاجة الصابون. أنا متأكد أن سوليفان سيجدها في مكان ما بين الشجيرات، على بعد مسافة مماثلة للمسافة التي قذفتها بها. ثم وجهت انتباهك إلى رايلان. لقد كنت تؤمن بالمؤسسة، وقلت إنها أنقذت حياتك، وأنت تؤمن بالفرص الثانية. لم يكن بإمكانك أن تشاهد خمسة أشخاص، أربعة منهم تحت رعايتك المباشرة، يمضون قدمًا في مؤامرة لارتكاب جريمة قتل. لقد قررت أن تمنحهم فرصة ثانية. إذا قتلت رايلان أولًا، فستجعلهم جميعًا أبرياء. وربما خلال الطريق قد تكون عرفت عن رايلان بما فيه الكفاية عن رايلان لدرجة أن الأمر لم يزعجك بقدر ما كنت تظن. نحن نعلم بالطبع كيف فعلت ذلك. لقد وضع شون معظم الخطة لك، أنت فقط أضفت اللمسات الأخيرة. الجزء الذي لم يتمكن من اكتشافه: استخدام شفرة حقيقية سيجعل من المستحيل أن يبدو الأمر كحادث، ولهذا قرر استخدام الرصاص عوضًا عن ذلك. تيريزا أخبرتني أنها لجأت إلى السرقة واقتحام المنازل، وكانت لديها معرفة مباشرة عن الزجاج. لكن هذا ينطبق على أي شخص قد كسر نافذة، فهذا ليس دليلًا. ثم تذكرت تمثال جائزة الأوسكار في مكتب لايل، تلك التي قدمتها له كنوع من الشكر. إنها مصنوعة بشكل احترافي. ظننت أن فليك كانت تشير إلى الرسالة المنقوشة عليها -**كان يستحق**- عندما اقترحت أنه تذكير جيد لك أيضًا، لكنها كانت تتحدث عن التمثال نفسه. كانت تقصد أنه تذكير بموهبتك. أنت من صنعت التمثال. هذا يعني أن تواضعك لم يكن سبب الابتعاد عن مجاملات فليك حول منحتك الدراسية

في الفنون، بل لأنك لم ترد أن أعرف أن تخصصك الفني كان الزجاج. أعترف ببعض التحيز هنا: ظننت أن الحروق الحرارية على أصابعك كانت نتيجة تعاطي المخدرات، لكنها في الحقيقة بسبب العمل في الزجاج المصهور، أليس كذلك؟ كانت لديك كل المهارات لصناعة وتنفيذ شفرة المقصلة. وكل ما كنت تحتاجه كان في ورشة العمل.

أعطاني كريستوفر ابتسامة حزينة: «لقد فهمت كل شيء بشكل صحيح، باستثناء شيء واحد. لم أقتل لايل بسبب أي من ذلك. ربما كنت سأفعل في النهاية، لكنني قتلته لأنه...». هز رأسه قليلًا: «لأنه ارتجف».

- **ارتجف**؟

- في مطبخه، مددت يدي نحو هاتفي، فارتجف. كما لو أنني كنت أحاول ضربه أو سرقة شيء ما. لقد رأيت ذلك، لا يهم ما الذي قدمته للمؤسسة، فإنه كان دائمًا يرى النسخة القديمة مني. الفتى المرتعش المدمن. لم يكن يؤمن أنه **أنا**. (ارتعشت شفته) لا أعرف ما إذا كنت أنوي قتله أم لا، لكن السكين كان في يدي، وكان هو على الأرض، وكانت هناك دماء، وكان على وشك أن يصرخ و... حدث كل شيء بسرعة كبيرة. بصراحة، لا أتذكر كيف حدث ذلك. ظننت أنه مات على الفور. كنت على وشك الهرب، لكنني أحتفظ بحقيبة إسعافات أولية في سيارتي، وفكرت في استخدامها. عندما عدت، كان قد كتب تلك الرسالة بدمه. أما رايلان فكان... (تغير صوته إلى نبرة أكثر قتامة). **أضعف**.

قلت: «نصف ذلك كذب، هذه خطة منظمة ومنهجية. لقد ذهبت هناك وأنت تعلم أنك قد تقتله، لكن يمكنك إقناع نفسك أنك تصرفت

بدافع مفاجئ، إذا كان ذلك سيجعلك تشعر بتحسن. ألم يعودوا يُعلمون الاضطرابات الانفصالية في علم النفس بعد الآن؟».

ارتجف كريستوفر: «على الرغم من مظاهر ذكائك، كانت فكرة غبية أن تضع كلينا معًا». لوَّح بالمسدس نحو الجدران الزجاجية. «ما قلته للتو لن يغادر هذا المكان. لقد أحضرت المسدس في النهاية. نعم، ألا ترى؟ لقد هددتني. كنت يائسًا لتلفيق قصة جنونية تلصقها بي لتبرئة اسم زوجتك السابقة». تغير صوته ليصبح متهكمًا، وكأنه اكتشف شيئًا: «كنت محظوظًا بالحصول على المسدس منك. فعلت ما كان يجب أن أفعله لحماية نفسي، هل تفهمني؟».

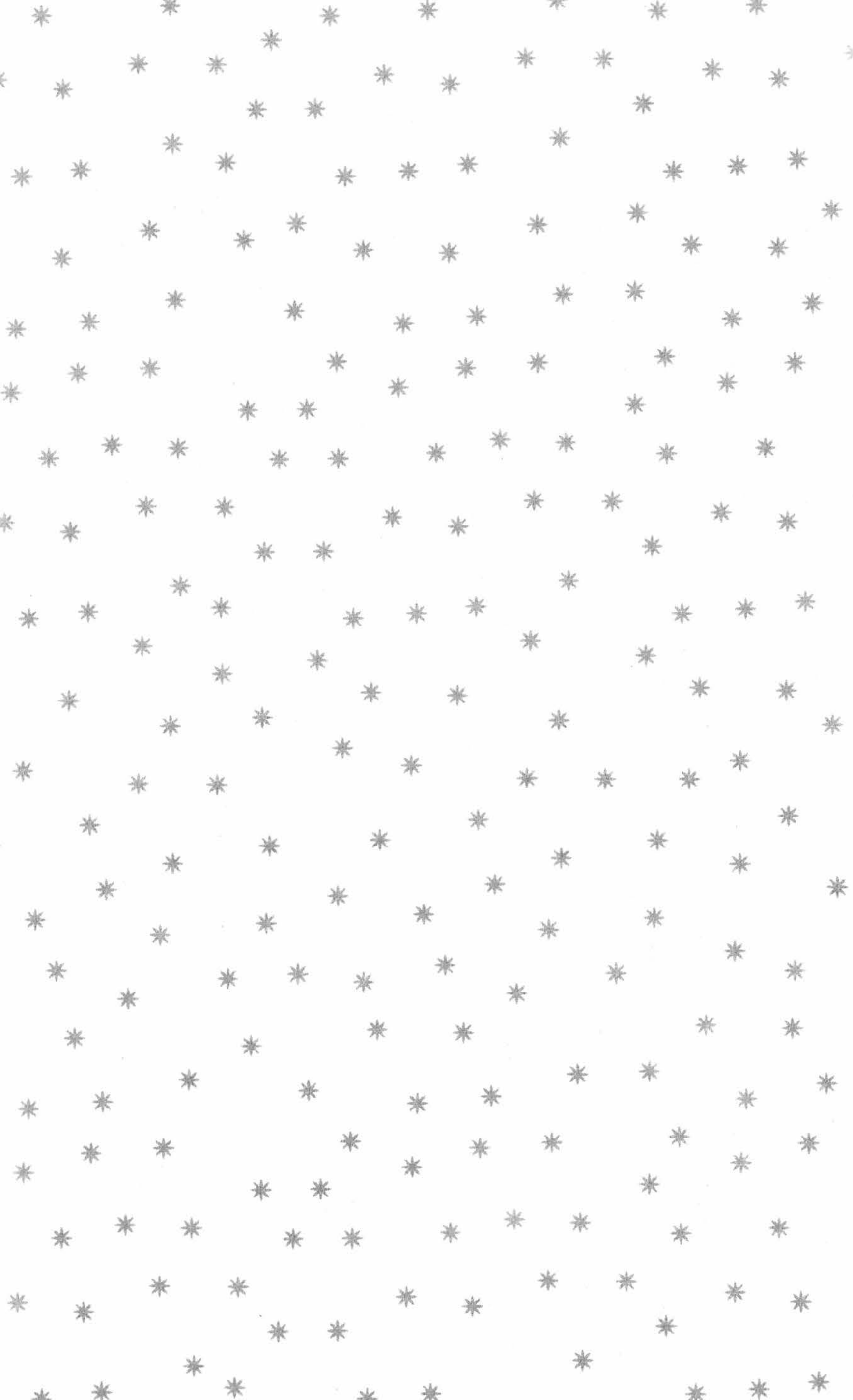
- لن يصدق أحد...

لوح بيده: «سيصدقون. كما تعلم، حتى الآن، لم أعتبر نفسي قاتلًا». مال بالمسدس نحوي: «لكنني أعتقد أنني بدأت أعتاد على الأمر».

قلت موجهًا كلامي إلى حقيبتي: «هل سجلتِ ذلك؟». سحبت جهازًا من أحد الجيوب الجانبية، بدا وكأنه لوحة دائرة متقاطعة مع صرصور ليل. كان جهاز تنصت ومحدد مواقع، الجهاز نفسه الذي زرعه جوش في سيارتي. هكذا تمكن من الظهور في كل مكان كنت فيه -من محكمة المرور إلى كاتومبا- وكان هذا أيضًا السبب في أنه - بعد أن صرخت بغضب عاجز تجاه مقود السيارة- أمسك بأذنه وارتجف. في ذلك الوقت، ظننت أنه مصاب بارتجاج، لكن في الواقع كنت قد فجرت مستويات الصوت في سماعة رأسه.

بالطبع، لم أخبر جوش أنني عثرت على جهاز التنصت، لكنه سيفهم ذلك الآن. هذه هي قصته الحصرية.

قلت: «الجميع يستمع». من خلال النافذة، رأيت الرصيف يقترب. كنا سنصل خلال ثلاثين ثانية. والأفضل من ذلك، كان لدي الاعتراف، لذا لم يكن على كريستوفر أن يطلق النار عليَّ لتبرئة إيرين لكنه فعلها على أية حال. أصابني مباشرة في الصدر.



الفصل السادس والعشرون

على الرغم من تعرضي لإطلاق النار، فأنا لا أسرد هذه القصة كأحد أشباح عيد الميلاد الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

لقد فعلت الرصاصة الشمعية داخل المسدس ما كنت آمل أن تفعله: تلاشت في الهواء. لقد أخبرتك أن حياتي تعتمد على حقيقة أن تيريزا ستفعل أي شيء لحماية أختها. وكنت محقًّا. قد تكون سام بدلت الرصاصات خلف الكواليس، لكن في أثناء العرض، أعادت تيريزا تبديلها.

ليس من المفترض أن يتبادل التوأم الأدوار في لغز ما، إلا إذا قدمت تحذيرًا عادلًا. وقد أخبرتك أنهما ستتبادلان بينهما، بطريقة ما.

أنا لست غبيًّا، ولم أكن لأراهن بحياتي على استنتاجاتي وحدها.

في حين أنني لم أتمكن من فتح المسدس للتأكد من نوع الذخيرة بداخله، فقد عثرت على الرصاصة الحقيقية -الرصاصة التي لم يحفر عليها الحرف «W» على قاعدتها، والتي مررها رايلان إلى شون في أثناء العرض- في الورشة. معرفة ما هو خارج المسدس أخبرني ما بداخله.

رفعت الرصاصة الحقيقية لأتباهى بذكائي، كما يحق للمحقق أن يفعل في نهاية القصة، لكن لم يخرج أي صوت.

حاولت مجددًا. لا شماتة، فقط صوت غرغرة.

شعوري بالرضا سرعان ما تبدل بألم في صدري. نظرت إلى أسفل ورأيت الدم يغمر قميصي. تذكرت تيريزا وهي تسحب سام بعيدًا عن المسدس، حتى عندما كانت تعرف أن الرصاصة شمعية. تذكرت الخط المنقط في المخطط: الحد الأدنى للمسافة الآمنة قبل أن يذوب الشمع. قبل تلك المسافة، كانت الرصاصة أشبه بالحقيقية.

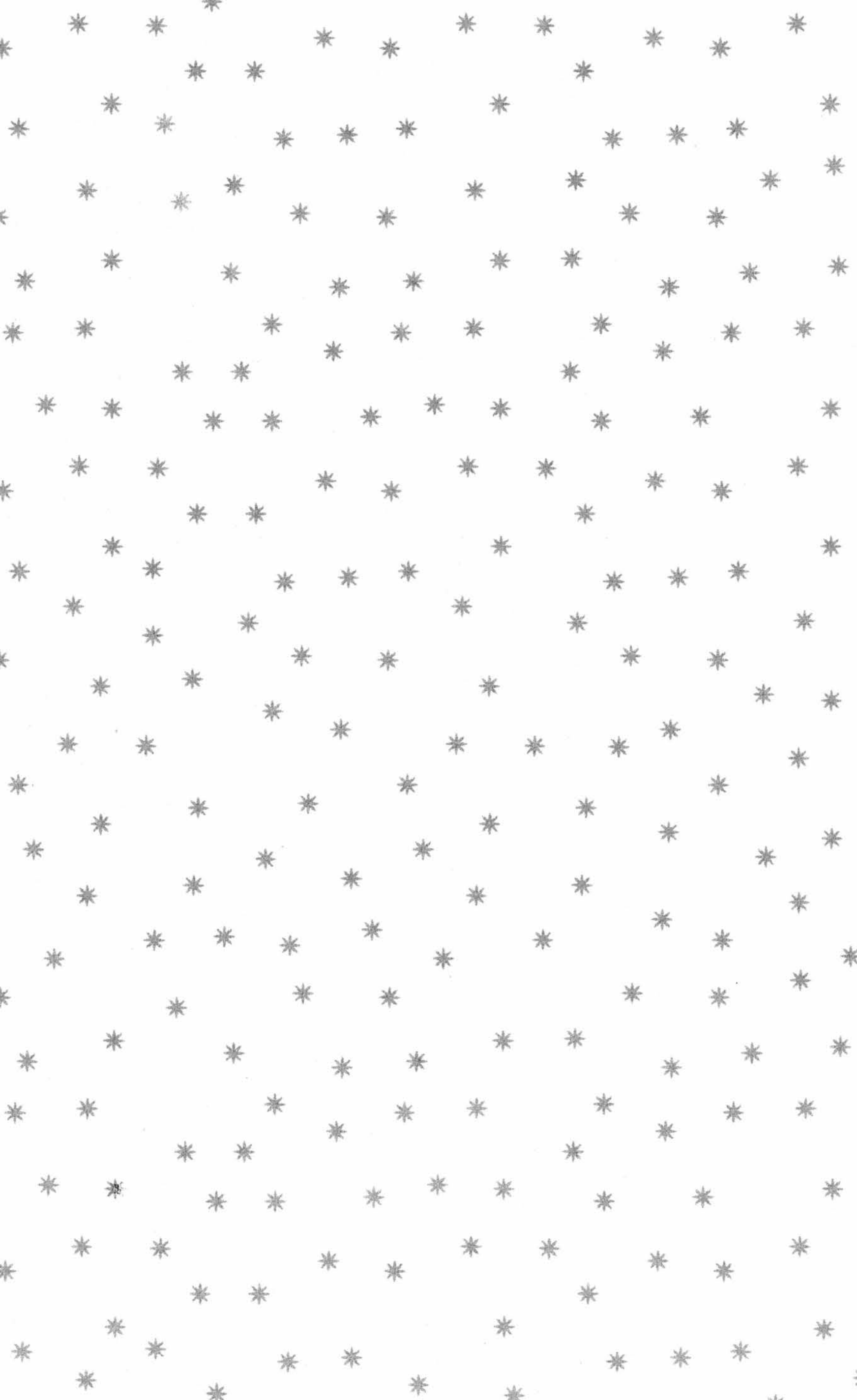
ترنحت وشعرت بالرصاصة الثانية تنزلق بين أصابعي، لكن عضلاتي رفضت أن تغلق تلك اليد. سقطت، وارتطمت بالأرض الزجاجية. سقط كريستوفر على ركبتيه ليلتقطها. نظرت من النافذة، سمعت صوت نقرة المسدس: فُتح بعد إطلاق النار، وأعيد تحميله. كان الجرف يقترب، لكنه أصبح ضبابيًّا في رؤيتي الآن.

نهض كريستوفر. لاحظ الدماء على قميصي بابتسامة خافتة، ثم رفع المسدس. حاولت البقاء واقفًا، لم أرغب في الموت وأنا على ركبتي، لكن ساقيَّ كانتا ترتعشان. مددت ذراعي التي ما زالت تعمل أمامي كدرع ضعيف. ثم نظر كريستوفر إلى الرصيف: فليك، شون، ودينيش يراقبون ما يحدث. كان أشخاص آخرون يصلون بزي رسمي. قبضة كريستوفر أصبحت بيضاء على الزناد. لكن بعد ذلك، ببطء، خفض المسدس ورأسه في الوقت نفسه. لو كنت أستطيع التنفس على أي حال -كل نفس كنت أتمكن من أخذه كان رطبًا وغريبًا، أستطيع أن أتذوق الدم- لكان تنفسي الصعداء قصير الأجل. أطلق كريستوفر النار على أي حال. مباشرة إلى الأسفل، نحو الأرضية الزجاجية.

ارتدت الرصاصة مع صوت رنين خفيف، تاركة شظية في الزجاج. كان الرصيف على بعد خمسة وعشرين مترًا فقط، لكنه بدا وكأنه ملعب كرة قدم. الانخفاض الحاد للجرف يعني أننا كنا لا نزال على ارتفاع مئات الأمتار في الهواء. مع صوت يشبه تمزيق شريط لاصق، انطلق صدع من الشظية، متسابقًا نحو الزوايا مثل صاعقة متعرجة، ثم ظهر صدع آخر. ثم في كل مكان دفعة واحدة، حتى أصبحت الأرضية بأكملها تشبه الشبكة العنكبوتية من التشققات.

قال كريستوفر بنبرة متعجرفة: «عيد ميلاد سعيد، على ما أعتقد».

ثم انهارت الأرضية الزجاجية تحتنا.



الخاتمة

المحقق المتهور يلقي بالقاتل من عربة التلفريك.

قرأت جولييت بصوت عالٍ العنوان الرئيسي ليوم عيد الميلاد من الحاسوب الخاص بي وربتت على كتفي.

كانت الصورة الرئيسية مذهلة: كريستوفر كان في الهواء تحت عربة التلفريك التي فقدت قاعها، بينما كنت أتدلى بذراعي السليمة من الدرابزين داخل المقصورة. عندما وصلت عربة التلفريك إلى الرصيف أخيرًا، كنت أتشبث بأطراف أصابعي فقط.

أما بالنسبة لإصابتي بالرصاص، اتضح أنني كنت بعيدًا بما يكفي لأصاب بثلث الرصاصة الشمعية فقط، لقد كانت مكافأتي رئة مثقوبة.

تابعت جولييت: «تعتقد أنه سيكتب شيئًا لطيفًا عنك؟». واصلت تصفح المقال. كان دينيش، سام، تيريزا، وشون يساعدون في التحقيقات. نظرًا لأن الرصاصات لم تؤذِ أحدًا، كان من الصعب اتهامهم بالتآمر.

أُعتقلت فليك، باعتبارها الوحيدة التي ارتكبت جريمة تم إثباتها. بطريقة غريبة، نجح كريستوفر بشكل غريب في منح الجميع فرصة ثانية. «بالنظر إلى كل ما حدث».

«لا أصدق أنك ظننت أن إيرين كانت منومة مغناطيسيًّا». كانت جولييت تجلس على كرسي بذراعين، وتقرأ كل فصل بينما أكتبه، لذا وصلت إلى الخاتمة. «كان سيكون مخرجًا سهلًا».

دفعتها ممازحًا: «معذرةً! أعتقد أنني قمت بعمل جيد في الواقع، خاصة أنني كنت مضطرًّا إلى الالتزام بقواعد الألغاز والعروض الخاصة بالأعياد».

- وما بالضبط قواعد العروض الخاصة بالأعياد؟

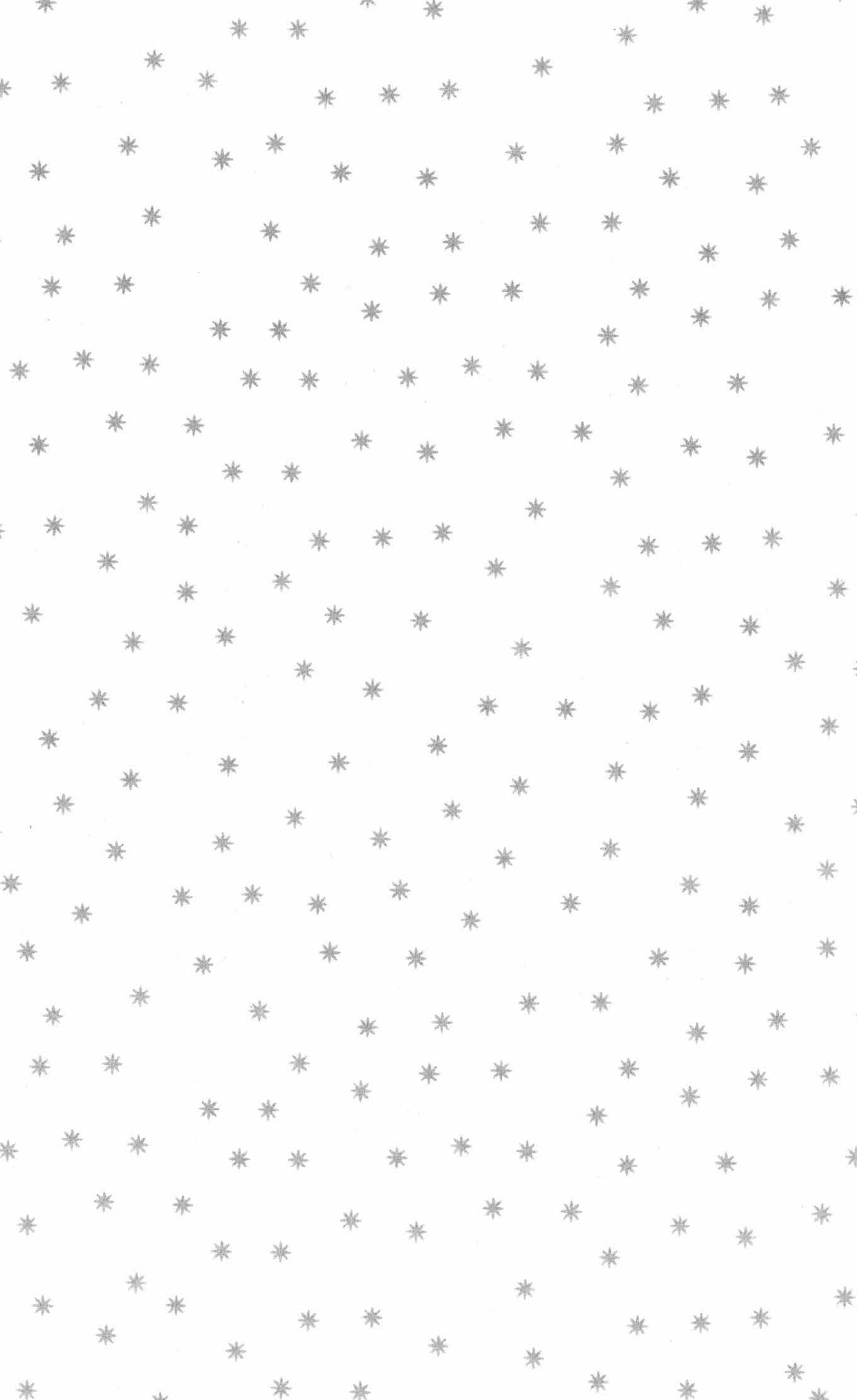
هززت كتفي: «لا أعرف. ربما عليَّ كتابتها».

«ماذا عن...». اقترحت جولييت وهي تنظر مرة أخرى إلى مشهدي المعلق بين الحياة والموت: «عدم حدوث أي جرائم قتل حتى بعد الزفاف؟ في الواقع، لا تعد بوعود لا يمكنك الوفاء بها. أوه، قبل أن أنسى».

سلمتني هدية ملفوفة بورق ذهبي. قرأت البطاقة (إلى إرنست، عيد ميلاد سعيد. من: سانتا السري). هززت العلبة، شعرت أنها خفيفة قليلًا.

قلت: «قد أفتح هذه للمرة الأخيرة».

19 خط كوميك سانس	11 إبرة	9 رصاصة من الشمع	14 أهرب	1 إيرين
5 أبلغ عن جريمة قتلك	23 لحظة الإلهام	12 ورقية	16 الشغف يخلق التغيير	8 ال 12 من ديسمبر
13 وحل	20 دفتر	7 صندوق أزرق كبير	3 1:30 صباحًا	21 غير مرئية
2 متلبسة	17 خبز + حليب	22 هدية رجل ميت	15 مطرود	18 زجاج
	24 كريستوفر سلييت	4 عذر سيئ	10 الكريسماس	6 الارتجاف



الوصايا السبع لإرنست كانينجهام حول العروض الخاصة بالأعياد

1 - مع مراعاة خطط الجميع لعيد الميلاد، يجب أن ترتكب الجريمة في إطار زمني محدد. يُفضل أن تكون بعد 20 ديسمبر، وتُحل بحلول ليلة رأس السنة. باستثناء بعض القتلة المتسلسلين، الذين قد يرتكبون جرائمهم في الأول من ديسمبر لأغراض أفلام «العد التنازلي لعيد الميلاد» المثيرة.

2 - يجب ألا يكره القاتل عيد الميلاد، أو أن يكون قد مر بتجربة صادمة تتعلق بعيد الميلاد؛ لأغراض لغز عيد الميلاد، شخصية «الجرينش[1]» متوقعة جدًّا.

3 - المحقق يجب أن يتعلم، في نقطةٍ ما، المعنى الحقيقي لكلمة الكريسماس.

---

(1) شخصية خيالية في كتب الأطفال. وقد أصبحت الروح الشريرة المعادية للعطلات التي تكمن في شخصية جرينش مصطلحًا يشير إلى الشخص الذي يرفض احتفالات عيد الميلاد.(المترجمة)

4 - العروض الخاصة بالأعياد يمكن اعتبارها جزءًا رسميًّا من القصة الرئيسية، لكنها ليست ضرورية لفهم السلسلة. لذلك، لا يُسمح بوفاة شخصيات رئيسية، أو حل أحداث طويلة الأمد في السلسلة، باستثناء عودة الشخصيات التي كان يُعتقد أنها ماتت في الأجزاء السابقة من السلسلة، والتي يمكن تقديمها من خلال ذكريات الماضي، أو أحلام، أو هلوسات ناتجة عن المخدرات، وذلك لأغراض إثارة الحنين لدى المعجبين.

5 - يجب أن يوجد طابع عيد الميلاد في الأزياء، الأسلحة، أو طريقة القتل.

6 - ليس من الضروري حضور جميع شخصيات السلسلة، ظهور شخصيات مختارة يكفي.

7 - جميع قواعد كتابة الألغاز التقليدية تنطبق. لا توجد استثناءات لمجرد أنه وقت الأعياد.

إقرار

رغم أن الأحداث تدور في مواقع حقيقية، فمؤسسة «بيرس» والأشخاص المرتبطون بها والقضايا التي يواجهونها هم من وحي خيالي، ولا يمثلون أي مجتمع بعينه. تُعرف جبال «بلو» بجمالها الطبيعي أكثر من ارتباطها بمؤامرات القتل المعقدة. كما أنني لا أكنُّ أي ضغينة تجاه السحرة.

شكرًا لبيفرلي كوزينز وكاثرين نينتزل وجريس لونج، الناشرين، على حماسهم غير المشروط لمغامرات عيد الميلاد، ولجعل المستحيل ممكنًا -أعني بذلك تصحيح حبكاتي بحيث تتماشى جرائم القتل، ولكن أيضًا مجرد حقيقة أنني أستطيع كتابة كتب- يا له من حلم! أنا ممتن للكم الهائل الذي لا يوصف من العمل خلف الكواليس من وكلائي: شكرًا لبيبا ماسون، بمساعدة كايتلان كوبر ترينت، على الكتب، وليزلي كونليف، بمساعدة كريس كارشر، على الفيلم. كما سأظل مدينًا بالشكر لجيري كالاجيان. شكرًا لك أماندا مارتن وأندرو كلارك على التحرير الثاقب كما هو الحال دائمًا، وهانا لودبروك، ومورين كول، وتافيا كوالشوك، وراشيل بيركويست، وجنيفر هارت، وشانون ماكين، وأليسون سميث، وتانيا لودين، وأديلايد جينسن، وهانا أرمسترونج، وجنيفر هارلو، لدفع

كتبي إلى أيدي الكثير من الناس، وكيت فالكوف على الشيء نفسه ولكن عبر المحيطات. شكرًا لريتشارد ليوينس وجين رينا على الأغلفة الرائعة، وجنيفر تشونج على التصميمات الداخلية. شكرًا لكونكم مرحين ومبهجين، وملهمين بالأفكار والتصميمات.

شكرًا لكل بائع كتب قدَّم «كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما» أو «كل شخص في القطار يخفي شيئًا ما»، لأي شخص خلال العامين الماضيين، ولوقوفكم مجددًا خلف هذا الكتاب بكل شغف ولطف. شكرًا لكل قارئ على حل الألغاز معي، وعلى مشاركة تخميناتكم، وأعمالكم الاستقصائية، واستنتاجاتكم. أنا محظوظ جدًّا لأن لدي قراءً متحمسين كالمحققين. آمل أنكم استمتعتم بهذا الكتاب الذي هو أقصر قليلًا. لا تقلقوا: سيعود «إرنست» بقوة قريبًا.

وأخيرًا، ودائمًا، شكرًا لعائلتي الداعمة والودودة: بيتر، وجودي، وإيميلي، وجيمس ستيفنسون، وغابرييل، وإليزابيث، ولوسي، وأدريان باز.

وأليشا باز. وصفة أي كتاب هي الحبر، والورق، وأنتِ.

تم إعداد هذا الكتاب في أرض شعب «نغورا»، من شعب «دهاروج» و«غندونغورا»، وكُتب على أرض شعب «غاديغال» من أمة «إيورا».